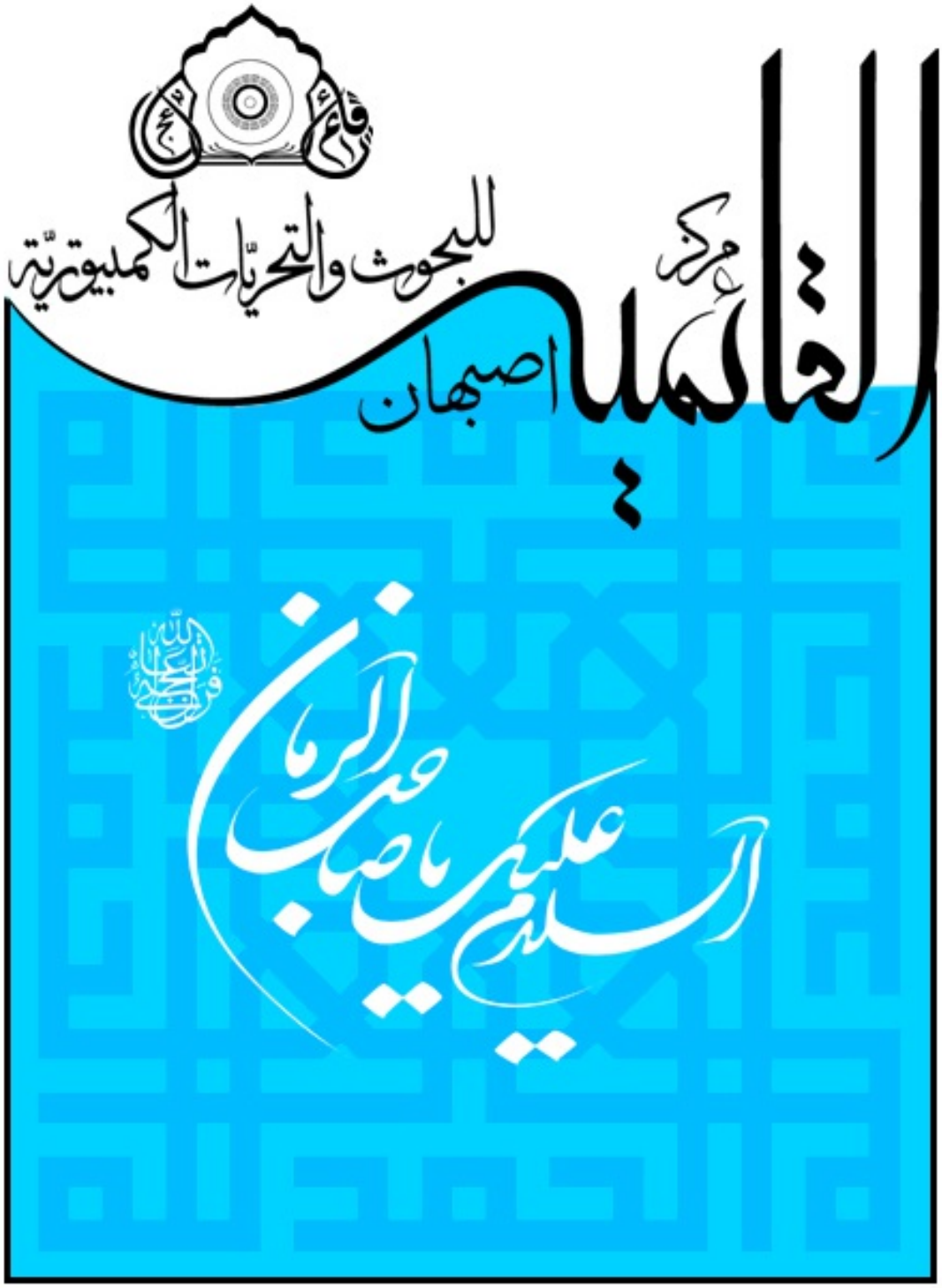

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الدكتور عدنان الشريف

من علم الطب القرآني

الثوابت العلمية في القرآن الكريم

دار العلم للملايين

بسم الله الرحمن الرحيم

من علم الطب القرآنى

كاتب:

عدنان الشريف

نشرت فى الطباعة:

دارالعلم للملايين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
من علم الطب القرآنی ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
إهداء ----- ۱۶
مدخل بین القرآن الکریم و العلم ----- ۱۷
۱- ... ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ ... ----- ۱۷
تعریف العلم ----- ۱۷
۲- وَ یَرَی الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ هُوَ الْحَقَ ----- ۱۸
۳- نحن لن نیأس ----- ۱۹
۴- الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم ----- ۲۰
تعریفه ----- ۲۰
۵- أهمیة الإعجاز العلمی کسبیل من سبل الدعوة ----- ۲۱
۶- الجدلیّة المنطقیّة العلمیّة فی القرآن الکریم ----- ۲۲
۷- القواعد القرآنیة التی نلتزمها فی تفسیر الآیات الکریمة ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۵
۱- القاعدة القرآنیة الأولی: ----- ۲۵
۲- القاعدة القرآنیة الثانیة: ----- ۲۵
۳- القاعدة القرآنیة الثالثة: ----- ۲۵
۴- القاعدة القرآنیة الرابعة: ----- ۲۶
القسم الأول من علم الجنین القرآنی دراسة و مقارنة مع علم الجنین الوضعی ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
الفصل الاول النطفة و السلالة و القرار المکین ----- ۲۷
۱- دراسة علمیّة تاریخیّة موجزة ----- ۲۷

۲- معانی النطفة (الماء المهین) ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
أ- المعنی الأوّل: ----- ۲۹
ب- المعنی الثانی: ----- ۲۹
ج- المعنی الثالث: ----- ۳۰
۳- السلالة ----- ۳۰
۴- القرار المکین ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
۱- المعنی الأوّل: ----- ۳۱
۲- المعنی الثانی: ----- ۳۱
۳- المعنی الثالث: ----- ۳۱
الفصل الثانی أطوار الجنین ----- ۳۳
۱- طور النطفة ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
الخلاصة: ----- ۳۴
۲- طور العلقة ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
طبقة خارجیة (ectoblaste): ----- ۳۴
طبقة وسطی (Mesoblaste): ----- ۳۴
طبقة داخلیة (entoblaste): ----- ۳۴
۳- طور المضغة ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
المضغة المخلّقة و غیر المخلّقة ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵

المعنی الأول: ----- ۳۵
المعنی الثانی: ----- ۳۵
المعنی الثالث: ----- ۳۶
۴- طور العظام فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً ----- ۳۷
۵- طور اللحم فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ----- ۳۷
۶- طور التسویة ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ ----- ۳۷
[۷- طور الخروج الحمیل من رحم أمّه] فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ----- ۳۸
الفصل الثالث وقفات علمیّة مع آیات کریمة ----- ۳۹
الوقفة الأولی فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
۱- ماء الرجل: ----- ۴۰
۲- ماء المرأة: ----- ۴۰
الوقفة الثانیة أ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ. أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
۱- سلالة الرجل: ----- ۴۰
۲- سلالة المرأة: ----- ۴۱
الوقفة الثالثة خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ ----- ۴۱
الوقفة الرابعة الصلب و الترائب خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
۱- تخلّق الأعضاء الجنسیّة: ----- ۴۲
۲- و من الوجهة الوظیفیة: ----- ۴۲
۳- إن الأوعیة الدمویة ----- ۴۳
الوقفة الخامسة الظلمات الثلاث ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳

أ- الظلمة الأولى: ۴۴
ب- الظلمة الثانية: ۴۴
ج- الظلمة الثالثة: ۴۴
الوقفة السادسة هذا الخصيم المبين يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِيمِ الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ ۴۵
الوقفة السابعة الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ ۴۷
التعديل فی خلق الإنسان ۴۷
الوقفة الثامنة لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۴۷
اشارة ۴۷
من الوجهة العلمية: ۴۷
من الوجهة الإيمانية: ۴۸
الوقفة التاسعة حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ ۴۸
الوقفة العاشرة وَ يَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ ۴۹
الوقفة الحادية عشرة اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی ۵۰
الوقفة الثانية عشرة وَ ما خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی ۵۱
الوقفة الثالثة عشرة بَلی قادِرِينَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ ۵۲
الوقفة الرابعة عشرة أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِی لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۵۳
القسم الثانی بين القرآن الكريم و علم الوراثة ۵۴
اشارة ۵۴
الفصل الأول الوراثة و الجنس ۵۴
۱- لمحة تاريخيّة موجزة ۵۴
۲- تعريف مبسّط بالثروة الوراثيّة ۵۵
فی المخلوقات الحيّة ۵۵
۳- أمثلة عن الثروة الوراثيّة عند الأحياء ۵۶
المخلوقات ذات الخليّة الواحدة ۵۶

الثروة الوراثيّة للإنسانيّة ----- ۵۶
عصفور الخروف ----- ۵۷
۴- الجنس الوراثی ----- ۵۷
۵- وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً ----- ۵۸
الجنس مقدّر فی السلالة ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
عند الرجل: ----- ۵۸
عند المرأة: ----- ۵۹
من الوجهة التشريحيّة: ----- ۵۹
من الوجهة الوراثيّة: ----- ۵۹
الفصل الثانی وقفات علميّة مع آيات كريمة فی علم الوراثة ----- ۶۰
الوقفة الأولى وَ لَيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
۱- ففی حقل العلوم الطبيّة: ----- ۶۱
۲- و فی حقل الاستعدادات العقلية: ----- ۶۱
۳- و أخيرا ----- ۶۲
الوقفة الثانية فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً ----- ۶۲
الوقفة الثالثة فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
«الولد للفراش» ----- ۶۴
الوقفة الرابعة مورثات الألوان ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
الثروة الوراثيّة فی النبات ----- ۶۶
الوقفة الخامسة قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى ----- ۶۶

الانقسام الخلوی ----- ۶۶
الوقفة السادسة یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِ ----- ۶۷
المیت و المیّت: ----- ۶۷
الفصل الثالث الحیاة و الموت من الوجهة الوراثیّة ----- ۶۹
۱- الموت خلق کالحیاة ----- ۶۹
۲- مورثات البناء و التسویة و الشکل ----- ۷۰
۳- الضعف و القوة ----- ۷۰
۴- وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ أَ فَلا یَعْقِلُونَ ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
الأجل و العمر ----- ۷۲
۵- الهندسة الوراثیة لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ----- ۷۲
۶- وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَیُغَیِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
مختصر ----- ۷۳
القسم الثالث من علم الطب الوقائی القرآنی ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
الفصل الأول فی العلاقات الجنسیة ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
۱- فی السکینة الزوجیة ----- ۷۷
۲- ثَلاثُ عَوْراتٍ لَکُمْ ----- ۷۹
۳- الإجهاض وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ (الأنعام ۱۵۱). ----- ۷۹
اشارة ----- ۷۹
الإجهاض فی نظر الإسلام ----- ۸۰
تعلیق: ----- ۸۱

۴- تحدید النسل ۸۲
۵- وسائل منع الحمل ۸۲
۶- العلاقات الجنسیّة غیر الشرعیّة ۸۳
۱- الزنی ۸۳
۲- اللواط ۸۴
اشارة ۸۴
۱- لواط المراهقة: ۸۴
۲- اللّواط العرضی: ۸۵
۳- اللّواط المرضی: ۸۵
۴- اللّواط المسئول: ۸۵
حکمة تحریم اللّواط ۸۶
۳- محاولة علمیّة لتفهّم الکیفیة التی دمّر بها المولی قوم لوط ۸۶
اشارة ۸۶
کلمة أخیرة ۸۷
۴- الاستمناء ۸۸
الفصل الثانی فی علم التغذیة ۸۹
۱- الإسراف فی المأکل ۸۹
۲- الإقتار ۸۹
۳- کلّ ما حرّمه الإسلام و أحلّه فی المأکل و المشرب أثبت علم التغذیة لا حقا حکمته العلمیّة ۹۰
اشارة ۹۰
(۱) المیتة: ۹۰
(۲) الدم: ۹۰
(۳) لحم الخنزیر: ۹۱
۴- وَ التِّینِ وَ الزَّیْتُونِ ۹۲

(۱) التین: ۹۲
(۲) الزیتون: ۹۳
۵- النخلة ۹۳
۶- العسل ۹۴
اشارة ۹۴
بعض الأرقام ۹۵
۷- اللبن ۹۵
(۱) فی الرضاعة من الثدی ۹۵
اشارة ۹۵
فمن الوجهة الکیمیائیة ۹۵
من الوجهة النفسیّة ۹۶
ملاحظة: ۹۶
(۲) لبن الأنعام: ۹۶
۸- المرعی ۹۶
اشارة ۹۶
الغثاء: ۹۷
أحوی: ۹۷
شرح الآیة علمیّا: ۹۷
۹- الخمر ۹۷
اشارة ۹۷
توضیح: ۹۸
الخمرة أمّ الخبائث ۹۸
إدمان الکحول و مضارّه الصحیّة: ۹۹
إدمان الکحول و مضارّة الاجتماعیّة: ۱۰۰

حکمة التدرّج فی تحریم الخمرة: ----- ۱۰۰
الفصل الثالث فی علم الأمراض المعدیة و السّاریة ----- ۱۰۲
۱- الوقایة من الأمراض المعدیة و السّاریة ----- ۱۰۲
۲- مسبّبات الأمراض المعدیة و وسائل انتشارها ----- ۱۰۳
۳- فی حکمة الوضوء ----- ۱۰۵
اشارة ----- ۱۰۵
وظائف الجلد ----- ۱۰۶
الفصل الرابع فی الوقایة من الأمراض النفسیّة ----- ۱۰۹
۱- التنشئة الإسلامیّة و الأمراض النفسیّة و الاجتماعیّة ----- ۱۰۹
۲- هذه الإنسانیة المریضة ----- ۱۰۹
۳- ما الحلّ و ما المخرج؟ ----- ۱۱۰
الفصل الخامس فی حکمة الصوم ----- ۱۱۱
۱- فی الصوم وقایة و علاج من الأمراض الجسدیّة ----- ۱۱۱
اشارة ----- ۱۱۱
الصوم تقوی و خیر و یسر و هدی ----- ۱۱۱
۲- فی الصوم وقایة و شفاء من المرض ----- ۱۱۲
۱- فی الصیام وقایة و علاج من الأمراض الجسدیة، ----- ۱۱۲
۲- فی الصوم وقایة من الأمراض النفسیّة ----- ۱۱۳
کیف نفهم شهر رمضان ----- ۱۱۴
۳- فی الصوم علاج للفقر ----- ۱۱۶
القسم الرابع فی علم التشریح و وظائف الأعضاء ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
الفصل الأول أعضاء الحواس ----- ۱۱۷
۱- السمع و آلته وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ ----- ۱۱۷

اشارة ----- ۱۱۷
لما ذا تقدّم ذكر السمع على البصر فى القرآن الكريم؟ ----- ۱۱۷
۲- البصر و آلته أ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ----- ۱۲۰
۱- العين ----- ۱۲۰
۲- ... تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ... ----- ۱۲۲
۳- وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ----- ۱۲۳
۴- وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ، وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ، وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ، لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِ
۵- الدمع ----- ۱۲۵
۶- يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِى الصُّدُورُ ----- ۱۲۵
۷- الصمم و العمى الإدراكى ----- ۱۲۶
۸- أين الصدفة؟ ----- ۱۲۷
۹- فى الألم ----- ۱۲۸
الفصل الثانى القلب و العقل ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
الدماغ آلة العقل الرئيسة ----- ۱۲۹
الموت الطبىّ أو موت الدماغ ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
ما رأى الإسلام بالموت الطبّى ----- ۱۳۲
القلب ----- ۱۳۳
من الوجهة المادّيّة: ----- ۱۳۳
من الوجهة الروحيّة: ----- ۱۳۴
أجهزة حفظ الجسم إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
۱- الجلد أو خطّ الدفاع الأول: ----- ۱۳۵

۲- جهاز دفاع خاص بكل عضو أو خط الدفاع الثاني: ---------- ۱۳۵

۳- الدم أو خطّ الدفاع الثالث: ---------- ۱۳۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---------- ۱۳۷

من علم الطب القرآنی

اشارة

نام کتاب: من علم الطب القرآنی

نویسنده: عدنان الشریف

موضوع: اعجاز علمی

تاریخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: دار العلم للملایین

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۲۰۰۱

نوبت چاپ: پنجم

من علم الطب القرآنی الثوابت العلمیه فی القرآن الکریم

عدنان الشریف

شماره کتابشناسی ملی: IR،۳۷۱۳۱

عنوان و نام پدیدآور: من علم الطب القرآنی الثوابت العلمیه فی القرآن الکریم،[کتاب]،/ عدنان الشریف

وضعیت نشر و پخش و غیره: بیروت،: دارالعلم للملایین،۲۰۰۱.

مشخصات ظاهری: ص۳۳۶

یادداشتهای مربوط به نشر،بخش و غیره: (کد۸۱۷۶)E.Book

==========

من علم الطب القرآنی mn a'lm altb alkra'ni

تألیف: عدنان الشریف

الناشر: دار العلم للملایین

النوع: ورقی غلاف عادی،

حجم: ۲۴×۱۷،

عدد الصفحات: ۳۳۶ صفحة

الطبعة: ۱ مجلدات: ۱

إهداء

«اللهم لک الحمد کما ینبغی لجلال وجهک و عظیم سلطانک».

«اللهم إنی أسألک بأن لک الحمد، لا إله إلا أنت المنّان، بدیع السماوات و الأرض، یا ذا الجلال و الإکرام، یا حیّ یا قیّوم»، و الصلاة

و السلام علی سیّد الأنام، عبدک و رسولک الحبیب المصطفی الذی علّمته جوامع الکلم.

و منه سیّد الاستغفار، الدعاء التالی به أقدّم کتابی هذا:

«اللهم أنت ربّی لا إله إلا أنت، خلقتنی و أنا عبدک، و أنا علی عهدک و وعدک ما استطعت، أعوذ بک من شرّ ما صنعت، أبوء لک بنعمتک علیّ، و أبوء بذنبی، فاغفر لی، فإنه لا یغفر الذنوب إلا أنت».

عدنان الشریف

من علم الطب القرآنی، ص: ۷

وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِکِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلی عِلْمٍ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (الأعراف ۵۲) أبی الله أن یجری الأشیاء إلا بالأسباب، فجعل لکلّ شیء سببا، و لکلّ سبب شرحا، و جعل لکلّ شرح علما، و جعل لکلّ علم بابا ناطقا.

(حدیث شریف) الإیمان هو أقوی نتائج البحوث العلمیة و أنبلها، و إن العلم بلا إیمان لیمشی مشیة الأعرج، و إن الإیمان بلا علم لیتلمّس تلمّس الأعمی.

(أینشتاین)

من علم الطب القرآنی، ص: ۹

مدخل بین القرآن الکریم و العلم

۱- ... ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ ...

تعریف العلم

لئن عرّفنا العلم بأنه مجموعة النوامیس و الحقائق و القواعد التی أجمع علیها المختصّون فی باب معیّن من أبواب المعرفة، و التی أثبت العقل و المنطق و الحواسّ و التجربة و الزمن صحّتها، فلا یقع تحت هذا التعریف إلا العلوم الطبیعیة المادّیة، کالفیزیاء و الکیمیاء و الطب و الفلک و غیرها. و أما العلوم الإنسانیة، کعلم القانون و علم الأخلاق و علم الاجتماع و علم النفس و غیرها من العلوم، فلا تعدّ علوما بالمعنی التحدیدی للعلم، و إنما هی «علوم رخوة»، حتی لو درجت العادة أن یطلق علیها اسم «علوم». و لقد أشار الحدیث الشریف التالی إلی العلوم المادّیة الطبیعیة بهذا التعریف الجامع: «أبی الله أن یجری الأشیاء إلا بالأسباب، فجعل لکل شیء سببا، و لکل سبب شرحا، و جعل لکل شرح علما، و جعل لکل علم بابا ناطقا».

فالعلم هو مجموعة القواعد و الأسس التی أثبتت التجربة و الوقت صدقها فی حقل معیّن من حقول المعرفة. «و العلم هو إدراک القوانین التی تحکم الأشیاء فی حرکتها و مقادیرها و علاقتها بعضها ببعض. و لکن العلم مهما تقدّم،

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰

یبقی عاجزا عن إدراک ماهیات الأشیاء»، أی السر الکامن وراء النظام البدیع لهذه الماهیات من أصغر جسیم فی الذرّة حتی أعظم مجرّة، إن لم یسلّم العلماء بوجود الله. من هنا نفهم حیرة عالم الفیزیاء (ألفرد کاستلر) Alfred Kastler ، الذی یقول ما ترجمته: «کلّما ازداد تعمّقنا فی دراسة ترکیب المادّة، تضاءل اقتناعنا بأننا عرفناها، فإنّ جزءا منها یظلّ و سوف یظلّ إلی الأبد بعیدا عن تعلیلنا، لأنه مخفیّ عنا نحن، مخفیّ بالمبدإ الأوحد، بالنظام الکونی، ب ... الله ربما ...».

هذه الحیرة و هذا التساؤل من قبل عالم فیزیائیّ حائز علی جائزة نوبل لأبحاثه فی الضوء، یفسّران معنی من معانی قوله تعالی: وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِیلًا (الإسراء ۸۵).

و لئن استعرضنا تاریخ اکتشاف الحقائق العلمیة فی مختلف فروع العلوم المادّیة و الإنسانیة، منذ کان الحرف و حتی کتابة هذه

الأسطر، فلا يبقى من بين ملايين الأطنان من الكتب التى يدّعى واضعوها أنها كتب علمية إلا النزر القليل و القليل جدّا .. إلا كتاب واحد: القرآن الكريم. إذ إنه ما من آية كريمة تطرّقت فى مضامينها إلى أىّ علم من العلوم المادّية، إلا و جاء العلم، متأخّرا بقرون، يؤيّد صدق ما جاءت به. و مئات الآيات الكريمة هى اليوم نواميس و قواعد رئيسة فى مختلف فروع العلم المادّية.

أما فى حقل العلوم الإنسانية المختلف عليها بين الأفراد و الشعوب، فآيات القرآن الكريم فى علوم النفس و القانون و الاجتماع و العقيدة و الاقتصاد و التربية و غيرها، هى كلمة الفصل، و الميزان الدقيق فى اعتماد مدى صحّة العلوم الإنسانية الوضعية. و القرآن الكريم هو بالنسبة لكل باحث مطّلع، متجرّد عن الهوى، الميزان الحقيقى و كلمة الفصل فى صحّة العلوم الإنسانية و المادّية الوضعية التى اكتشفها الإنسان.

و فى القرآن الكريم من كل علم مفيد للإنسان، فيه علم العقيدة بالله

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۱

و علم القانون و علم الأخلاق و علم الاجتماع. و هى كاملة و مفصّلة فى التنزيل و الحديث و السيرة. و قد وفّاها أكثر الباحثين حقّها بشروح مستفيضة فى عشرات الألوف من الأبحاث. و فيه علم التربية و علم البلاغة، لا بل هو البلاغة بحدّ ذاتها. و هو الذى أغنى اللغة العربية بمعانى المفردات و أمدّها بها مثيرا قارئه للبحث عن حقائقها و ماهياتها. كما أن فيه قوانين و مبادئ و خطوطا رئيسة من علم الفلك، و علم الجيولوجيا أو علم طبقات الأرض، و علم الجنين و الوراثة، و الطب الوقائى و غيرها، سبقت بما جاء فيها بقرون ما اكتشفه و تأكّد منه العلم اليوم. هذه الآيات فى حقول العلوم المادّية المختلفة تشكّل ما يسمّى بالإعجاز العلمى فى القرآن الكريم. و سنحاول إن شاء الله تبويبها و تبسيطها و جمعها، قدر ما ييسّره المولى لنا، فى سلسلة كتب سننشرها تباعا، و هذا الكتاب هو الثانى منها، سبقه كتاب «من علم النفس القرآنى»، و الله من وراء القصد.

۲- وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ هُوَ الْحَقَ

من أين جاء الذين يدعون أنفسهم بالعلمانيين، بفرية تعارض الإسلام مع العلم، و الإسلام فى جوهره علم و عقل و منطق و التزام؟ و العلم. الصحيح فى كل فرع من فروعه العديدة يطأطىء الرأس خاشعا كل يوم أمام الكنوز العلمية الدفينة فى القرآن الكريم و الحديث الشريف و التى سبقته بقرون. لا بل إن الإسلام هو و كل علم صحيح مفيد للإنسان، توأمان.

و لئن تعارضت الكتب السماوية الأخرى فى بعض مضامينها مع بعض الحقائق العلمية التى اكتشفها الإنسان لا حقا، فذلك لأن هذه الكتب قد حرّفت فى بعض مضامينها على يد الإنسان. فلما ذا عمّموا ذلك على الإسلام؟

كيف يتعارض الإسلام مع العلم و أوّل آية فى التنزيل هى أمر بالعلم:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ (العلق ۱)، و الاستزادة منه أمر آخر وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً (طه ۱۱۴)، و الذى حمل الأمانة و بلّغها إلى الناس، الحبيب

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۲

المصطفى عليه الصلاة و السلام، وصف نفسه بالمعلّم بقوله «إنما بعثت معلّما». كما أن الإسلام جعل من طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة و الحديث الشريف واضح النّص فى ذلك: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم و مسلمة»، و هل يطلب المولى سبحانه و تعالى شهادة على وحدانيته و قسطه إلا من نفسه أوّلا و الملائكة ثانيا و أولى العلم ثالثا؟ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِکَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آل عمران ۱۸). و هل خاطب القرآن الكريم إلا قوما يعلمون و يفقهون و يعقلون و يتفكّرون؟

«و هل ينفع القرآن إلا بالعلم»؟ بحسب ما روى عن الرسول الكريم. و هل تغيّر التنزيل و الحديث، و بفضلهما انتقل المسلمون من

ظلمات الجهالـة فأصـبحوا لزمن ما خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (آل عمران ۱۱۰) أمـة أغنت التراث الإنسانی خلال قرون فی مختلف فروع العلم الإنسانیة و المادّیة. إذا أین الخطأ، بل أین العلّة الیوم؟

«الخطـأ فی النفـوس و لیس فی النصـوص». الخطـأ فی النفوس الـتی لم تعـد تعمـل بمـا تأمرهـا به النصوص: نصوص القرآن الکریم و الحدیث الشریف.

العلّة فی بعض النفوس التی لم تفهم معانی النصوص.

العلّة و الخطأ یکمنان فی انعدام التربیة الإسلامیة فی البیت و المدرسة و المجتمع و هی علّة المسئولین عن ذلک و خطأهم.

العلّة تکمن فی نوعیة إیمان المسـلم و فقدان الإیمان الصـحیح عند أکثر المسـلمین الیوم، لأننا أعرضـنا عن فهم کتاب الله و عن الأخذ بالعلم الذی یأمرنا به، و لکن نحن لن نیأس ...

۳- نحن لن نیأس

قال تبارک اسـمه و تعالی ذکره: قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ قَـدْ جاءَکُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکُمْ، فَمَنِ اهْتَـدی فَإِنَّما یَهْتَـدِی لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما یَضِـلُّ عَلَیْها وَ ما أَنَا عَلَیْکُمْ

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳

بِوَکِیلٍ. وَ اتَّبِعْ ما یُوحی إِلَیْکَ وَ اصْبِرْ حَتَّی یَحْکُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ (یونس ۱۰۸، ۱۰۹).

فی هذا الزمن الردیء، و فی هذا اللیل الطویل الذی یلفّ الأمة الإسـلامیة من أدناها إلی أقصاها منذ قرون، و قد تألّبت علینا قوی الشـر و الباطـل المنظّمـة من الـداخل و الخـارج، و الباطـل المنظّم یغلب الحق غیر المنظّم، نقول: نحن لن نیأس لأنه لا یَیْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْکافِرُونَ (یوسف ۸۷).

فی هـذه الحقبـة المظلمة التی تمرّ بها الأمة الإسـلامیة- و هی الیوم فی عداد الأمم الجاهلة و الفقیرة و المریضة بالرغم مما حباها الله به من غنی و خیرات- نقول نحن لن نیأس، بالرغم من أن الأمم الیوم قد تداعت علینا «تداعی الأکلة إلی قصـعتها» کما أنبأنا سلفا الحبیب المصطفی علیه أزکی الصلوات و أزکی التحیّات، و کأنه یعیش بین ظهرانینا، و بالرغم من أننا الیوم کثر و لکننا غثاء کغثاء السیل و قد دخل الوهن فی قلوبنا: «یوشک أن تداعی علیکم الأمم کما تداعی الأکلة إلی قصعتها. قیل: أو من قلّة نحن یومئذ یا رسول الله؟

قال: بل إنکم یومئذ کثیرون و لکنّکم غثاء کغثاء السیل، و لینزعنّ الله من قلوب عدوّکم المهابة منکم و لیقذفنّ فی قلوبکم الوهن، قیل و ما الوهن یا رسول الله؟

قال: حبّ الدنیا و کراهیة الموت» (أبو داود).

نحن لن نیأس، لأن المولی سبحانه و تعالی أمر بالصبر، و لأننا نعرف تشـخیص الداء الذی یفتک بأوصال الأمّة الإسـلامیة و یقطّعها، و هو فقدان الإیمان الصحیح عند أغلبیّة المسلمین الذین لم تیسّر لهم فی القرن العشرین السبل العلمیة المنطقیة التی توصلهم إلی الإیمان الصحیح، و فیه الشفاء من جمیع أمراضنا و أمراض الإنسانیة.

نحن لن نیأس، لأننا نعرف العلاج الشافی لآلام هذه الأمة الإسـلامیة و للإنسانیة جمعاء، ألا و هو القرآن الکریم و سنّة رسوله الحبیب و حدیثه الشریف، بشرط أن یتوافر الجسم الطبّی الذی یشرح میزات هذا العلاج

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴

الشافی، الـذی یرفضه أکثر الناس الیوم و لا یعتقـدون به، و ذلک لأننا لم نقـدّم لهم بعـد بصورة علمیة منطقیة منهجیة مبرمجة البراهین علی فاعلیّة هذا الدواء الشافی الذی أعرض عنه أکثرنا الیوم جهلا به.

و کـل ما نطمـح إلیه، ممّا نکتبه، تقـدیم الأدلّـة و البراهین العلمیّـة المسـتمدّة من القرآن الکریم و الحـدیث الشـریف، و التی قـد تنقل

المسلم من خانة المسلم بالهویّة إلی خانة المؤمن الملتزم بکلام الله قولا و فعلا من هنا یجب أن نبدأ الیوم: إن علماء الاجتماع و السیاسة و الأخلاق یفتّشون عن حلّ لآلام الإنسانیة منذ قرون، فلینظّروا و لیناقشوا و لیحاضروا و لیفتّشوا عن حلّ لشفاء الإنسانیّة من القلق و الجهل و الفقر و المرض، و لن یجدوه إلا فی کتاب اللّه الکریم الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ (إبراهیم ۱)، قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ کِتابٌ مُبِینٌ. یَهْدِی بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (المائدة ۱۵، ۱۶)، و ما عداه فهو عبث و مضیعة للوقت وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (یوسف ۲۱).

و لن نخرج من هذه الفتنة العذاب التی تلفّ الأمة الإسلامیة إلا إذا تفهّمنا ما قاله الرسول الحبیب و شرحه من میزات کتاب الله العظیم و خصائصه، و عن علیّ بن أبی طالب سلام اللّه علیه و رضی عنه و أرضاه قوله: ألا إنی سمعت رسول الله علیه الصلاة و السلام یقول: «ألا إنها ستکون فتنة» فقلت: ما المخرج منها یا رسول اللّه؟ قال: «کتاب اللّه، فیه نبأ ما کان قبلکم و خبر ما بعدکم و حکم ما بینکم. هو الفصل لیس بالهزل. من ترکه من جبّار قصمه الله، و من ابتغی الهدی فی غیره أضلّه الله. و هو حبل الله المتین و النور المبین و هو الذکر الحکیم، و هو الصراط المستقیم. و هو الذی لا تزیغ عنه الأهواء و لا تلتبس به الألسنة و لا یشبع منه العلماء، و لا یخلق علی کثرة الرد، و لا تنقضی عجائبه، هو الذی لم تنته الجن إذ سمعته حتی قالوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵

یَهْدِی إِلَی الرُّشْدِ (الجن ۱) من علم به علمه سبق، و من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حکم به عدل، و من دعا إلیه هدی إلی صراط مستقیم».

نحن لن نیأس، و سیأتی یوم تعود فیه هذه الأمّة خیر أمّة أخرجت للناس، إذا عادت إلی کتاب الله تتفهّمه ثم تلتزم به و تعمل بما جاء فیه. و هذا الدین الحق: الإسلام، مهما تألّبت علیه قوی الشر و الجهل و التشنّج، سیظهره المولی، کما وعدنا عزّ و علا و وعده الحق، علی الدین کلّه. و سیظل «یحمل هذا العلم من کلّ خلف عدوله، ینفون عنه تحریف الغالین و انتحال المبطلین و تأویل الجاهلین ... فمن یرد الله به خیرا یفقّهه فی الدین. و إنما أنا قاسم و الله یعطی، و لا تزال من أمّتی أمّة قائمة بأمر الله لا یضرّهم من خذلهم و لا من خالفهم، حتی یأتی أمر الله و هم علی ذلک». هکذا بشّرنا الحبیب المصطفی و هو لا ینطق عن الهوی. لذلک نحن لن نیأس.

۴- الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم

تعریفه

هو الدراسة العلمیة المنهجیة لآیات الکتاب الکریم و الأحادیث الشریفة التی تشرحها، و التی تطرّقت فی مضامینها إلی مختلف فروع العلم المادّیة.

کعلم الفلک، و العلوم الأرضیة، و العلوم الطبّیة، و علوم الحیوان و النبات، و غیرها من العلوم. و هذه الدراسة هی دراسة مقرونة بما ثبت اکتشافه من حقائق علمیّة وضعیّة لا جدال فیها بین العلماء و حسب. و لا تقوم أبدا علی الربط بین الآیات الکریمة و النظریّات العلمیة التی ما زالت موضع بحث و درس، و لم تثبت بعد قانونا مکتشفا یقرّ به کلّ عالم و یعتمده أساسا فی علومه.

و القرآن الکریم هو فی کل وجه من وجوهه معجزة للباحث بحسب اختصاصه، و خاصّة فی المعانی الإعجازیة العلمیة لمضامین ما یقرب من ألف آیة کریمة، تطرّقت إلی مختلف فروع العلم المادّیة. و قد بدأ العلم یکشف

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶

بعضا منها منذ مئات أو عشرات السنین، و لکن لم توفّ حقها من الدراسة العلمیة المنهجیة حتی الیوم. و یستثنی من ذلک الجهود

الخیّرة المشکورة لبعض الأفراد و الهیئات العلمیة الدینیة فی بعض البلدان الإسلامیة و غیر الإسلامیة.

و الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم هو من الأهمیة بحیث إن الدکتور (موریس بکای Bucaille Maurice) خصّه بکتاب عنوانه (التوراة و الإنجیل و القرآن و العلم). کما أنه ألقی محاضرة فی أکادیمیة العلوم فی باریس، أعلی مرجع علمی فی فرنسا، فی سنة ۱۹۷۶، فی المعانی الإعجازیة لعلم الجنین القرآنی. و قد طلب من الأکادیمیة أن تتبنّی هذه المعانی و تدخلها فی کتبهم فی العلوم الطبّیة. کذلک حاضر فی الولایات المتحدة، و القاهرة، و السعودیة، و غیرها من البلاد، فی موضوع الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم.

و أما الدکتور (کیث مور Moore Keith) أستاذ التشریح و علم الجنین فی جامعة أوتاوا فی کندا، فقد سألته بعثة علمیة دینیة رأیه العلمی فی ثمانین سؤالا- تتعلّق بعلم الجنین القرآنی و الأحادیث الشریفة التی تشرحها، فکانت أجوبته العلمیة مطابقة لما جاء فی التنزیل و الحدیث الشریف. و خلص الدکتور (مور) إلی قول الآتی: «سئلت هذه الأسئلة منذ ثلاثین سنة فکنت عاجزا عن الإجابة عن نصفها بسبب قلّة الحقائق العلمیة وقتئذ». و فی مؤتمر الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم الذی عقد فی القاهرة فی سنة ۱۹۸۶ وقف الدکتور (مور) یقول ما ترجمته: «أنا أشهد بإعجاز الله فی خلق کل طور من أطوار الجنین، و فی الوصف الدقیق الذی ورد فی القرآن الکریم. و لست أعتقد أن محمدا أو أی شخص آخر یستطیع أن یعرف ما یحدث فی تطوّر الجنین، لأن هذه التطوّرات لم تکتشف إلا فی الجزء الأخیر من القرن العشرین. و أرید أن أؤکد أن أی شیء قرأته فی القرآن الکریم عن نشأة الجنین و تطوّره داخل الرحم ینطبق بدقة علی ما أعرفه أنا کعالم من علماء الأجنّة البارزین».

و قد أصدر الدکتور (مور) بالتعاون مع الشیخ الزندانی طبعة خاصّة من

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷

کتابه المعتمد فی تدریس علم الجنین. و قد ربط فی کل قسم من أقسام الکتاب التی تتکلم عن تطور الجنین، بین الحقائق العلمیة و الآیات المتعلقة بها، و کذلک بینها و بین الأحادیث الشریفة المأثورة عن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و شرحها و علّق علیها. و اسم الکتاب «النموّ الإنسانی» The .DevelopingHuman

و لا ننس ما کتبه فی هذا الصدد کلّ من الشیخ ندیم الجسر و الدکتور مصطفی محمود، و الدکتور محمد علی البار، و الدکتور خالص کنجو، و الدکتور أحمد الفنجری، و الدکتور محمد کمال عبد العزیز، و الشیخ متولّی الشعراوی، و أحمد أمین، و الشیخ عبد الحمید الزندانی، و الأستاذ نوفل و غیرهم، جزاهم الله کل خیر.

۵- أهمیة الإعجاز العلمی کسبیل من سبل الدعوة

لکل عصر من العصور سبل دعوة یتّبعها الدعاة. و قد أیّد المولی رسله بالأدلّة و البیّنات و المعجزات التی تتناسب مع المستوی العقلی و العلمی للبیئة التی وجدوا فیها. و حفظ القرآن الکریم المعجزة الوحیدة الخالدة، منهلا یستمدّ منه الدّعاة الأدلّة علی وجود الخالق و صدق التنزیل. و فی القرن العشرین عصر العلوم المادّیة، نری أن تدریس الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم سبیل من سبل الدعوة لا بل من أهمّها. فالإیمان الصحیح الثابت هو حصیلة عملیة فکریة منطقیة علمیة قبل أن یصبح مسألة وجدانیّة شعوریة. و علی کلّ داعیة أن یعتمد المنطق فی توجّهه إلی الفرد المکلّف، و الدلیل العلمی المادّی الذی لا جدال فیه و هو یحاوره فی وجود الله و صدق التنزیل و الحدیث الشریف. هذا الدلیل نجده الیوم فی الإعجاز العلمی القرآنی، أی فی دراسة الآیات العلمیة التی تطرّقت إلی مختلف العلوم المادّیة و فی برمجتها و تدریسها و تعمیمها فی مختلف وسائل الإعلام السمعیة و البصریة. ففی کل کتب العلوم المدرسیة یدرس تاریخ اکتشاف المعلومات، لکننا نادرا ما نجد کتابا علمیّا أشار إلی وجود المبادئ

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸

الرئیسیة لهذه المعلومات، و منها علوم الفلک، و الأرض، و البیئة، و الإنسان، و الحیوان، و النبات، فی القرآن الکریم الذی سبق ما

کشفه الإنسان بقرون.

أ لیس من التقصیر أن یدرس فی کتب علم الفلک أن أول من قال بأن الأرض غیر ثابتة هو کوبرنیک فی القرن السادس عشر، و ننسی قوله تعالی: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ؟ و أن (أینشتاین Einstein) و (أدوین هبل hubble Edwin) و غیرهما، هم أول من قال بتوسّع الکون فی القرن العشرین، و ننسی أن نکتب و ندرّس و نعمّم قوله تعالی فی سورة الذاریات: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ؟

أ لیس من التقصیر فی القرن العشرین أن یدرّس فی معاهدنا و جامعاتنا، فی کتب الجیولوجیا و المناخ بأن (ألفرد فجنر Wagner Alfred) هو أوّل من قال بتصدّع القشرة الأرضیّة، و ننسی قوله تعالی فی سورة الطارق وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ؟ (الطارق ۹)، و أن (قان ألن Allen Van) هو أول من اکتشف الأحزمة المغناطیسیّة الواقیة للأرض من الأشعّة الکونیّة، و ننسی قوله تعالی: وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ (الطارق ۸)، وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آیاتِها مُعْرِضُونَ (الأنبیاء ۳۲)؟ فلا ندرّسها و لا نشرحها؟

و لما ذا لا یدرّس طلاب الطب فی جامعاتنا، بأن الخطوط الرئیسة لعلم الجنین و الوراثة و الطب الوقائی موجودة فی القرآن الکریم و الحدیث الشریف قبل أن یکتشفها: (هام Ham ، و هوک Hooke ، و دوغراف Degraaf ، و ملبیجی Malpighi ، و شوان Schwann ، و شیلدن Schleiden ، و وولف Woolf ، و مندال Mendel ، و مورغن Morgan) و غیرهم فی القرون السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر و العشرین؟

أ لیس من المؤسف أن تدرّس حتی الیوم فی بعض جامعاتنا و معاهدنا نظریة (داروین) فی تطوّر الأحیاء و کأنها حقیقة علمیة ثابتة، فی حین أن مختلف العلوم الحیاتیة قد أثبتت و هنها و هشاشتها و تعارضها مع العلم الصحیح، و ننسی أن فی القرآن الکریم- و هو الکلمة الفصل- ما یتعارض معها؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۹

و لما ذا ندرّس فی جامعاتنا مبادئ (فروید) و نظریاته و غیره فی التحلیل النفسی و علم النفس، و قد أثبت الوقت و الواقع إفلاسها فی علاج الأمراض النفسیة و العصبیة، و لا نعتمد مبادئ علم النفس الموجودة فی القرآن الکریم و الحدیث الشریف و هی الأصحّ و الأبلغ و الأوجز؟ و لما ذا نتبع أقوال (فروید) و (یونغ) و (أدلر) و (کلین) و (لا- کان) و غیرهم، و نظریّاتهم، و لا نتبع تعالیم المولی، و هو الأعلم بما خلق، فی إصلاح النفس البشریة من أمراضها، خاصّة أن القرآن الکریم هو کتاب الوقایة و الشفاء للنفس الإنسانیة من جمیع أمراضها و فی طلیعتها الأمراض النفسیّة، و الرسول الکریم علیه الصلاة و السلام أصلح النفس الإنسانیّة فی مجتمعه و شفاها من أمراضها النفسیة قبل أن یشفیها من أمراضها الاجتماعیّة، فهو أکبر عالم نفس عرفته البشریة. و من الأجدر بنا أن نتّبع الآیات التی أنزلت علیه و الحکمة التی علّمه إیاها ربّه، بدل اتّباع النظریات النفسیة التی تتعارض مع تعالیم السماء الحقّة. و ما ذکرناه فهو نماذج قلیلة من مئات الآیات العلمیة، التی تعتبر الیوم بمثابة قواعد یعتمدها العلم فی مختلف فروعه. فالواجب علینا إذا إدراجها فی برامجنا التدریسیّة. و هو الشیء الذی لم نفعله حتی الآن.

۶- الجدلیّة المنطقیّة العلمیّة فی القرآن الکریم

القرآن الکریم فی کثیر من آیاته هو حوار و جدل علمی منطقی مع الذین لا یؤمنون بالله و الیوم الآخر و التنزیل. و من سبل الدعوة اعتماد الجدلیة المنطقیة العلمیة القرآنیة من خلال مئات الأدلة العلمیّة الإعجازیة التی سبقت العلوم الوضعیة بقرون. و هذه الأدلّة هی التی تعطی لعقل المخاطب الدلیل الإیمانی الذی قد ینفذ لا حقا إلی وجدانه فتلتزم به جوارحه. و من الأمثلة التوضیحیة عن الجدلیّة العلمیّة المنطقیّة فی القرآن الکریم نستمدّها من علم الجنین القرآنی ما یلی:

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰

۱- من أراد الدليل على وجود الله فما عليه إلا دراسة تخلّق الجنين.

و تكفيه، إذا كان عاقلا، الحقيقة العلمية التالية: قال المولى عن الجنين إنه يتخلّق تدريجيّا داخل ظلمات ثلاث. و جاء علم الأجنّة و التشريح و التنظير الجوفى فى أواخر القرن العشرين يبيّن هذه الظلمات الثلاث. و المنطق السليم يفرض التسليم بأنه ليس بمقدور أى بشر أن يعرف هذه الحقائق منذ خمسة عشر قرنا: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (الزمر ۶). فالقرآن الكريم، من الوجهة العلميّة المنطقيّة الجدليّة كلام الله، و لا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة أىّ عاقل. و يكفى شرح الآيات العلميّة مقرونة بتاريخ اكتشاف الإنسان لها أمام أىّ عاقل يريد الدليل العلمى على وجود الله و صدق التنزيل، حتى يخضع عقله و يقرّ منطقه العلمى بالدليل الذى لا جدال فيه على وجود الله، و بأن القرآن العظيم هو كلامه، و بأن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى.

۲- و من أراد الدليل المنطقى العلمى على وجود الآخرة، يكفى أن نشرح له المعنى الإعجازى الذى سبق العلم الوضعى بقرون من خلال الآيات الكريمة التالية: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ. وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ. بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (القيامة ۱- ۴).

فالمنطق السليم يقودنا إلى الاستنتاج بأن الذى سوّى بنان الإنسان جلّت قدرته- بأن جعل بصمات الأصابع تختلف عند مختلف أفراد الإنسانية منذ بدأت البشرية و حتى قيام الساعة، و جاء العلم التشريحى و الجنائى يؤكد ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر- هو الذى أقسم بيوم القيامة. فكيف يرفض العقل و المنطق النشأة الأخرى و يوم الحساب، ما دام القائل، عزّ من قائل، واحدا؟

و العلم اليوم يطأطئ الرأس أمام الآيات الكريمة التى تطرّقت إلى العلوم المادّية، فلما ذا إذن نشكّك فى الآيات الكريمة الغيبية التى تطرقت إلى البعث؟

لقد ربط القرآن الكريم أكثر الآيات الإعجازية العلمية الماديّة بالآيات

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۱

الغيبية، و جعل منطق الإنسان و عقله و علمه يتساءل: أ ليس القائل واحدا؟

و المصدر واحدا؟ فلما ذا إذن إنكار الآيات الغيبية ما دام العلم قد أكّد صدق الآيات العلميّة المادّية؟

و هذه أمثلة أخرى عن الجدليّة القرآنية المنطقية من علم الجنين و الوراثة القرآنيين. نقرأ فى سورة القيامة: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى، ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى. أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (القيامة ۳۷- ۴۰) فنجد أنه ليس بمقدور عالم تتبّع تخلّق الجنين، و دورة الحياة الإنسانية طورا بطور، و مرحلة إثر مرحلة، إلا أن يردّد مع الرسول الكريم صلوات الله و سلامه عليه: «سبحانك اللهم و بحمدك بلى»، ذاك أن علماء الأجنّة لم يكشفوا إلا فى القرنين التاسع عشر و العشرين، عن أن الإنسان يتخلّق من النطفة و يمر بمرحلة العلقة، و أن تخلّق أعضائه يبدأ بعد مرحلة العلقة، و أن فى منىّ الرجل و المرأة زوج الصبغيات الجنسيّة (XX،XY) الذى يحكم تخلّق الأعضاء الجنسيّة للذكر و الأنثى. و المولى الذى أنزل هذه الحقائق العلمية الإعجازية يسائل منطق علم كل عاقل فى آخر هذه السورة أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى؟ و الجواب مرة أخرى هو «سبحانك اللهم و بحمدك بلى».

جاء فى أسباب التنزيل أن (أبىّ بن خلف)، من صناديد كفّار قريش، جاء بعظم هشّ إلى النبىّ عليه الصلاة و السلام ففتّه بيده ثم قال: أ تزعم يا محمد أن الله يحيى هذا بعد ما رمّ؟ فقال له النبىّ عليه الصلاة و السلام: «نعم.

يحييه ثم يبعثك و يدخلك النار». فأنزل الله هذه الآيات من سورة يس و هى تمثّل روعة البيان لما أسميناه بالجدلية المنطقية العلمية فى القرآن الكريم: أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲

تُوقِدُونَ. أَ وَ لَیْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلی أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلی وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِیمُ. إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ. فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (یس ۷۷- ۸۳).

و لقد رأی الإنسان فی القرن العشرین کیف بدأ نطفهٔ ثم انتهی بشرا سویّا، و علم أن من الشجر الأخضر یتأتّی ما نوقد منه (الأوکسجین و الفحم الحجری و البترول و غیر ذلک)، و علم أن السموات و الأرض قائمهٔ علی نظام بدیع محکم، و أنّ وراء کل شیء منظّم منظّما. فلما ذا ننکر منطقیّا و علمیّا النشأهٔ الأخری التی أنبأنا عنها المولی ما دام أنبأنا سلفا بهذه الحقائق العلمیهٔ التی اکتشفناها لا حقا بعد قرون من التنزیل؟

الإیمان کما یقول (أینشتاین) «هو أقوی و أنبل نتائج البحوث العلمیهٔ. إن الإیمان بلا علم لیمشی مشیهٔ الأعرج و إن العلم بلا إیمان لیتلمّس تلمّس الأعمی». أما الدکتور (وتز) أحد عمداء کلیهٔ الطب السابقین فی باریس فقد کان یردّد: «إذا أحسست فی حین من الأحیان أن عقیدتی فی الله قد تزعزعت، وجّهت وجهی إلی أکادیمیهٔ العلوم لتثبیتها». و العلم، کما یقول (إدمون هربرت الجیولوجی فی جامعهٔ السوربون) «لا یمکن أن یؤدی إلی الکفر و لا إلی المادّیهٔ و لا یفضی إلی الشک». فکیف إذا قرن هذا العلم بدراسهٔ الآیات العلمیّهٔ القرآنیّهٔ و الأحادیث الشریفهٔ التی شرحت حقائقه و معطیاته قبل أن یکشفها العلم لا حقا و بعد عدّهٔ قرون؟ و قد روی عن الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم قوله:

«حضور جلسهٔ علم خیر من صلاهٔ ألف رکعهٔ، و عیادهٔ ألف مریض، و شهود ألف جنازهٔ». قیل: یا رسول الله و من قراءهٔ القرآن؟ قال: «هل ینفع القرآن إلا بالعلم». و فی حدیث آخر: «الناس اثنان: عالم و متعلّم. و ما عدا ذلک همج رعاع لا یعبأ بهم الله».

لذلک نجد فی استنباط الإعجاز العلمی من القرآن الکریم، و الحدیث الشریف و تبسیطه و برمجته و تدریسه و تعمیمه فی مختلف وسائل الإعلام

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳

السمعیهٔ و البصریهٔ؛ نقلهٔ نوعیهٔ ینتقل بواسطتها الفرد من إیمان الفطرهٔ إلی یقین البرهان. و هو السبیل الذی من خلاله اعتنق أکثر الغربیین الإسلام. فأصبح بعضهم الیوم من أشد دعاته فعالیهٔ ضد اللّامزین و المشکّکین. و الإعجاز العلمی یشکّل الحصن الواقی للمسلم ضد موجات التشکیک فی دینه، کما أنه سلاح ماض فی الرد العلمی الرصین الهادئ المفحم لکلّ متطاول علی هذا الدین الحنیف.

نحن الیوم بأمسّ الحاجهٔ إلی الدعاهٔ من المتفقّهین فی مختلف فروع العلوم الإنسانیهٔ التی تطرّق إلیها القرآن الکریم و الحدیث الشریف. نحن بحاجهٔ إلی دعاهٔ متفقّهین فی مختلف فروع العلوم المادّیهٔ التی تطرّق إلیها القرآن الکریم و التی رسمت الخطوط الرئیسیهٔ لهذه العلوم و لم تفصّلها. و لو فصّل المولی بعض العلوم المادّیهٔ التی وضع مبادئها الأساسیّهٔ فی القرآن الکریم، لما کفی ما فی الأرض من أقلام و ما فی البحار لو کانت مدادا: قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (الکهف ۱۰۹)، وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ (لقمان ۲۷).

حبّذا لو تضافرت جهود العلماء الأتقیاء، فی مختلف فروع العلوم الإنسانیّهٔ و المادّیهٔ، لشرح الآیات الکریمهٔ التی تتعلّق بحقل اختصاص کلّ منهم، کما هو الحاصل فی الموسوعات العلمیهٔ. لو فعلنا ذلک لأغنینا الأجیال بموسوعهٔ قرآنیّهٔ نحن بأمسّ الحاجهٔ إلیها الیوم. و هذا العمل الضخم هو مسئولیهٔ دول و مؤسّسات قادرهٔ، عسی أن ییسّرها المولی إلی ذلک إنه سمیع بصیر.

۷- القواعد القرآنیهٔ التی نلتزمها فی تفسیر الآیات الکریمهٔ

اشارة

یسّر المولی عزّ و علا فهم معانی آیاته الکریمة، و حضّ علی تدبّرها،

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴

و حدّد صفات الذین باستطاعتهم القیام بتحمّل هذه المسئولیة الجلیلة و الخطیرة من خلال نصوص قرآنیة هی القواعد التی اعتمدناها فی محاولة تفسیرنا للآیات العلمیة الکریمة:

۱- القاعدة القرآنیة الأولی:

المولی یعلّم قرآنه للعالم التّقی:

الرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ... (الرحمن ۱، ۲)، وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ یُعَلِّمُکُمُ اللَّهُ (البقرة ۲۸۲). و للتقوی شروط فصّلها الکتاب الکریم من خلال آیات التقوی الکثیرة تختصرها الآیة الکریمة التالیة: لَیْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ، وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ، وَ الْمَلائِکَةِ، وَ الْکِتابِ، وَ النَّبِیِّینَ، وَ آتَی الْمالَ، عَلی حُبِّهِ، ذَوِی الْقُرْبی، وَ الْیَتامی، وَ الْمَساکِینَ، وَ ابْنَ السَّبِیلِ، وَ السَّائِلِینَ، وَ فِی الرِّقابِ، وَ أَقامَ الصَّلاةَ، وَ آتَی الزَّکاةَ، وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا، وَ الصَّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ، أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (البقرة ۱۱۷).

فکلّ باحث فی آیات الله یجب أن یجمع إلی جانب تقوی الله، الإحاطة بالعلوم التی لا بدّ منها لفهم نصوص القرآن الکریم، و منها علم التفسیر، و علم التنزیل، و علم الفقه، و علم الحدیث، و علم اللغة العربیة و قواعدها، إضافة إلی التخصص فی حقل معیّن من العلوم المادّیة أو الإنسانیة التی تطرّق إلیها القرآن الکریم و الحدیث الشریف. و دراسة کهذه تستغرق من عمر الإنسان علی الأقل عشر سنوات، علما أنّ المولی عزّ و علا، لا یقبل شهادة علی وحدانیته و قسطه إلا من نفسه أولا، و الملائکة ثانیا، و أولی العلم ثالثا: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِکَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (آل عمران ۱۸).

و لا یجوز بنص التنزیل أن یجادل و یناقش و یکتب فی آیات الله، إلا کلّ ذی علم و هدی و کتاب منیر: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدیً وَ لا کِتابٍ مُنِیرٍ. ثانِیَ عِطْفِهِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ (الحج ۸، ۹)، وَ مِنَ

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵

النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّبِعُ کُلَّ شَیْطانٍ مَرِیدٍ (الحج ۳).

۲- القاعدة القرآنیة الثانیة:

قاعدة المثانی: کتاب المولی الکریم یفسّر بعضه بعضا کما جاء فی قوله تعالی: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِینُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللَّهِ، ذلِکَ هُدَی اللَّهِ، یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ، وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (الزمر ۲۳). إن تفسیر القرآن بالقرآن هو أعلی درجات التفسیر و أصحّها، ذلک أن لکل آیة من آیات الله آیة أو آیات أخری هی مثانیها التی تفسّرها و توضح معانیها، و علی الباحث واجب التفتیش عن آیات المثانی لیضعها جنبا إلی جنب إذا أراد أن یفهم شیئا من معانی الآیات و الکلمات فی القرآن الکریم. و للکلمة فی کتاب الله معان عدّة یجب التفتیش عنها من خلال آیات المثانی. فالقرآن الکریم هو الذی أعطی و یعطی المفردات معانیها المختلفة، و لیس معجمات اللغة فقط. و هو الذی أغنی و یغنی اللغة العربیة بمعانی المفردات. و سیاق الجملة فی الآیات من المثانی هو الذی یعطی الکلمات معانیها و لیس العکس.

۳- القاعدة القرآنیة الثالثة:

الثابت من الحديث الشريف هو المعتمد فی تفسير الآيات التی فسّرها الرسول الكريم: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل ۴۴)، وَ ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِی اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (النحل ۶۴).

إلا أنّ الرسول الكريم لم يفسّر لنا إلا آيات العقيدة و الأحكام، و بعضا من الآيات العلمية فی حقلی العلوم الإنسانيّة و المادّية ربما- و الله أعلم- التزاما منه بقوله تعالی: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (القيامة ۱۹) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ. وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (ص ۸۷، ۸۸).

و نحن لا نعتمد من الأحاديث الشريفة إلا المذكور فی الكتب الصحاح التی اتفق عليها علماء الحديث، شرط أن لا يتعارض أی حديث، مهما كانت صحّته، مع ما جاء فی كتاب الله الكريم، استنادا إلی قوله تعالی: وَ لَوْ تَقَوَّلَ

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶

عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ. لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (الحاقة ۴۴- ۴۷)، و استنادا أيضا إلی الأحاديث الشريفة التالية: «إنكم ستختلفون من بعدی، فما جاءكم عنی فاعرضوه علی كتاب الله، فما وافقه فعنّی، و ما خالفه فليس عنّی». (رواه ابن عبّاس مسند الإمام الربيع)، «اعرضوا حديثی علی كتاب الله فإن وافقه فهو منّی و أنا قلته». (كنز العمّال، ج ۱- ص ۱۷۹)، «إنّ علی كلّ حق حقيقة، و علی كلّ صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فدعوه» (بحار الأنوار ج ۲- ص ۱۶۵).

۴- القاعدة القرآنية الرابعة:

«هل ينفع القرآن إلا بالعلم»: هذا الحديث الشريف هو قاعدة نلتزمها فی دراسة الآيات العلمية، علی ضوء ما كشفه الإنسان من حقائق، شرط عدم الربط بين آية علمية أو حديث شريف تطرّق إلی حقل من حقول العلوم المادّية، إلا مع ما أثبته العلم بالبرهان و الصورة، و أصبح قاعدة لا جدال فيها. أما النظريات العلمية، فالقرآن الكريم هو بيقيننا الميزان الدقيق للنظر فی صحة أو خطأ النظريات العلمية. فإذا كان فی القرآن الكريم أو الحديث الشريف ما يؤيّد صراحة إحدی النظريات العلمية، فإننا نتبنی هذه النظرية. و إن كان فی القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ما يتعارض بنصّ واضح مع إحدی النظريات العلمية، فإننا نرفض هذه النظرية بعد أن نناقشها طبعا.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷

القسم الأول من علم الجنين القرآنی دراسة و مقارنة مع علم الجنين الوضعی

اشارة

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹

أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.

(يس ۷۷- ۷۹) أخرج الإمام أحمد فی مسنده، و روی ابن ماجة فی سننه: أن رسول الله صلّی اللّه عليه و سلّم بصق يوما فی كفّه، فوضع عليها إصبعه ثم قال: يقول الله عز و جل «ابن آدم أنّی تعجزنی و قد خلقتك من مثل هذه؟ حتی إذا سوّيتك و عدلتك، مشيت بين برديك و للأرض منك وئيد، فجمعت و منعت، حتی إذا بلغت التراقی قلت أتصدّق. و أنّی أوان الصدقة».

(حديث قدسی) «عجبت من ابن آدم خرج من سبيلين و يتكبر».

(فيما يروی عن الإمام علی سلام الله عليه)

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱

الفصل الاول النطفة و السلالة و القرار المکین

۱- دراسة علمیّة تاریخیّة موجزة

قال تبارک اسمه و تعالی ذکره: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ کَفَرْتُمْ بِهِ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِی شِقاقٍ بَعِیدٍ. سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ، وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (فصّلت ۵۲، ۵۳).

کلّما اکتشف الإنسان حقیقة جدیدة فی علم الأجنّة، طأطأ الرأس خاشعا أمام الإعجاز الکامن فی علم الجنین القرآنی، المتمثّل فی أربعین آیة و نیّف، و عشرات الأحادیث الشریفة التی تطرّقت فی مضامینها إلی تخلّق الجنین، و التی رسمت منذ خمسة عشر قرنا الخطوط الرئیسة الأساسیة العریضة، لما نسمّیه الیوم علم الجنین الإنسانی.

و کلّما تعمّق الباحث فی دراسة آیات الله الکریمة التی تطرّقت إلی علم من العلوم، و قارنها علی ضوء آخر مع ما کشفه العلم من حقائق ثابتة، یزداد إیمانا و یقینا بالله، و بالقرآن العظیم، و بما جاء عن رسوله الحبیب المصطفی، علیه أطیب الصلوات و أزکی التحیّات. و قد عبّر عن هذا الموقف خیر تعبیر الدکتور (کیث مور) أستاذ التشریح و علم الجنین فی جامعة أوتاوا بکندا بقوله:

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲

«کلّما اکتشف الإنسان حقائق جدیدة، وجد نفسه یردّد ما هو موجود فی القرآن و الحدیث».

و علم الجنین الإنسانی، هو دراسة تخلّق الإنسان بدءا من تکوّن البویضة الملقّحة باجتماع «السلالة» عند المرأة و الرجل، أی منذ تلاقح بویضة المرأة و الحیوان المنوی عند الرجل، و انصهارها به، و حتی انتهاء تخلّق الجنین و خروجه من رحم أمّه بعد تسعة أشهر. و یعود تاریخ بدء علم الجنین بالمعنی المعروف للعلم الیوم، إلی القرن السابع عشر، لمّا اکتشف المجهر-Micro scope( ) فی سنة ۱۶۷۷ علی ید العالمین (هامHamm (و (هوکLeewen Hock (و من خلاله اکتشفا الحیوان المنوی [أی «السلالة» فی التسمیة القرآنیة] عند الرجل. کما اکتشف العالم (دوغرافDegraaf (حویصلة البویضة التی تحمل اسمه (Degraafde Follicule ( ]أی النطفة فی التسمیة القرآنیة کما سیأتی توضیحه لا حقا]. إلا أن الدور الحقیقی للبویضة و الحیوان المنوی لم یعرف إلا لا حقا فی القرن التاسع عشر. کما أن مختلف مراحل تطوّر الجنین و تفاصیلها التشریحیّة الدقیقة لم تعرف إلا فی القرن العشرین. و لا یزال العلم یکشف کل یوم جدیدا فی هذا الحقل من العلوم.

و إذا استثنینا بعض علماء المسلمین الذین شرحوا تکوّن الجنین، من خلال شرحهم للآیات الکریمة و الأحادیث الشریفة التی تطرّقت إلی هذا العلم، فلقد ظلّت الإنسانیة حتی أواسط القرن التاسع عشر تأخذ بمعلومات خاطئة عن تکوّن الجنین.

لقد کتب أرسطو فی القرن الرابع قبل المیلاد، و هو الذی ظلّت آراؤه و کتبه شبه مقدّسة فی الأوساط العلمیة حتی القرن السابع عشر، أن الجنین یتخلّق من اتّحاد المنیّ مع دم الحیض، و فی القرآن الکریم، یکفی التذکیر بقوله تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۳

وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ (البقرة ۲۲۲).

و کتب الطبیب البریطانی (هارفیHarvey (مکتشف الدورة الدمویة الکبری (و قد سبقه إلی اکتشاف الدورة الدمویة الصغری العالم ابن النفیس) فی سنة ۱۶۵۱ ما خلاصته: إن الجنین یفرزه الرحم، و هذا خطأ علمی کما هو معروف. أما التنزیل العزیز، فنجد الرحم هو القرار المکین للنطفة و لیس الذی یفرزها: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (المؤمنون ۱۲، ۱۳) أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ. فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ (المرسلات ۲۰، ۲۱).

و کتب الطبیب (ملبیجیMalpighi (فی سنة ۱۶۷۵، أن البویضة تحمل الجنین بصورة مصغّرة، و أن السائل المنوی لا وظیفة له إلا

تنشیط البویضة.

و اعتقد العالمان «هام و هوک»، مکتشفا المجهر و الحیوان المنوی، أن الجنین موجود بصورة مصغّرة جدّا فی الحیوان المنوی، و لا وظیفة للبویضة إلا فی تغذیته و تنشیطه إلی أن أتی العالمان (قولف ۴۹۷۱ -۳۳۷۱ Wolff(و (اسپلّانزانی-۹۲۷۱ Spallanzani ۹۹۷۱(فأثبتا الحقیقة العلمیة المعروفة الیوم، بأن الجنین یتخلّق من نطفة المرأة و الرجل علی حدّ سواء، و فی کتاب الله الکریم یقرأ المؤمنون منذ التنزیل- و یزدادون خشوعا و یقینا کلّ یوم، و بخاصة بعد الاطّلاع علی هذه الآراء العلمیة الخاطئة- یقرءون قوله تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی (الحجرات ۱۳) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ (من نطفة مختلطة) نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً (الإنسان ۲).

أما ردّ الرسول الأمّی علیه الصلاة و السلام علی الیهودی الذی سأله ممّ یتخلّق الإنسان، فهو إعجاز علمی سبق العلم بثلاثة عشر قرنا: فلقد سأل یهودی الرسول الکریم قائلا: «یا محمد ممّ یخلق الإنسان؟» قال رسول الله

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۴

علیه الصلاة و السلام: «یا یهودی من کلّ یخلق، من نطفة الرجل و نطفة المرأة». (مسند الإمام أحمد).

و فی سنة ۱۸۳۹ اکتشف العالمان (شلیدن و شفان Schleiden -Schvann (، أن الجسم الإنسانی هو مجموعة خلایا، و أن الجنین یتخلّق من خلیّة واحدة هی البویضة الملقّحة، انفلقت و تقاسمت. (یتألّف الجسم الإنسانی من مائة ملیار خلیّة تقریبا نشأت من خلیّة واحدة هی البویضة الملقّحة). و فی القرآن الکریم نجد أن الانقسام الخلوی Cellulaire( ) Division أساس تکاثر الأحیاء. و قد أشارت إلیه الآیة الکریمة التالیة: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی، یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ (الأنعام ۹۵).

و الانقسام الخلوی- و الأفضل تسمیته بالانفلاق الخلوی، أی انقسام الخلیّة و انفلاقها إلی قسمین متساویین- هو العملیّة البیولوجیة الأساسیة التی تتکاثر بواسطتها الأحیاء، لذلک وصف المولی نفسه بِرَبِّ الْفَلَقِ، أی علّة الحیاة و سبب تکاثرها، و سمّی سورة فی کتابه الکریم بالفلق قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.

و لم یعرف دور البویضة و الحیوان المنوی فی تحدید جنس الجنین الوراثی عند الإنسان (sexe -genetique(إلا فی أواسط القرن العشرین، بعد اکتشاف الصبغیات الجنسیة (sexuelschromosomes (مع العلماء (فون وینورتر Winiwarter Von ۶۵۹۱(، و (بانتر ۳۲۹۱ Painter(، و (تجیو لیقان ۶۵۹۱ TjioLivan(. فالیونان کانوا یعتقدون أن جنس الجنین ذکرا أو أنثی، تحدّده نوعیة سائل الرجل، فإذا کان سائل الرجل متأتّیا من خصیته الیمنی فإن المولود سیکون ذکرا و إذا کان سائل الرجل متأتّیا من خصیته الیسری کان المولود أنثی! .. و بعضهم کان یعتقد بأن الجنین إذا نما فی الجهة الیمنی من الرحم کان ذکرا و إذا نما فی الجهة الیسری منه کان أنثی!

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۵

أما أرسطو، فقد کان یعتقد بأن المولود الذکر یتعلّق بحالة تهیّج الرجل عند الجماع أو عدمه! و فی القرآن الکریم، نری الإشارة واضحة إلی أن فی النطفة (سواء کانت نطفة الرجل أو المرأة) الأسس التی تحدّد جنس الجنین: ذکرا أو أنثی وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی. مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (النجم ۴۵، ۴۶).

أمّا مختلف مراحل تطوّر الجنین الأساسیة من طور النطفة الأمشاج إلی طور العلقة، فالمضغة، فالعظام، فاللحم، فلقد أعطاها القرآن الکریم اسما علمیّا هو فی الحقیقة وصف مجهریّ لأهم الصفات التی تمیّز کلّ طور من أطوار الجنین، علما أنّ الجنین لا یتجاوز خلال هذه المراحل بضعة ملیمترات من الطول. و لقد جاء علم الجنین الوضعی لا حقا یؤکّد هذا الوصف القرآنی، الذی رآه من خلال المجهر ... کما سیأتی تفصیله لا حقا.

و تکفی الإشارة هنا إلی أن طور تکوّن العظام یسبق تخلّق اللحم:

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً (المؤمنون ۱۴). و جاء علم الجنین الوضعی فی النصف الثانی من القرن العشرین یؤکّد بالصورة و التاریخ هذا الإعجاز القرآنی، و لو کانت الحقیقة علی العکس من ذلک، أستغفر اللّه، لما کان هناک وحی أو کتاب! و لقد جاءت الأحادیث الشریفة تفصّل بعض ما جاء فی الآیات الکریمة التی تطرّقت إلی علم الجنین، و فیها ما یذهل بشأن تحدید المدّة الزمنیة التی تتخلّق خلالها أعضاء الجنین. و قد ثبت هذا لا حقا فی أواخر القرن العشرین فی علم الجنین الوضعی: فاللحم و العظام و السمع و البصر و الأعضاء الجنسیة تبدأ بأخذ شکلها الإنسانی منذ الأسبوع السابع للحمل، إلی أن یکتمل تخلّقها فی أواخر الشهر السادس، مصداقا لقول الرسول الکریم علیه الصلاة و السلام: «إذا مرّ بالنطفة اثنتان و أربعون لیلة بعث الله إلیها ملکا فصوّرها، و خلق سمعها

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۶

و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال یا رب أذکر أم أنثی؟ فیقضی ربّک ما شاء و یکتب الملک ..» (رواه مسلم).

۲- معانی النطفة (الماء المهین)

اشارة

بعد دراسة الآیات الکریمة و الأحادیث الشریفة التی تطرّقت إلی خلق الإنسان علی ضوء آخر ما کشفه و أکده علم الجنین الوضعی، فی النصف الأخیر من القرن العشرین، یمکننا القول- و الله أعلم- إن للنطفة قرآنیّا ثلاثة معان هی:

أ- المعنی الأوّل:

النطفة أو «الماء المهین»، و هو ماء الرجل أو هو ما یخرج من أعضائه الجنسیة وقت الاستمناء (spermede pen un).

ب- المعنی الثانی:

النطفة أو «الماء المهین». و هو أیضا ماء المرأة أی حویصلة البویضة و هو ما ینضج فی مبیضیها مرّة واحدة فی کلّ شهر، فی أواسط الدورة الشهریّة وقت الإباضة (ovulation). بمعنی آخر و باللغة العلمیة المبسّطة النطفة فی معناها الثانی هی بویضة المرأة غیر الملقّحة، مع طبقتی الخلایا اللّتین تغلّفانها: التاج المشعّ (coronaradiata) و الغلاف الشفّاف (zona pellucida) و قلیل من الماء الأصفر الذی یصاحبها.

ملاحظتان:

۱- لیس ماء المرأة کما ظن بعضهم ما تفرزه الأعضاء الجنسیة الخارجیة عندها، کالمهبل، و الغدد التابعة لها وقت الجماع. فالجنین لا یتخلّق من هذه الإفرازات التی تسهّل عملیة الجماع فقط، و تنشّط الحیوانات المنویة.

۲- النطفة هی قلیل من المنی، و هی السائل الذی یفرزه الرجل حین الاستمناء و مبیض المرأة وقت الإباضة. و من الخطأ أن نخصّ المنی بالرجل کما یظن بعضهم، فالمولی یخاطب المرأة و الرجل علی حدّ سواء فی الآیات الکریمة التالیة: أَ فَرَأَیْتُمْ ما تُمْنُونَ. أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (الواقعة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۷

۵۸، ۵۹)، أ وَ لَمْ یَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ (یس ۷۷).

فالخطاب فی هذه الآیات الکریمة هو للرجل و المرأة و لیس للرجل فقط.

و الذکر و الأنثی یتخلّقان من المنی أی من منی الرجل و من منی المرأة، کذلک نستشفّ هذا المعنی لکلمة منی من الآیة الکریمة التالیة: أ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی. ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (القیامة ۳۷- ۳۹). (الضمیر فی کلمة منه راجع إلی المنی).

ج- المعنی الثالث:

النطفة هی الطور الأول فی تخلّق الجنین بحسب التقسیم القرآنی لأطوار الجنین. و یبدأ طور النطفة منذ بدء الحمل، و ینتهی فی الیوم الخامس أو السادس منه مع بدء طور العلقة، و یبدأ تشریحیّا منذ تلاقح البویضة مع الحیوان المنوی فی الثلث الخارجی لأنبوب الرحم، و منهما تنشأ البویضة الملقّحة (zygotefeconde -fertilizedovum ovule)، التی سرعان ما تبدأ بالانقسام إلی خلیّتین، فأربع، فثمان، فست عشرة و هکذا، إلی أن تصبح مجموعة کبیرة. و من هذه الخلایا یتشکّل ما یسمّی بالتوتة (morula) ثم الکرة الجرثومیة (blastula)، التی تنزل من أنبوب الرحم إلی الرحم منذ الیوم الثالث تقریبا، لتتحوّل فیه بعد بضعة أیام إلی علقة.

فالنطفة هی إذا، إما ماء الرجل، أو حویصلة البویضة، أو الطور الأوّل فی تخلّق الجنین. و إذا درسنا الآیات الکریمة التی وردت فیها کلمة النطفة أو «الماء المهین»، نجد أن المعنی العلمی یستقیم بهذه المعانی الثلاثة للنطفة شرط أن نفهم معانی أدوات العطف و التعقیب و التبعیض و هی الفاء، و «ثم»، و «من»، فی الآیات الکریمة التی ورد فیها ذکر کلمة النطفة أو الماء المهین، کما سنفصّله فی الفصول القادمة إن شاء الله.

۳- السلالة

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (السجدة ۸).

لغویّا: «السلالة» ما انسلّ من الشیء و انتزع منه برفق. فهی إذا الحیوان

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۸

خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ المعنی الأول للنطفة: ماء الرجل نطفة الرجل کما تظهر تحت المجهر مکبرة ۴۶۰ مرة: تبدو الحیوانات المنویّة «السلالات» و هی تنسلّ بسرعة مذهلة لتفتّش عن سلالة المرأة. و بالرغم من أنّ طول السلالة مع الذنب لا یتجاوز ۱/۲۰ ملم فإنها تقطع مسافة ۱۸ سم فی الأعضاء الجنسیة عند المرأة لتصل إلی هدفها أی سلالة المرأة فی وقت قد یکون بضع دقائق و قد یکون ساعات ...

فسبحان العلیم القدیر

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۹

أ وَ لَمْ یَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ المعنی الثانی للنطفة: ماء المرأة نطفة المرأة کما تبدو تحت المجهر: و هی تتألف من البویضة (السلالة) (قطرها ۱/۱۰ ملم) محاطة بالطبقة الشفافة و التاج المشعّ و قلیل من الماء الأصفر (نلاحظ الإعجاز فی الحدیث الشریف التالی: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر»، و قد رأی الإنسان لأول مرة ماء المرأة فی القرن السابع عشر و هو أصفر اللون

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۰

المنوی فی ماء الرجل و البویضة فی ماء المرأة، إذ إنه من بین مئات الملایین من الحیوانات المنویّة التی توجد عادة فی نطفة الرجل،

ینسلّ حیوان واحد فقط منها کلّها لیلقّح بویضة المرأة التی تنسلّ هی بدورها من حویصلة البویضة، لتلتقی بسلالة الرجل فی أنبوب الرحم. و بذلک تنشأ البویضة الملقّحة، و یبدأ الحمل «۱».

۴- القرار المکین

اشارة

«القرار المکین» هو مکان فی جسم الإنسان تستقرّ فیه النطفة لوقت معلوم کما جاء فی قوله تعالی: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (المؤمنون ۱۳)، أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ. فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ. إِلی قَدَرٍ مَعْلُومٍ (المرسلات ۲۰- ۲۲).

و قد قصرت کتب التفسیر التی تیسّر لنا الاطّلاع علیها، معنی «القرار المکین» علی رحم المرأة، و نحن نری و الله أعلم، أن للقرار المکین، ثلاثة معان هی التالیة:

۱- المعنی الأوّل:

القرار المکین هو رحم المرأة حیث یستقرّ الماء المهین أو النطفة لمدّة تسعة أشهر، شرط أن نفهم معنی الماء المهین أو النطفة فی الآیات الکریمة أعلاه علی أنه الطور الأوّل من تخلّق الجنین الذی یمتدّ من بدء الحمل حتی الیوم السادس. ففی الرحم لا یستقرّ و یحیا إلا البویضة الملقّحة، و أما الحیوانات المنویّة أو البویضة غیر الملقّحة فسرعان ما تموت إذا لم تتلقّح فی أنبوب الرحم.

۲- المعنی الثانی:

القرار المکین هو مبیض المرأة (ovaires(شرط أن

---

(۱) لنا رجاء فی أن تستبدل معاجم اللغة و المقالات العلمیّة بکلمة الحیوان المنوی و البویضة، کلمة السّلالة، لأنها الأصح علمیّا، و الأبلغ لغویّا، و لا عجب فی ذلک فالتسمیة قرآنیّة من ربّ العالمین.

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۱

نفهم معنی الماء المهین أو النطفة علی أنه ماء المرأة فی الآیات الکریمة أعلاه.

فمن الوجهة العلمیة یستقرّ ماء المرأة أی نطفها فی المبیض عندها منذ الشهر الرابع من حیاتها، ثم تخرج النّطف دوریّا من المبیض مرّة فی کلّ شهر بعد بلوغها سن النضوج الجنسی (عادة بین سن التاسعة و السادسة عشرة، کحدّ أدنی و حدّ أقصی).

و یحوی مبیضا المرأة عادة ما یقرب من ملیونی نطفة عند ولادتها، لا یبقی منها إلا ثلاثون ألفا تقریبا عند بلوغها سن النضج الجنسی. و یخرج من المبیض أربعمائة بیضة تقریبا خلال فترة خصوبة المرأة، الممتدّة من سن النضج إلی سن انقطاع الدورة الشهریة عندها (فی سنّ الخمسین تقریبا).

۳- المعنی الثالث:

القرار المکین هو الحویصلة المنویة عند الرجل (-ve seminale sicule ( )جسیم بشکل خزّان، مرکزه فی أسفل المثانة عند الرجل، یتجمّع فیه السائل المنوی الذی تفرزه الخصیتان)، شرط أن نفهم معنی «الماء المهین» أو النطفة علی أنه ماء الرجل أو نطفه فی

الآیات الکریمة أعلاه. و من الوجهة العلمیة، یستقرّ ماء الرجل، الذی تفرزه خصیتاه بصورة دائمة منذ بلوغه سن النضج الجنسی، فی الحویصلة المنویّة، و یخرج منها وقت الاستمناء و علی ضوء هذه المعانی الثلاثة للقرار المکین: الرحم أو المبیضان أو الحویصلة المنویة، یظهر جلیّا الإعجاز العلمی فی الآیات الکریمة، و کیف أن للآیات الکریمة من غیر المحکم وجوها عدّة، حسب معانی الکلمة أو الحرف فی الآیة الواحدة.

و سواء کان القرار المکین رحم المرأة أو المبیضین أو حویصلة الرجل المنویّة، فعلم التشریح الیوم یبیّن کیف أن الرحم و المبیضین و الحویصلة المنویّة هی أعضاء فی قرار مکین، أی فی الحوض (pelvis). و هی فی نفس الوقت قرار مکین و مکان آمن لاستقرار النطف التی تبقی فی هذه الأعضاء لوقت معلوم محدد یعرفه علماء الأحیاء.

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۲

ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ مقطع طولی فی حوض المرأة یبین تشریحیّا کیف أن رحم المرأة و المبیض هما قرار مکین و فی قرار مکین (المعنی الأوّل و الثانی للقرار المکین رحم المرأة و مبیضاها)

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۳

أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ، فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ المعنی الثالث للقرار المکین: الحویصلة المنویّة عند الرجل صورة تشریحیّة تبین کیف أن الحویصلة المنویّة مکان تجمّع نطف الرجل التی تفرزها الخصیتان، هی فی قرار مکین (الحوض) و قرار مکین فی الوجهة الوظیفیة و التشریحیة أیضا

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۴

فالنطفة، بمعنی الطور الأوّل لتطوّر الجنین، تستقرّ أی تسکن مؤقّتا فی الرحم لمدّة تسعة أشهر تقریبا.

و النطفة، بمعنی ماء المرأة، تستقرّ و تسکن مؤقّتا فی مبیضیها منذ الشهر الرابع من حیاتها، إلی سن بلوغها، ثم تخرج منها البویضة دوریّا فی کلّ شهر.

و النطفة، بمعنی ماء الرجل، تستقرّ أی تسکن مؤقّتا فی الحویصلة المنویّة عنده منذ بلوغه سن النضج، ثم تخرج وقت الاستمناء.

و الرحم و المبیضان و الحویصلة المنویّة هی مکان آمن للنطف من خلال موقعها فی الجسم، و مما تتألّف منه، و من خلال عملها الوظیفی. و یکفی التذکیر بأن الرحم و المبیضین عند المرأة و الحویصلة المنویّة عند الرجل تقع فی فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ مقطع للمبیض تظهر خلاله حویصلات البویضة أو حویصلات «دو غراف»

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۵

الحوض، و هو تصفیح عظمی یحیط بها من جمیع الجهات، کما أنها معلّقة بأحزمة و أربطة متینة و مرنة فی الوقت نفسه إلی مختلف العضلات و الأعضاء الموجودة فی الحوض. و أما التفاصیل الدقیقة التشریحیّة و الوظیفیّة التی تجعل من الرحم و المبیضین و الحویصلة قرارا مکینا، فیعرفها المتخصّصون، و لا نرید أن نثقل علی القارئ هنا بمزید منها.

علی ضوء هذا التفسیر العلمی المبسّط لمعانی «القرار المکین» نستطیع قول الآتی: إذا فهمنا «القرار المکین» بمعنی أنه الرحم، وجب أن نفهم النطفة بمعنی أنها الطور الأول من حیاة الجنین. و هکذا یستقیم المعنی العلمی، و هو الوجه الأوّل من معانی الآیات الکریمة التالیة: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (المؤمنون ۱۳)، أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ. فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ. إِلی قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (المرسلات ۲۰- ۲۳).

و إذا فهمنا «القرار المکین» بمعنی أنه مبیضا المرأة، وجب أن نفهم النطفة بمعنی أنها «حویصلة البویضة». و هکذا یستقیم المعنی العلمی و هو الوجه الثانی من معانی هذه الآیات الکریمة أعلاه.

و إذا فهمنا «القرار المکین» بمعنی حویصلة الرجل المنویّة، وجب أن نفهم النطفة بمعنی أنها ماء الرجل. و هکذا یستقیم المعنی العلمی

و هو الوجه الثالث من معانی هذه الآیات الکریمة الواردة أعلاه.

فلا سبیل إذا إلی فهم کثیر من الآیات القرآنیة التی تطرّقت إلی العلوم المادّیة الطبیعیة، إلا علی ضوء ما اکتشفه العلم من حقائق، مصداقا لقوله تعالی: وَ یَرَی الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ هُوَ الْحَقَّ وَ یَهْدِی إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ (سبأ ۶)، و مصداقا لقول الرسول الحبیب المصطفی علیه الصلاة و السلام: «و هل ینفع القرآن إلا بالعلم». لذا کانت أوّل کلمة فی التنزیل اقْرَأْ بمعنی تعلّم. فلا سبیل إذا لتدبّر معانی الآیات الکریمة إلا بالعلم، أی العلم بجمیع فروعه الطبیعیة المادّیة و الإنسانیة علی حدّ سواء.

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۷

ما لَکُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً.

(نوح ۱۳، ۱۴) «و کلّ الله بالرحم ملکا یقول أی ربّ نطفة؟ أی ربّ علقة؟ أی ربّ مضغة؟ فإذا أراد الله أن یقضی خلقا قال: یا رب أذکر أم أنثی؟ أ شقیّ أم سعید؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟

فیکتب کذلک فی بطن أمّه».

(حدیث شریف أخرجه البخاری و مسلم و أصحاب السنن الأربعة) «بعد أن تتبعت بالصورة تخلّق الجنین منذ بدء تکوّنه و حتی خروجه من رحم أمّه، أنا لا أستطیع إلا أن أقرّ و أعترف بأن ید الله هی وراء کلّ خلیّة من خلایاه».

(لینارد نلسون)

من علم الطب القرآنی، ص: ۴۹

الفصل الثانی أطوار الجنین

۱- طور النطفة ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ

اشارة

من معانی النطفة الطور الأول فی تخلّق الجنین، و هذا الطور یمتدّ من الیوم الأوّل للحمل أی منذ تلقیح سلالة المرأة بسلالة الرجل بمعنی اتّحادهما و انصهارهما حتی الیوم السادس من بدایة الحمل و یأتی بعده طور العلقة.

و خلال الطور الأوّل، تنقسم البویضة الملقّحة، و هی خلیّة واحدة و أکبر خلایا الجسم، إلی خلیّتین ثم إلی أربع، فثمان، فستّ عشرة خلیّة ثم تأخذ شکل ثمرة التوت فتسمّی بالتوتة (alurom).

و فی نهایة الیوم الخامس من الحمل تتحوّل التوتة إلی ما یسمّی علمیّا بالکرة الجرثومیة و عدد خلایاها یصل إلی ما بین ۵۰ و ۶۰ خلیّة. و خلال عملیة الانقسام و التکاثر تنتقل النطفة من أنبوب الرحم إلی الرحم (الیوم الخامس تقریبا) لتبدأ بالتعلّق فی جدار الرحم الداخلی منذ الیوم السابع من بدء الحمل.

و الجنین خلال طور النطفة لا یتجاوز قطره خمس المیلمتر الواحد، و الماء یؤلّف الجزء الأکبر منه و یحیط به. من هنا کانت التسمیة القرآنیة للنطفة بالماء

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۰

وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ طور النطفة (الأسبوع الأول من الحمل) صورة حقیقیة للنطفة: البویضة (فی الوسط) محاطة بخلایا الطبقة الشفافة و التاج المشعّ، بعد خمسین ساعة من تلقیحها بسلالة الرجل. و قد انفلقت البویضة إلی أربع خلایا. أما فی آخر الحمل فیصبح تعدادها مائة ألف ملیار خلیة تقریبا

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۱

المهین. و النطفة لغویّا تعنی الماء القلیل: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ (النور ۴۵).

الخلاصة:

من معانی النطفة فی القرآن الکریم الطور الأوّل فی تخلّق الجنین، و هذا الطور القرآنی فصّله و قسّمه علم الجنین الوضعی إلی ثلاث مراحل: مرحلة التلقیح (noitadnocef) و مرحلة التوتة (alurom) و مرحلة الکرة الجرثومیّة (alutsalb).

۲- طور العلقة ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

اشارة

العلقة هی الطور الثانی فی تخلّق الجنین، و یمتدّ من الیوم السابع من بدء الحمل و ینتهی فی الأسبوع الثالث منه، و خلاله یتعلّق الجنین بالطبقة الداخلیة للرحم کی یتغذّی من دم الحامل. و کما أن تسمیة الطور الأول من تخلّق الجنین بالنطفة هی تسمیة کیمیائیة، فتسمیة هذا الطور الثانی من تطوّر الجنین بالعلقة هی تسمیة تشریحیة و مجهریة لا یمکن أن تصدر إلا ممّن هو بکل خلق علیم، أی المولی سبحانه و تعالی. فالمجهر لم یکتشف إلا فی القرن السابع عشر، و الجنین فی طور العلقة، و قطره لا یتجاوز بضعة أجزاء من المیلیمتر، یتعلّق برحم أمّه لیتغذّی من دمها بواسطة شعیرات آکلة و ماصّة کما تتعلّق علقة الحجّام بجسد المخلوقات التی تتغذّی علیها. و الجنین منذ هذه المرحلة من حیاته و حتی ولادته یعیش فی محیط مائی معلّقا برحم أمّه بواسطة الحبل السّرّی، و العلق یعیش فی الماء، و الجنین فی طور العلقة یشبه فی شکله الخارجی العلقة، و النظر فی الصورة یغنی عن الشرح.

خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ مع بدء مرحلة العلقة یبدأ تمایز الخلایا التی یتألّف منها الجنین أی اختلافها، فیصبح فی نهایة هذا الطور أی فی الأسبوع الثالث من الحمل، مؤلّفا من ثلاث طبقات من الخلایا:

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۲

طبقة خارجیة (ectoblaste):

و منها یتخلّق لا حقا الجلد و محتویاته، و الجهاز العصبی، و النسیج المخاطی للفم و الشفتین و اللثة و شبکة العین، و غیرها من أعضاء لا سبیل لتعدادها، فهی تهمّ المختصّ.

طبقة وسطی (Mesoblaste):

و منها یتخلّق لا حقا الهیکل العظمی، و العضلات، و الجهاز البولی، و التناسلی، و الدم، و غیرها من الأعضاء.

طبقة داخلیة (entoblaste):

و منها یتخلّق لا حقا الکبد، و البنکریاس، و الأغشیة المبطّنة للجهاز الهضمی و التنفّسی، و غیرها من الأعضاء.

یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ

رسم تشریحی للجنین فی طور العلقة (الیوم العاشر طوله ۱۰/ ۲ ملم) یبین کیف أن الجنین بشکله الخارجی یشبه العلقة و یعیش کالعلقة فی ماء التجویف الأمینوسی و یتعلق بالرحم بواسطة شعیرات آکلة و ماصة؛ کما تتعلق العلقة فی الجلد لتمتص الدم

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۳

هذا ما فصّله و بیّنه العلم لا حقا فی القرن العشرین، و هذا ما أجمله المولی فی قوله عز و علا: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (العلق ۲). أی أن بدء تخلّق أعضاء الإنسان یبدأ منذ طور العلقة. و هنا إعجاز علمی قرآنی، فالعلم لم یعرف إلا فی القرن العشرین أن بدء تخلّق الأعضاء فی الجنین- کالجهاز العصبی و القلب، و الأوعیة الدمویة، و الدم- یبدأ فی طور العلقة ثم یکتمل لاحقا فی مرحلة التسویة. من هنا ندرک لما ذا سمّی المولی أوّل سورة من کتابه الکریم بالعلق، ربما لنتوقّف عند المعانی الإعجازیة لطور العلقة، و الله أعلم.

۳- طور المضغة ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً

اشارة

طور المضغة یبدأ منذ الأسبوع الثالث من حیاة الجنین و یمتدّ حتی الأسبوع السابع. و خلاله تظهر فی الجنین الکتل البدنیة (somites) و عددها ۴۲- ۴۵ زوجا، فتعطیه شکل اللحم الممضوغ و النظر إلی صور الجنین فی هذا الطور من حیاته یغنی عن التعلیق، و یؤکد مرّة أخری أن تسمیة هذا الطور من حیاة الجنین بالمضغة، هی تسمیة من خالق الجنین سبحانه و تعالی.

و لم یتوصّل الإنسان إلی تصویر الجنین فی طور المضغة- و طوله لا یتجاوز السنتیمتر الواحد- إلا فی القرن العشرین. و هو یبدو تحت المجهر کقطعة لحم ممضوغة و غضروف، خاصّة فی القسم الذی سیکون لاحقا العمود الفقری و بقیّة العظام.

المضغة المخلّقة و غیر المخلّقة

اشارة

یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ (الحج ۵).

لقوله تعالی: مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ معان علمیّة عدّة نوجزها بثلاثة و الله أعلم:

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۴

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً طور المضغة (من الأسبوع الرابع السابع) جنین فی الأسبوع الرابع من الحمل (طول ۷ ملم). لاحظ الکتل البدنیة التی تعطی الجنین شکل قطعة مضغتها الأسنان من لحم أو غضروف (أشیر إلیها بعلامة X)

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۵

المعنی الأول:

خلال طور المضغة یکتمل تکوّن الأغشیة (les membranes) و الحبل السّرّی (cordonombilical) و جزء من المشیمة (placenta -fetal). و هی أقسام من المضغة تحیط بالجنین و تحمیه و تغذّیه، إلا أنها تسقط و تموت بعد ولادته، فهی تشکّل المضغة غیر المخلّقة. أما القسم الآخر من المضغة فیکون الجنین نفسه أی المضغة المخلّقة.

المعنی الثانی:

إن جملة: مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ تعنی أيضا:

من مضغة تخلّق بعض أعضائها و لم يتخلّق بعضها الآخر، ذاك أن بعض أعضاء الجنين كالعينين و الأذنين و القلب و الجهاز العصبی و غيرها يبدأ تكوّنها فی طور المضغة، إلا أن تخلّقها لا يكتمل إلا لاحقا فی مرحلة التسوية. و أما العظام و اللحم (العضلات)، و الأعضاء الجنسية و غيرها، فلا يبدأ تخلّقها إلا فی طور العظام و اللحم و التسوية، أی منذ الأسبوع السابع و ما بعده. فالجنين فی طور المضغة هو مخلّق و غير مخلّق، بمعنی أن تخلّقه قد بدأ و لكنه لم يكتمل بعد.

و لمزيد من الإيضاح لقوله تعالی: مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ، نلحظ مثلا- أن تخلّق العينين يبدأ فی الأسبوع الثالث للحمل، أی فی طور المضغة، إلا أن اكتمال تخلّقهما لا يكون إلا فی الشهر السادس من الحمل.

المعنی الثالث:

فی طور المضغة تتمايز الخلايا، فتظهر خلايا متخصّصة (cellulesspecialisees) كالخلايا العصبية و القلبية و الدموية و غيرها، لتشكّل الخلايا المخلّقة التی ستكوّن مختلف أعضاء الجنين، و تبقی خلايا غير متخصّصة (ecllulesindifferenciees)، هی الخلايا غير المخلّقة أو ما ندعوه علميّا بخلايا الاحتياط، و عملها أن تتحوّل إلی خلايا متخصّصة، تحلّ محلّ المتخصّصة عند ما تموت هذه. فالجسم يفقد فی كلّ ثانية مليونی كرة من الكريات الحمر، يعوّضها تلقائيّا نقی العظام من خلايا الاحتياط غير المخلّقة الموجودة فيه، و كذلك بقيّة الأعضاء التی تفقد كل يوم كثيرا من خلاياها المخلّقة، و تحل محلّها خلايا الاحتياط غير المخلّقة التی تتحوّل إلی خلايا مخلّقة.

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۶

مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ المضغة المخلّقة (الجنين بحد ذاته) و المضغة غير المخلّقة (الأغشية و المشيمة التی تحيط بالجنين و تغذّيه، و تسقط بعد الولادة) (وجه آخر علمی من معانی الآية الكريمة أعلاه)

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۷

مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ جنين فی الأسبوع الرابع (۷ ملم) فی طور المضغة المخلّقة و غير المخلّقة: هناك أعضاء فی الجنين يظهر تخلّقها جيدا كالعين و القلب و بداية الأطراف السفلی، كما أن هناك أعضاء لم تخلّق بعد (وجه آخر من معانی الآية الكريمة أعلاه)

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۸

و ما معنی لِنُبَيِّنَ لَكُمْ فی قوله تعالی: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ؟

هذه الآية هی من الآيات العديدة التی تعطينا الدليل العلمی الملموس الذی لا جدال فيه، علی أن القرآن الكريم هو كلام الله. و هی فی الوقت نفسه دليل منطقی علی أن البعث حقيقة لا ريب فيها. فالذی قال- عزّ من قائل- بأن الجنين يمرّ بأطوار النطفة و العلقة و المضغة المخلّقة و غير المخلّقة، ثم جاء العلم فی القرن العشرين ليرى و يؤكّد بالمجهر هذا الوصف التشريحی لمختلف أطوار الجنين، هو القائل بوجود البعث، فلما ذا ينكر بعضهم هذه الحقيقة الغيبية، ما دامت تبيّن لهم حقيقة تطوّر الجنين من خلايا النطفة و العلقة و المضغة كما وصفها الخالق سبحانه و تعالی؟ أ ليس القائل واحدا؟ و لما ذا نطأطئ الرأس أمام حقيقة أطوار الجنين كما وصفها القرآن الكريم و بيّنها العلم لاحقا، و لا نؤمن بالآخرة؟ أ ليس القائل واحدا؟ أ ليس فی إنكار البعث ازدواجيّة فی المنطق عند من اطّلع بالصّور

علی مختلف أطوار الجنین کما وصفها القرآن الکریم و أکّدها العلم؟

لِنُبَیِّنَ لَکُمْ نفهم من معانیها: سنبیّن لکم قدرتنا علی بعثکم بعد الموت، من خلال ما سنبیّنه لکم من قدرتنا علی خلقکم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلّقة، و غیر مخلّقة. و قد تبیّن الیوم لکلّ عالم أحیاء، مدی الإعجاز و القدرة فی خلق المخلوقات الحیّة، فلما ذا یشکّ بعضهم إذا فی قدرة الخالق علی إعادتها مرّة أخری إلی الحیاة؟ لا سیّما و أن العلم یأخذ بالمسلّمات التالیة: لکلّ سبب مسبّب، و لکلّ مخلوق خالق، و لا شیء یتولّد من العدم ... فالآیة الکریمة أعلاه هی من آیات الحوار مع کلّ من یشکّ فی البعث. و لا- إیمان صادق من غیر یقین بالبعث، لذلک فهی من البراهین العلمیّة المادّیة الدامغة التی یجب أن یتزوّد بها الدعاة فی جدالهم مع

من علم الطب القرآنی، ص: ۵۹

المشکّکین بالله و القرآن الکریم و البعث. و هذه الطریقة فی الدعوة و الحوار و الجدال هی ما أسمیناه بالجدلیة المنطقیة العلمیة فی القرآن الکریم.

۴- طور العظام فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً

و هو طور سریع یبدأ منذ الأسبوع السابع من الحمل، و فیه یتحوّل قسم من الکتل البدنیة- أی sclerotomes التی أعطت الجنین شکل المضغة- من أنسجة غضروفیة إلی أنسجة عظمیة، لتشکّل العمود الفقری و بقیّة الهیکل العظمی.

۵- طور اللحم فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً

هذا الطور یبدأ فی الأسبوع الثامن من الحمل، حیث یتحوّل القسم الباقی من الکتل البدنیة (myotome) إلی عضلات تکسو العمود الفقری، کما أن عظام الأطراف تکسی فیه بالعضلات.

منذ عشر سنوات، صوّر العالم الأسوجی (لینارد نلسون Lennard Nilsson) مختلف مراحل تخلّق الإنسان، منذ بدء الحمل و حتی الولادة، و نال علی عمله المتقن جائزة نوبل للتصویر الطبّی. فقد استطاع هذا المصوّر العالم أن یلتقط صورا رائعة للجنین فی طور النطفة و المضغة و العلقة، و طور تکوّن العظام الذی یسبق بأسبوع فقط طور اکتساء العظام باللحم. و التأمّل فی الصّور یغنی القارئ عن الشرح. و لقد سأله محقّق صحفی: هل تعتقد بوجود الله بعد عملک الطویل الذی استغرق ثلاث سنوات فی تصویر أطوار الجنین؟ فکان جوابه ما ترجمته الحرفیّة: «بعد أن تتّبعت بالصّور مختلف مراحل تخلّق الجنین، منذ أن بدأ کخلیّة واحدة إلی أن خرج بعد تسعة أشهر من رحم أمّه، أنا لا أستطیع إلا أن أقرّ و أعترف بأن ید الله هی وراء عمل کلّ خلیّة من خلایا الجنین».

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۰

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً طور العظام (منذ الأسبوع السابع) صورة حقیقیة لعظام الیدین و الرّجلین کما تظهر فی الجنین خلال الأسبوع السابع من الحمل (طوله ۳۳ ملم) و قبل أن یکسوها اللحم و منعا لأی التباس فإن هذه الصور أخذت بآلات تصویر عادیة دقیقة جدّا و لیس بالأشعة المجهولة، و لو کان اللحم یکسو العظام أو تکوّن قبلها لما ظهرت العظام کما تبدو أعلاه

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۱

۶- طور التسویة ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ

ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی. الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّی یمتدّ هذا الطور من بدایة الشهر الثالث حتی الولادة، و خلاله یسمّی الجنین حمیلا. و هو طور التسویة، أی إعطاء الشکل الإنسانی للجنین، بعد أن کانت الأطوار السابقة، من طور النطفة، إلی العلقة

إلی المضغة، إلی العظام، إلی اللحم، أطوار خلق و تجمیع و تعدیل فی أعضاء الجنین.

و لقد بیّن علم الأجنّة المقارن (embryologiecomparee) أن مختلف الأجنة عند الفقریّات (vertebres) تمرّ فی مرحلة معیّنة من تطوّرها بأطوار لا یستطیع خلالها أیّ عالم أجنّة أن یفرّق بینها و بین الجنین الإنسانی فی الشکل، حتی الأسبوع السابع أو الثامن، حین یأخذ الجنین عند الإنسان شکله الإنسانی الذی یمیّزه عن بقیّة أجنّة الفقریات. و هنا یمکن الإعجاز العلمی فی قوله تعالی ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ (المؤمنون ۱۴) أی أنشأناه فی خلق یختلف فیه عن بقیّة المخلوقات.

و استنادا إلی هذا التشابه فی الشکل الخارجی بین جنین الإنسان و بقیّة الفقریّات، بنی أنصار نظریّة التطوّر کداروین و غیره فرضیّتهم الخاطئة بتطوّر الإنسان من الفقریّات. و جاء علم الوراثة لا حقا لیبیّن أن لکلّ مخلوق حیّ ثروته الوراثیّة الخاصّة به و المختلفة عن تلک التی لغیره. و هذه الثروة الوراثیة توجد فی الوقت الذی تتشکّل فیه البویضة الملقّحة. لا بل إن تشابه أجنّة الفقریّات فی مرحلة معیّنة من تطوّرها، هو دلیل منطقی علی أن الصانع واحد هو المولی سبحانه و تعالی. فکلّ المخلوقات من جماد و أحیاء هی فی أسس ترکیبها من نفس العناصر (molecule) و الذرّات (atome) و الجسیمات. و هل هناک صاحب منطق یستطیع القول بأن هذه العناصر و الذرّات أوجدت نفسها بنفسها؟ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (الطور ۳۵).

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۲

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّی ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ تتماثل أجنّة الفقریّات فی بعض أطوارها خلال تخلقها، ثم تختلف بدءا من مرحلة التسویة الخاصة بکلّ نوع. و قد اعتمد داروین و أنصاره فی فرضیتهم فی تطور المخلوقات هذا التماثل لتأیید نظریّتهم. أ لیس من المنطق الصحیح القول بأن هذا التماثل خلال أطوار التخلّق هو دلیل علی وحدة الصانع، المولی سبحانه و تعالی؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۳

و المؤسف أن نظریّة داروین فی تطوّر الأحیاء، و هی نظریّة خاطئة تلقّت ضربات موجعة من مختلف فروع علم الأحیاء، لا تزال تدرّس فی مدارسنا و جامعاتنا و یعتبرها بعضهم حقیقة علمیّة، فی حین أن تدریسها منع فی أکثر الجامعات الغربیة منذ سنوات.

[۷- طور الخروج الحمیل من رحم أمّه] فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ

وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ یخرج الحمیل من رحم أمّه بعد تسعة أشهر لوحة حیّة، هی من أبدع اللوحات الحیّة التی أحکم تسویتها أَحْسَنُ الْخالِقِینَ، بعد أن وضع فیها منذ الیوم الأوّل للحمل أسسها، و قدّر فیها أدقّ مراحل خلقها و تسویتها. ذاک أن کل المستقبل البیولوجی للإنسان، منذ بدء تکوّنه حتی مماته، مقدّر سلفا فی بویضة ملقحة، لا یزید قطرها عن عشر المیلمتر الواحد، و لا یزید وزنها عن جزء من المیلیون من الغرام. ثم ینمّی الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ (الحشر ۲۴) الجنین و یوسّع خلقه و یعدله، و أخیرا یسوّیه فی الجنین و الحمیل، فإذا هو بعد تسعة أشهر لوحة حیّة لا أروع و لا أبدع، لوحة حیّة بطول خمسة و خمسین سنتیمترا و عرض و عمق قیاس کلّ منهما عشرة سنتیمترات أو یزید، وزنه ثلاثة آلاف غرام. و من درس علم الأجنّة یعرف جیّدا ما عنینا بکل کلمة مما تقدم.

و لا نستطیع التعلیق أمام الوصف القرآنی العلمی الإعجازی للتسلسل الزمنی فی تکوّن الجنین و الحمیل، من مرحلة النطفة، إلی العلقة، و المضغة، و العظام، و اللحم، و التسویة، و قد جاء علم الجنین الوضعی فی القرن العشرین یؤکّد ذلک بالصور و من خلال المجهر، اللهم إلا التذکیر بقوله تعالی: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (فصّلت ۵۳)، و التسبیح مع الحبیب المصطفی علیه الصلاة و السلام بقولنا ما تعلّمناه منه و هو: «سبحانک اللهم و بحمدک، بلی، لا أحصی ثناء علیک، أنت کما أثنیت علی نفسک».

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۴

فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ طور الکسوة باللحم (العضلات) (الأسبوع الثامن) و طور التسویة (منذ الأسبوع التاسع إلی أواخر الشهر السادس) جنین فی الشهر الرابع من عمره طوله ۱۶ سم، و قد بدت معالمه الإنسانیة واضحة مما یسهل تفریقه عن أجنة بقیة الفقریات

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۵

یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ صورة رائعة لجنین فی الأسبوع الرابع من عمره طوله سبعة ملیمترات و هو فی طور المضغة المخلقة و غیر المخلقة، کما استطاعت أن تصوره عدسة المصوّر الطبی «لینارد نلسون».

لو مضغ الإنسان قطعة لحم و لم یستسغ بلعها بل رماها خارجا، هل من فرق بینها و بین هذا الجنین فی مرحلة المضغة؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۶

مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ جنین فی الأسبوع الخامس من عمره فی طور المضغة: طوله لا یتجاوز ۸ ملیمترات.

و نلاحظ فی القسم السفلی فیه الکتل البدنیة التی تعطیه شکل المضغة

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۷

فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً صورة رائعة لأصابع الرّجلین و قد ظهرت جلیّا العظام و قد بدأ اللحم یکسوها الأسبوع الثامن من الحمل (۳۵ ملیمترا)

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۸

وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً وَ یُرِیکُمْ آیاتِهِ فَأَیَّ آیاتِ اللَّهِ تُنْکِرُونَ سبحان الذی لا تبدیل لکلماته فلقد رأی الإنسان فی أواخر القرن العشرین عظام الجنین و کیف ینشزها الخلّاق العظیم و یکسوها لحما

من علم الطب القرآنی، ص: ۶۹

یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ.

(الانفطار ۶- ۸) «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث الله ملکا فقال یا ربّ مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما ... و إن قیل مخلّقة قال أی ربّ شقیّ أم سعید؟ ما الأجل، ما الأثر، و بأیّ أرض یموت؟» (عن عبد اللّه بن مسعود، أخرجه ابن أبی حاتم و غیره) «عجبت لمن شکّ فی الله و هو یری خلق الله، و عجبت لمن نسی الموت و هو یری الموت، و عجبت لمن أنکر النشأة الأخری و هو یری النشأة الأولی».

(عن علی بن أبی طالب سلام الله علیه و رضی عنه و أرضاه)

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۱

الفصل الثالث وقفات علمیّة مع آیات کریمة

الوقفة الأولی فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ

اشارة

نظر الإنسان من خلال المجهر، منذ القرن السابع عشر و لا یزال، إلی الماء الذی یتخلّق منه الجنین، و اکتشف و لا یزال یکتشف ما یذهل فی هذه الملیلیترات القلیلة التی تخلّق من بعضها. و هذه بعض التفاصیل العلمیة المبسّطة لما یتألّف منه ماء الرجل و ماء المرأة:

۱- ماء الرجل:

یقذف الرجل، حین الجماع أو الاستمناء، بضعة ملیلیترات (۵، ۳ ملیلیتر) من المنیّ الذی یتألّف مما نسبته ۸۵٪ من الماء و ۵٪ من عشرات المواد الکیمیائیة و هرمونات و أملاح معدنیة و غیرها- و قد کشف العلم عن بعضها و لا یزال کل یوم یکشف الجدید عنها- و ۱۰٪ من السلالات، أی مجموعة الحیوانات المنویّة، و تعدادها عادة مائة ملیون فی المیلیلیتر الواحد (علما أن واحدا منها فقط یلقّح البویضة، إلاـ أن البقیة لها دورها فی عملیة التلقیح، حتی إذا کان المنیّ خالیا منها، أو قلّ عددها عن العشرین ملیونا فی المیلیلیتر الواحد، و کانت قلیلة الحرکة سریعة الموت، أصبح ماء الرجل عقیما). فالنطفة إذا لا تعطی نسلا إلا إذا أمناها الله، بمعنی قدّرها خلقا:

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۲

وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی. مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (النجم ۴۵، ۴۶) و لا نسل للرجل إلا بوجود السلالة فی مائة. و نذکر بأن علم الجنین لم یعرف دور السلالة الأساسی فی عملیة الإنجاب، إلا فی القرن التاسع عشر.

أما التنزیل فقد أشار إلی هذا الدور فی قوله تعالی: مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (النجم ۴۶)، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (السجدة ۸).

۲- ماء المرأة:

نظر الإنسان إلی ماء المرأة لأول مرة فی سنة ۱۶۷۲، حین اکتشف الطبیب (دوغراف Degraff (حویصلة البویضة () Folliculede Degraff(و هی جسیم یوجد فی مبیضی المرأة، لاـ یتجاوز قطره المیلیمتر، تسبح فی داخله سلالة المرأة محاطة بماء الحویصلة (liquidefolliculaire (. و یحوی مبیضا الأنثی عادة ملیونی سلالة (بویضة) عند ولادتها یبقی منها ثلاثون أو أربعون ألفا عند بلوغها سن النضج الجنسی، و لاـ یخرج من المبیض فی أواسط کل دورة شهریة إلا سلالة أو اثنتان، هو ما تمنیه (هنا بمعنی تفرزه) دوریّا، فتشکّل مع الخلایا التی تحیط بها و الماء الذی تسبح فیه: ماء المرأة.

الوقفة الثانیة أَ فَرَأَیْتُمْ ما تُمْنُونَ. أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ

اشارة

بعد أن رأی الإنسان حقیقة ما یمنی فی القرن العشرین من خلال المجهر و التحالیل الکیمیائیة الطویلة المعقّدة، لا یستطیع کل ذی عقل و منطق إلاـ أن یقرّ و یعترف بوجود خالق قادر أنشأه و قدّره و خلقه و سوّاه من خلیّة واحدة، نتجت عن اتّحاد سلالة المرأة و الرجل. و بما أن الخالق أمرنا بأن نری حقیقة ما نمنی و نری بأعیننا ممّ تخلّقنا، فلا بد من بعض التفاصیل العلمیة المبسّطة عن سلالة المرأة و الرجل، إذ ربما وجد بعضهم فی هذا دلیلاـ إیمانیّا لمن طلبه: وَ فِی الْأَرْضِ آیاتٌ لِلْمُوقِنِینَ. وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (الذاریات ۲۰، ۲۱).

۱- سلالة الرجل:

یوجد فی منیّ الرجل المخصب من ۵۰ إلی مائة

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۳

فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ سلالة المرأة (قطرها ۱۰/ ۱ ملم) و قد أحاطت بها سلالات الرجل، کما تبدو تحت المجهر حین التلقیح

الاصطناعی

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۴

أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ نطفة الرجل كما تظهر تحت المجهر «ابن آدم أنّى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه» (حديث قدسى)

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۵

مليون سلالة فى المليليتر الواحد. لا يصل منها إلى سلالة المرأة إلا بضع مئات أو آلاف، أما البقيّة فتموت لكنها تلعب دورا فى عملية التلقيح، لذا يكون ماء الرجل قليل الخصوبة أو غير مخصب إذا قلّ عدد السلالة عن عشرين مليونا فى المليليتر الواحد. و سلالة الرجل تبدو تحت المجهر مثل جسيم طوله ۵۰ مكرونا (كلّ ألف مكرون يساوى مليمترا واحدا) ذى رأس مدبّب منتفخ من طرفه الأمامى، تماما كقذيفة خارقة (انظر الصورة)، و له ذنب طويل ذو حركة شبه لولبية تمكّنه من السباحة فى السائل المنوى و التحرك السريع فى الأعضاء الجنسية عند المرأة، حتى يصل إلى الثلث الخارجى من أنبوب الرحم حيث يلتقى بسلالة المرأة، فيحصل التلقيح و الحمل. و التجارب الحديثة أثبتت أن السلالات المنويّة تقطع هذه المسافة الطويلة جدّا فى الأعضاء الجنسية عند المرأة فى خمس دقائق، و بعضها فى خمسين دقيقة. و أما المسافة ما بين مهبل المرأة حيث يقذف المنىّ عادة، و المكان الذى يتمّ فيه التلقيح فى أنبوب الرحم، فلا تتجاوز عشرين سنتيمترا تقطعها عادة سلالة الرجل فى خمس دقائق أو خمسين دقيقة حسب قوّتها و حيويّتها، فتكون سرعة السلالة فى الدقيقة الواحدة بين ۴- ۴۰ مليمترا، علما أن طولها لا يتجاوز جزءا من عشرين من المليمتر، فسبحان الخالق!!!

۲- سلالة المرأة:

فى أواسط الدورة الشهرية يقذف مبيضا المرأة بالسلالة أى ببويضة المرأة، نتيجة نضوج ثم انفجار إحدى الحويصلات التى تحوى سلالة المرأة، فيتلقّفها بوق أنبوب الرحم. و سلالة المرأة خلية واحدة هى من أكبر خلايا الجسم، و تبدو تحت المجهر مستديرة الشكل كالبدر الكامل محاطة بطبقتين من الخلايا التى تحميها، كما تسبح فى بضعة مليليترات من الماء الحويصلى الذى يقذف معها نتيجة انفجار حويصلتها. و السلالة مع طبقتى الخلايا التى تحيط بها، و الماء الذى تسبح فيه تشكّل ماء المرأة أو نطفتها.

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۶

أما لما ذا تنضج سلالة واحدة من بين آلاف السلالات الموجودة فى المبيض، و تخرج دوريّا كل شهر، فالعلم لم يكشف أبعاد ذلك بعد. و أما العمليّات الهرمونية الكيميائية المعقّدة التى تتدخّل فى نضجها و انفجار حويصلتها و انتقالها إلى بوق الرحم، فهى من أجمل و أصعب و أعقد العمليّات الوظيفيّة و تهمّ المختصّين فقط. و العقلاء من علماء الأحياء اليوم يقرّون بأنه ليس باستطاعة العلم أن يخلق جزءا من نواة خليّة رغم معرفتهم بكثير من دقائق تركيبها، و من هنا نفهم معنى التحدّى القرآنى القائم إلى يوم الدين فى قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (الواقعة ۵۸، ۵۹).

الوقفة الثالثة خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ

استمناء الرجل واضح (أى يشكّل ماء دافقا) و لا يتطلّب المزيد من التعليق العلمى، لكن القلّة من غير أصحاب الاختصاص هى التى تعرف الخفايا العلميّة لنضوج سلالة المرأة و كيف أن المبيض يقذف السلالة دوريّا كلّ شهر بشكل ماء دافق. و العلم لم يعرف هذه الحقائق إلا فى القرن العشرين:

فسلالة المرأة التى ستنضج فى إحدى مبيضيها تسبح داخل جريب البويضة الذى يحوى سائلا يتزايد ضغطه تدريجيّا حتى يصل، ما بين اليوم الثانى عشر و الرابع عشر من الدورة الشهريّة، إلى درجة من الضغط (۱۵ مليمترا زئبقيا) تنفجر عنده حويصلة البويضة و قشرة

المبیض فی أضعف نقطة منهما، فیقذف بالسلالة، و الخلایا الحامیة لها و المحیطة بها، و قلیل من ماء الحویصلة، إلی تلافیف بوق أنبوب الرحم، فیتلقّفهما مثل بذور بعض النباتات التی یتفجّر غلافها عند ما تبلغ مرحلة النضج.

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۷

فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ. یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ رسم تشریحی للنخاع الشوکی یبیّن مصدر أعصاب الانتصاب النفسیeuqihcysP( ) noitcerE و القذف (noitallcajE(عند الرجل فی منطقة من النخاع الشوکی الظهری موجودة ما بین الصلب و الترائب

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۸

الوقفة الرابعة الصلب و الترائب خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ

اشارة

الترائب جمع تریبة و هی الأضلاع الصدریة (seuqicarohtsetoc).

و الصّلب هو مجموعة الفقرات التی تؤلّف العمود الفقری (ennoloc elarbetrev(.

و الترائب و الصلب مع عظم القصّ (munrets(تشکّل ما یسمّی تشریحیّا بالقفص الصدری.

إن الآیة الکریمة لا یمکن فهمها إلا علی ضوء علم الأجنّة و التشریح، و وظیفة الأعضاء عند الرجل و المرأة. و هذه بعض التفاصیل العلمیة، التی تشرحها:

۱- تخلّق الأعضاء الجنسیّة:

فی الأسبوع الثامن من الحمل تأخذ مجموعة الخلایا التی ستؤلّف لا حقا الأعضاء الجنسیة مکانا فی القسم العلوی من الجنین، حیث ستتکوّن لا حقا عظام الصلب و الترائب، أی فی القفص الصدری. و لا تنزل الخصیتان إلی جرابهما، و المبیضان إلی حوض المرأة إلا فی مراحل لاحقة.

۲- و من الوجهة الوظیفیة:

إن مصدر الأوامر العصبیة التی تتحکّم بالانتصاب النفسی و عملیة القذف عند الرجل، هو فی النخاع الشوکی الظهری (۹D ۰۱D ۱۱D elasrod elleom (، و هو الموجود داخل عظام الصلب و الترائب.

(لاحظ الإعجاز الدقیق فی قوله تعالی: مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (الطارق ۷)، و لیس من الصلب و الترائب کما ظنّ بعضهم و ذهب فی تفسیره لهذه الآیة مذاهب شتی. ذاک أن کلّ إصابة مرضیّة فی النخاع الشوکی الصدری، فی مرکز الانتصاب و القذف الموجود بین الصلب و الترائب، تجعل من الرجل عاجزا جنسیّا و ذلک بفقدانه الانتصاب النفسی و القذف.

من علم الطب القرآنی، ص: ۷۹

فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ. یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ ...

رسم تشریحی للورید و الشریان المنوی اللذین یمدّان الخصیة بالدم یبیّن نشأتهما من الشریان الأورطی و الورید التجویفی السفلی فی مکان یوجد بین الصلب (العمود الفقری) و الترائب (الأضلاع)

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۰

۳- إن الأوعیة الدمویة

التی تمدّ الجهاز التناسلی بالغذاء عند الرجل و المرأة، تبدأ فی مکان هو، تشریحیا، بین الصّلب و الترائب، أی من الشریان الأبهر (aorta) و الورید التجویفی السفلی (inferior vena cava)، و کلّ إصابة فی هذه الأوعیة الدمویة تعیق أو تمنع عملیّة القذف عند الرجل، و الإباضة عند المرأة. فلا ماء دافق لدی أیّ إصابة أو تلف فی المراکز العصبیة، أو الأوعیة الدمویة التی تمدّ الأعضاء الجنسیة بالإحساس و التغذیة، لأن الأعصاب و الأوعیة الدمویة الخاصّة بالأعضاء الجنسیة لها دور رئیسی فی عملیة قذف المنیّ عند الرجل و المرأة علی حدّ سواء. أما مصدر هذه الأعصاب و الأوعیة الدمویة فهو من بین الصلب و الترائب.

و الآیة الکریمة التی نحن بصددها، و التفاصیل العلمیّة المبسّطة التی ذکرناها تشرح معنی الآیة الکریمة التی هی من مثانیها: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا، أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِینَ (الأعراف ۱۷۲). فکلّ شیء فی الإنسان بدءا من نطفته و انتهاء بدماغه و مرورا ببقیّة أعضائه، یشهده علی وجود الخالق. و کلّما ازداد الإنسان العاقل علما، ازداد إیمانا و یقینا بوجود المولی.

لذلک خاطب المولی فی کثیر من آیاته قوما یعلمون و یفقهون و یسمعون و یعقلون: إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْعالِمِینَ .. إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ (یونس ۶۷، الروم ۲۳) .. إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ* (الرعد ۴، النحل ۱۲، الروم ۲۴) .. قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ (الأنعام ۹۸) ....

الوقفة الخامسة الظلمات الثلاث

اشارة

یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُصْرَفُونَ أولا: فی التوقّف عند کلمة بُطُونِ، و جملة خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۱

خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ الإباضة: لقطة حقیقیة رائعة لنطفة المرأة عند خروجها من المبیض بعد انفجار حویصلة البویضة، و قبل أن تتلقّفها تلافیف بوق أنبوب الرحم رسم فنی توضیحی لانفجار حویصلة البویضة (الإباضة) و المبیض و بوق أنبوب الرحم

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۲

(الزمر ۶)، و علی ضوء علم الجنین الوضعی، تتبیّن لنا الأبعاد العلمیة الإعجازیة فی الآیة الکریمة أعلاه و هی:

۱- إن تخلّق الجنین کما تنصّ هذه الآیة الکریمة یبدأ فی بطون أمّهاتنا، و الظلمات الثلاث یجب أن تکون فی البطن و لیس فی الرحم فقط، کما فسّر بعضهم ممن تعرّض لشرح الآیة الکریمة أعلاه.

۲- جملة خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ تضعنا فی صورة تطوّریة دینامیکیة متحرّکة للمراحل التی یمرّ فیها الجنین داخل الظلمات الثلاث، بمعنی أنه ینتقل من ظلمة إلی ظلمة إلی ظلمة خلال تطوّره.

۳- لذلک نری أن قول بعضهم بأن الظلمات الثلاث هی ظلمة عضلات البطن کظلمة أولی، و ظلمة تجویف الرحم کظلمة ثانیة، و ظلمة السائل الأمینوسی الذی یحیط بالجنین حتی الولادة کظلمة ثالثة، یعطی تفسیرا غیر دقیق من الوجهة التشریحیة. و القول بأن الظلمات الثلاث هی ظلمات الأغشیة التی تحیط بالجنین داخل الرحم، یحمّل النصّ القرآنی ما لم ینصّ علیه: فلقد حدّدت الآیة أن

تخلّق الجنین یمرّ فی ظلمات ثلاث، فی بطون أمّهاتنا، و لیس فی أرحام أمّهاتنا.

و الرحم جزء من البطن و لیس البطن کلّه. کما أن للأغشیة المحیطة بالجنین ظلمة واحدة و لیس ظلمات ثلاث.

۴- نحن نری- و الله أعلم- أن الظلمات هی من حیث تسلسلها الزمنی و المرحلی کالتالی:

أ- الظلمة الأولی:

هی ظلمة تجویف أنبوب الرحم (-ac al ed etirucsbo eriabut etiv) حیث یبدأ الحمل عادة، إذ تلتقی، سلالة الرجل مع سلالة المرأة فی الثلث الخارجی من الأنبوب ثم تنصهر بها. و هذه ظلمة مرحلة التلقیح (noitadnocefaled etirucsbo).

ب- الظلمة الثانیة:

هی ظلمة تجویف الرحمetivacaled eirucsbo)

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۳

رسم توضیحی للمبیض و بداخله حویصلات البویضة و أنبوب الرحم

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۴

(eniretu . و هی ظلمة طور العلقة عند ما تتعلّق البویضة الملقّحة التی بدأت بالتکاثر و الانقسام بالغشاء الداخلی للرحم، ثم تختفی وراءه بعد الیوم السابع من الحمل.

ج- الظلمة الثالثة:

هی ظلمة الأغشیة و السائل الأمینوسی التی تحویه (euqitoinmaeqiuqil ud etirucsbo) حیث یسبح الجنین إلی حین الولادة. و تجدر الإشارة إلی أن هذه الظلمات هی تجاویف لها تحدید تشریحی، بالإمکان رؤیتها الیوم بما توصّلنا إلیه من کشوفات علمیة بواسطة آلات التنظیر الجوفی (eipocsodne(بعد إنارتها.

و نشیر هنا إلی أن هذه الآیة الکریمة لم تتبیّن أبعادها العلمیة إلا فی القرن العشرین، و هی من البراهین العلمیة المنطقیة العدیدة فی القرآن الکریم التی تثبت أنه من لدن الله الحکیم العلیم. فمن علّم الرسول الکریم علم التشریح و علم الأجنّة؟ و فی أیّة کتب فی الطبّ عند الأقدمین توجد معلومات عن ظلمة الأنبوب و ما یحصل فی داخله، أو ظلمة طور العلقة؟ و کلّ هذه العلوم علوم تشریحیّة تتطلّب وجود مجهر و آلات تنظیر جوفی، و هذه الحقائق العلمیّة لم یکتشفها الإنسان قبل القرن العشرین.

ثانیا: المولی سبحانه و تعالی یدلّنا علی شیء من قدراته فی آخر هذه الآیة الکریمة ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُصْرَفُونَ فمن أراد أن یعرف شیئا عن قدرات الله، فلیدرس تخلّق الإنسان من خلال علم الجنین الوضعی، و سیری کیف یتطوّر الخلق فی ظلمات ثلاث. و من أراد الیقین بأن القرآن الکریم هو کلام الله، فلیدرس تاریخ اکتشاف المعلومات فی علم الجنین الوضعی، و سیعلم بأن الظلمات الثلاث التی یمرّ خلالها الجنین فی بطن أمّه لا یعرفها منذ خمسة عشر قرنا إلا خالق الجنین سبحانه و تعالی. و من تسرّب إلی نفسه الشکّ بأن الرسول الکریم علیه الصلاة و السلام نقل معلومات الظلمات

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۵

ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً رسم توضیحی لقناة الرحم (الأنبوب) و الرحم یبین الظلمتین الأولی و الثانیة التی یمرّ فیهما الجنین

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۶

الثلاث من کتب الأقدمین، نسأله أن یدلّنا علی هذه الکتب التی نجد فیها هذه المعلومات الدقیقة، التی لم یکتشفها الإنسان إلا فی القرن العشرین.

ثالثا: هذه الآیة الکریمة تعطی مثلا عمّا أسمیناه بالجدلیّة العلمیة المنطقیة القرآنیّة، بمعنی أن المولی یربط الدلیل المنطقی علی وجوده ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُصْرَفُونَ (الزمر ۶) من خلال دلیل إعجازی سبق ما کشفه العلم الإنسانی بقرون بقوله یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ (الزمر ۶).

رابعا: الرحم هو العضو الطبیعی الذی أهّله المولی لیستقرّ فیه الجنین لبعض الوقت: وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی (الحج ۵)، اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ (الرعد ۸)، وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ (لقمان ۳۴) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (المؤمنون ۱۳). إلا أنه یوجد حالات استثنائیة نادرة جدّا یستقرّ الجنین فیها فی أحشاء أمّه خارج الرحم و ینمو فیها. و هناک ۲۴ حالة حمل منشورة فی المجلّات الطبّیة لنساء استؤصلت أرحامهن و بالرغم من ذلک حصل لهن حمل. و قد وضعت واحدة من هذه النسوة طفلا طبیعیّا بعد أن أجریت لها عملیة قیصریة. و هناک ألف حالة نادرة فی العالم حصل الحمل فیها خارج الرحم أی فی أحشاء البطن. و فی تسعین حالة منها نما الجنین نموّا طبیعیّا و خرج حیّا من بطن أمّه بواسطة عملیّة قیصریّة. علی ضوء هذه الحالات الطبیّة النادرة نلاحظ الإعجاز العلمی فی قوله تعالی یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ، و هو یشمل الإشارة إلی هذه الحالات النادرة من تخلّق الجنین فی بطن أمّه و خارج رحمها.

أما التجارب التی یجریها الیوم بعض الأطبّاء من المصابین بهوس الجنون العلمی، علی ما أسموه ب «حمل الرجال»، إذ یحاولون زرع النطفة الملقّحة فی أحشاء الرجل، فهی تجارب لن یکتب لها النجاح لأنها تتعارض مع قوله تعالی یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ فلیجرّبوا ما شاءوا و لیذهب بهم الشّطط العلمی کلّ مذهب!

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۷

یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ، خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُصْرَفُونَ الظلمة الأولی: صورة حقیقیّة للبویضة و قد استقرّت بین تلافیف الأنبوب خلال الظلمة الأولی من الظلمات الثلاث التی یمرّ فیها الجنین تتابعا

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۸

یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُصْرَفُونَ الظلمة الثالثة الناتجة عن غشاء السلی و السائل الأمینوسی الذی یسبح فیه الجنین [الأسبوع السادس (۱۵ ملم)]

من علم الطب القرآنی، ص: ۸۹

یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ وجه جنین فی الأسبوع السادس من الحمل من دعاء الرسول الکریم فی سجوده: «سجد وجهی للذی فطره و صوّره و شقّ سمعه و بصره» فمن علّم الرسول الکریم إلّا الخالق بأن تخلّق العینین و الأذنین یبدأ بشقّ فی الوجه کما هو ظاهر فی الصورة أعلاه؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۰

الوقفة السادسة هذا الخصیم المبین یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ

کلّما قرأت هذه الآیات الکریمة، و تعمّقت فی دراسة الجنین، اخذتنی سبحة روحیة، ففاضت عیناى دمعا محبة و شکرا و خشوعا لکرم الخالق و حلمه، و تألّمت روحی لجحود الکافر و نکرانه.

تأمّل هذا الخطاب المؤثّر، و ممّن؟ و إلی من؟ من الکریم: اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ الرَّحْمنُ الرَّحِیمُ الْمَلِکُ

الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ (الحشر ۲۲- ۲۴). و إلى من؟ إلى الإنسان، إلى هذا الخصيم المبين، الظلوم الجهول، الهلوع الجزوع، المنوع القتور، اليئوس الكفور، الفرح الفخور، المجادل الضعيف، المفسد فى الأرض سفّاك الدماء، إلا القلّة ممن هدى و اهتدى ...

عجيب أمر هذا الخصيم المبين: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (يس ۷۷) خلق من خليّة واحدة فتحوّلت بعد تسعة أشهر إلى مائة ألف مليار خليّة تقريبا، و قد علم ذلك و رآه رؤية العين. و مع ذلك فمن الناس من ينكر وجود الخالق علنا، و إن لم يكن بإمكانه أن ينكر ذلك فى سريرته عند ما يخلو بنفسه: وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى (الأعراف ۱۷۱).

غريب أمر هذا الظلوم الجهول: إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا (الأحزاب ۷۲) بدأ بنطفة لا يتجاوز قطرها عشر المليمتر الواحد، فازداد طوله خمسة آلاف مرة بعد تسعة أشهر، و قد علم ذلك و رآه. و بالرغم من هذه المعرفة، فمن الناس من أرجع وجود الإنسان إلى نظريّات واهية كالصدفة و التطوّر و التولّد من العدم ...

من علم الطب القرآنى، ص: ۹۱

محيّر أمر هذا الظلوم الكفّار الأكثر جدلا: إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (إبراهيم ۳۴). وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (الكهف ۵۵). بدأ من خليّة خاصّة، الخليّة الجنسية، أو النطفة الأمشاج، فتخلّق منها بعد تسعة أشهر ما يزيد على مائة نوع من الخلايا المتخصّصة، كالخليّة العصبية و البصرية و السمعية و القلبية و العظمية و غيرها. عرف شيئا من نعم الله التى لا تعدّ و لا تحصى عليه، و مع ذلك نرى أكثر الناس كما وصفهم ربّ العالمين لا يشكرون وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (سبأ: ۱۳).

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس ۱۷- ۱۹). علم إنسان القرن العشرين أن أدقّ تفاصيل الخلق و التخلّق و المستقبل البيولوجى للجنين، مقدّر سلفا فى نطفة أمشاج، وزنها لا يتجاوز جزءا من المليون من الغرام تقريبا. يصبح قدرها ألف مليون مرّة بعد تسعة أشهر، و هو وزن المولود التقريبى (۳۰۰۰ غرام). علم أدقّ تفاصيل التخلّق فى خلقه و تناسى وجود الخالق و وجوب شكره! ...

عجيب غريب محيّر أمر هذا الضعيف: وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً (النساء ۲۷) خلق من ضعف، من النطفة الأمشاج، و يبقى ضعيفا أمام أضعف المخلوقات: فقد تقتله مورثة ممرضة (enegohtapeneG))مادّة كيمائية هى جزء من حمض أمينى لا- يتجاوز طوله بضعة أجزاء من مليار من المتر)، و قد يقتله مرض فيروسى أو مكروبى أو طفيلى، تسبّبه مخلوقات حيّة و مجهريّة لا يزيد طولها أو قطرها عن بضعة أجزاء من الألف من المليمتر الواحد، أو جلطة دموية أو دهنيّة لا يتعدّى حجمها حبّة خردل، و مع ذلك فقليلون هم الذين آمنوا و التزموا بتعاليم من هو وراء كلّ ذلك المحيى المميت الله سبحانه و تعالى وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (الرعد ۱).

و لما ذا العجب؟ و لما ذا أعجب؟ و هناك حديث قدسى تهتزّ له طربا و خشوعا كلّ خلية فى جسدى عند ما أردّده فى نفسى، خاصّة بعد أن اطّلعت

من علم الطب القرآنى، ص: ۹۲

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى صورة مكبّرة لوجه جنين فى الأسبوع الخامس من الحمل (و طوله لا يتجاوز ۱۳ ملم)

من علم الطب القرآنى، ص: ۹۳

على شىء من علوم الجنين و الوراثة و الحياة و النفس و الاجتماع، و بعد أن تأمّلت فى طباع الكثيرين من الناس بحكم المهنة، فوجدت أن الحديث القدسى الآتى يختصر تاريخ أكثرهم من الوجهة البيولوجية و النفسية و الاجتماعية و السلوكية و الإيمانية:

أخرج الإمام أحمد فى مسنده، و روى ابن ماجة فى سننه: أن رسول الله عليه الصلاة و السلام بصق يوما فى كفّه فوضع عليها إصبعه ثم قال: «يقول الله عزّ و جل: ابن آدم أنّى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سوّيتك و عدلتك، مشيت بين برديك و للأرض منك وئيد، فجمعت و منعت، حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدّق، و أنّى أوان الصدقة؟».

الوقفة السابعة الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ

التعدیل فی خلق الإنسان

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولًا (الأحزاب ۷۲).

قبل الإنسان الأمانة، أی السیادة علی بقیّة المخلوقات منذ أن عرض المولی هذه الأمانة السیادة علی السماوات و الأرض و الجبال و هی لا تزال فی عالم الغیب. فأشفقت السماوات و الأرض و الجبال من حملها و قبل الإنسان حملها.

لذلک عدّل المولی فی خلقه، فجعله بواسطة هذا التعدیل سیّدا علی بقیّة المخلوقات المسخّرة له بأمر من خالقها: وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ (الجاثیة ۱۳). و سواء قرئت کلمة «عدلک» مشدّدة أو غیر مشدّدة فی قوله تعالی الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (عبس ۱۸) فمعناها- و الله أعلم- أن المولی جعل الإنسان عدلا یستنبط الأشیاء و یزنها بمیزان عدل بواسطة دماغه الذی عدّل المولی فی تکوینه، فزاد فیه ما أسماه علماء التشریح بالدماغ

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۴

الجدید أو الدماغ العاقل المفکّر (uaevrecoen). أما بقیّة الفقریّات من غیر الإنسان فالدماغ الجدید المفکّر عندها صغیر جدّا قیاسا علی دماغ الإنسان، و ذلک علی العکس من الدماغ الحیوانی أو الدماغ القدیم، الذی یشکّل القسم الأکبر من دماغ الفقریّات من غیر الإنسان.

و بما أن الإنسان قبل حمل الأمانة السیادة، فلقد کرّمه الله بأن خلقه بیده و نفخ فیه من روحه، بمعنی من أمره. فالإنسان هو من أمر الله، استنادا إلی تعریف المولی للروح: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی (الإسراء ۸۵). نحن من أمر الله و لسنا من روح الله بالمعنی الذی درج علی فهمه أکثر الناس للروح. فالمولی لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ (الشوری ۱۱). و من الوجهة المنطقیّة لا یعقل أن یشترک مخلوق بصفة ما مع الخالق.

الوقفة الثامنة لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ

اشارة

یتساءل بعضهم، ما دام المولی قد خلقنا فی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ، و صوّرنا فأحسن صورنا: وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ وَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ (التغابن ۳)، فکیف نعلّل الأمراض الوراثیة و هی کثیرة العدد، و الأمراض الخلقیة، کالشلل الدماغی و التأخّر العقلی، و کذلک سائر الأمراض التی تظهر علی الجنین أو المولود بعد أشهر أو سنوات من ولادته، فتجعله متخلّفا عقلیّا أو معوقا جسدیّا و عقلیّا؟ لا بل و ما ذنب الطفل و الولد الذی یصاب بأمراض مکتسبة، کالشلل و الحمّیات الدماغیّة و التورّمات السرطانیة التی تقتله أو تترکه مقعدا أو متخلّفا طیلة حیاته؟

إلی هؤلاء المتسائلین عن حسن نیّة أو عن سوء نیّة، نقول: إِنَّ اللَّهَ لا یَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَ لکِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (النساء ۴۰). و نفصّل ردّنا من الوجهتین العلمیة و الإیمانیة بما یلی:

من الوجهة العلمیة:

أثبت العلم اليوم أن أكثر الأمراض الوراثية و الخلقية

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۵

يتأتّى من مسبّبات هی نتيجة لما كسبت أيدی الأجداد و الآباء من فساد فی أنفسهم و بيئتهم، لأنهم لم يلتزموا بتعاليم الله. و قد أمرهم بأن يحافظوا علی أنفسهم و بيئتهم. و الآيات الكريمة شواهد علی ما نقول، و منها قوله تعالی:

ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِی النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (الروم ۴۱)، ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ (النساء ۷۹): أی إن ولادة طفل معوق أو مشوّه قد تكون نتيجة لما كسبته أيدی الآباء من خروج و شذوذ حملته سلالاتهم فظهر فيها. بمعنی آخر، إن أغلب الأمراض الجنسية التی تنتقل بواسطة العلاقات الآثمة غالبا ما تترك آثارها القريبة أو البعيدة فی النسل. كما أن ولادة طفل معوق أو مشوّه قد تكون أيضا من جهل الأهل بأبسط قواعد الطب الوقائی و الإرشادات الواجب اتباعها خلال فترة الحمل و الولادة. و المولی أمر بالعلم، و سؤال المتخصّصين عما نجهله بقوله تعالی: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ (النحل ۴۳، ۴۴). كذلك يمكن القول إن ولادة طفل معوق أو مشوّه، قد تكون نتيجة لطغيان الإنسان و إفساده للبيئة التی يعيش فيها.

فالتجارب الذريّة و بقايا المواد المشعّة، و ملايين الأطنان من المبيدات، و فضلات المعامل و السيارات التی يطرحها الإنسان فی البر و البحر و الجوّ و دخانها، هی التی أفسدت البيئة، فانتقل مفعولها المدمّر بصورة بطيئة أو سريعة إلی الأحياء و منها الإنسان. و قد أمرنا المولی بأن لا نفسد فی الأرض و الجوّ بقوله تعالی: وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها (الأعراف ۵۶) وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِی الْمِيزانِ (الرحمن ۶، ۷).

من الوجهة الإيمانية:

ما أصاب الطفل من إعاقة أو تشويه، سواء ولد كذلك أو حصل له ذلك بعد ولادته، هو فی الحقيقة فی منتهی الرحمة و العدالة الإلهية. كيف لا، و كلّ معوق أو قاصر لا يحاسب و تكون الجنّة مثواه بعد موته؟

و ما قيمة الحياة الفانية، و هی حياة اختبار و تكليف و بلاء بالنسبة للحياة الأخری

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۶

الباقية الأزلية التی سينتقل إليها الطفل أو الولد المعوق أو المصاب بمرض قاتل؟ أما قول بعض من أهل المرضی المعوقين بأن أطفالهم يتعذّبون فمرفوض، لأن الولد المعوق عقليّا لا يتعذّب و يتألّم كما يتصوّرون. إن عقدهم المرضيّة و انعكاس مشاعرهم و عواطفهم التی لم يهذّبها الإيمان الصحيح علی أولادهم هی التی تصوّر لهم ذلك. فالألم شیء نسبی، و الألم النفسی الذی هو من أصعب الآلام، لا وجود له عند المتأخّر عقليّا، بل وجدنا هذا فی أكثر الأحيان سعيدا و راضيا بما قدّره الله: وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ ...

(الحديد ۱۹). أما المعوق جسديّا فمن الواجب أن نشرح له و لأهله و من يعنی به معنی البليّة من وجهة إيمانيّة، و متی عقل المعوق و أهله معنی البلاء انقلبت المفاهيم الخاطئة لمعنی البليّة. و كثير من المعوقين حمد الله علی بلائه بإعاقته بعد أن شرحنا له معنی البلاء فی المفهوم الإسلامی. (ليرجع القارئ إذا أراد، إلی فصل هويّة المصيبة علی ضوء الهدی القرآنی، فی كتابنا: من علم النفس القرآنی).

الوقفة التاسعة حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِی وَ لِوالِدَيْكَ إِلَیَّ الْمَصِيرُ (لقمان ۱۴).

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً (الأحقاف ۱۵).

الوهن لغة الضعف. قال تعالی: قالَ رَبِّ إِنِّی وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّی (مريم ۴)، وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ (العنكبوت ۴۱).

و الکره: المشقّة. قال تعالی: کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ (البقرة ۲۱۶).

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۷

الحمل و الوضع ضعف و مشقّة لکلّ حامل، إلا أن المولی أهّل المرأة من الوجهة النفسیّة و الشعوریّة و الجسدیّة و العقلیّة لأن تنسی سریعا هذه التجربة الألیمة، فلا یبقی منها إلا الشعور السعید بأنها کانت وسیلة إعطاء الحیاة و استمراریّتها التی اختصّ ها بها الخالق سبحانه فی حکمته و سننه. من هنا کان وجوب تکریمها کما أمر المولی و رسوله. و منذ بدء الحمل حتی الوضع، تتقلّب المرأة فی حالات تصاعدیّة من ضعف إلی ضعف و من وهن إلی وهن، إذ تتغیّر الثوابت البیولوجیّة فی دمها، و کذلک الثوابت الفیزیولوجیة الوظیفیّة للأعضاء، فتتسارع تدریجیّا ضربات القلب، و یتضاعف ما یضخّه یومیّا من الدم من ۶۵۰۰ لیتر فی أوائل الحمل إلی ۱۵۰۰۰ لیتر یومیّا فی أواخره. و تتأثّر الدورة الدمویّة فتتمدّد الأوردة التی تحمل الدم من الأطراف السفلی نتیجة تضخّم حجم الرحم و تزداد سعته فی أواخر الحمل إلی ألف مرة عن بدء الحمل و تنشأ الدوالی، و تکثر البواسیر و الاضطرابات فی أجهزة الهضم، و البول، و التنفّس، و المفاصل، و غیرها من الأعضاء. ذلک أن الجنین فی رحم أمّه مخلوق طفیلی یمتصّ غذاءه من الحامل مهما تکن صحّتها الجسدیة، و هی تخلّصه من إفرازاته الضارّة. و قد کشف العلم أن علی الحامل أن تلبّی حاجات الجنین الحیاتیة بصفة إلزامیة مهما کان وضعها الصحّی. و الحمل وهن و مشقّة متصاعدة للحامل من الوجهة النفسیة، هی بین الخوف و الرجاء و الحزن و الفرح، فالخوف من الحمل بسبب مصاعب الولادة، لذلک فإن کثیرا من الأمراض النفسیة العصابیّة و الذهانیّة تظهر خلال الحمل و بعد الولادة مباشرة. و الفرح الذی تشعر به عائد إلی إحساسها بأنها ستکون أمّا واهبة للحیاة.

وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً. لقد تبیّن لأطبّاء التولید الیوم أنه لا بد من مشقّة و عناء فی الولادة لکی تکون طبیعیة و من دون مضاعفات. أما وسائل الولادة بدون ألم، سواء کان ذلک بالتخدیر الموضعی للنخاع الشوکی، أو بالحقن، أو بتنشّق الغازات المخدّرة، فإنها فی أغلب الحالات تعسّر الولادة، و تمنع الأم من

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۸

المساهمة فی مساعدة تقلّصات الرحم. لکن إعداد الحامل نفسیّا و جسدیّا خلال الحمل لتتفهّم عملیة الوضع و تتقبّلها یبقی ضرورة لا بدّ منها کی نمحو الصورة المرضیّة المرعبة من أذهان أکثر الحوامل عن آلام الوضع. و بالرغم من ذلک تبقی الولادة لبعض الوقت تجربة ألیمة فی ذهن المرأة، سرعان ما یمحوها شعور السعادة بأنها ساهمت فی استمراریة الحیاة.

ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ (عبس ۲۰). و من السبل التی یسّرها المولی للجنین بعد بقائه إِلی قَدَرٍ مَعْلُومٍ فی رحم أمّه، سبل خروجه. فمهبل المرأة عادة لا یسمح لأکثر من عدة أصابع بالولوج، و فوهة عنق الرحم لا تسمح لأکثر من إبرة بالدخول. و الولادة بحدّ ذاتها معجزة فیزیولوجیة رائعة لا داعی هنا للتطرّق إلی تفاصیلها العلمیة. إنما یحضرنی قول أستاذ التولید عند ما دخلت لأوّل مرّة للمساعدة فی عملیة وضع لإحدی الحوامل: «سترى بعد قلیل بأمّ عینیک إحدی معجزات الخالق، و ستعرف لما ذا کرّم الله الأم کلّ التکریم و أمرنا بالإحسان إلیها».

الوقفة العاشرة وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ (لقمان ۳۴). منذ سنوات، یتساءل بعض الأطباء و المتعلمین، عن معنی قوله تعالی وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ، خاصّة و أننا بواسطة العلم الیوم نستطیع معرفة جنس الجنین منذ الشهر الرابع للحمل، و أنه فی بعض التجارب الفردیة أمکن ذلک منذ بدء الحمل بحسب تلقیح سلالة المرأة بسلالة رجل مذکرة أو مؤنثة. کما أننا نستطیع بواسطة العلم معرفة بضعة أمراض وراثیة قد تصیب الجنین منذ الشهر الرابع و هو لا یزال فی رحم أمّه، بواسطة فحص السائل الأمینوسی الذی یسبح

من علم الطب القرآنی، ص: ۹۹

فیه. فإلی المتسائلین عن حسن نیّة أو عن سوء نیّة نقدّم هذا التوضیح:

أولا: فی الحدیث الصحیح التالی الذی رواه البخاری ما یوضح هذا الالتباس فی أذهان البعض: «مفاتیح الغیب خمسة لا یعلمهنّ إلا الله، و تلا الآیة الکریمة أعلاه». لذلک نفهم قوله تعالی وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ بمعنی: و یعلم غیب ما فی الأرحام. فلا أحد غیر الله یعلم ما سیکون عمر الجنین و توقیت أجله و ما سیطرأ علیه من أمور غیبیّة. و الحدیث الشریف الآتی یفصّل ما أجمله الحدیث الأول و یوضح معنی قوله تعالی: وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ، «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث الله ملکا فقال یا ربّ مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال مخلّقة قال أی ربّ شقیّ أم سعید؟ ما الأجل، ما الأثر، و بأیّ أرض تموت؟» (عن عبد الله بن مسعود، أخرجه ابن أبی حاتم و غیره).

ثانیا: أین علمنا الیوم بالجنین؟ و هو علم سیظلّ ناقصا- مهما بلغ من تقدّم- بالنسبة لعلم الله الأزلی الجامع، و المحیط بجمیع ما سیطرأ علی الجنین من قبل أن یتخلّق، و خلال تخلّقه، و بعد تسویته، و خلال حیاته و موته و بعثه؟

و هل اقتصر علم ما فی الأرحام علی معرفة جنس الجنین و بضعة أمراض وراثیة من آلاف الأمراض التی قد تصیب الجنین؟ إن علم الله بالأرحام هو کلّی محیط بجمیع الموجودات مرئیها و مغیّبها. و فی الآیة الکریمة التالیة اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (الرعد ۸) تفصیل لمعنی قوله تعالی وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ، فهی من مثانیها و سنتوقّف عندها بعد قلیل.

ثالثا: قوله تعالی وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ لا نفهمه بأنه یمنع الإنسان من معرفة ما فی الأرحام. فلو أراد المولی أن لا یعلم الإنسان شیئا عمّا فی الأرحام لما أنزل فی کتابه الکریم عشرات الآیات التی وصفت مختلف أطوار الجنین. کما أنبأنا سلفا بأنه سیرینا مضمون هذه الآیات لا حقا، و هو الحاصل

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۰

الیوم: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (السجدة ۵۳).

رابعا: إن معرفة ما فی الأرحام، سواء کانت معرفة لجنس الجنین أو للأمراض الوراثیة أو للتشوّهات الخلقیّة، لیست معرفة غیبیة. فهذه الأشیاء هی مقدّرة و موجودة فی البویضة الملقّحة، و لکن العلم کشفها فی الجنین.

خامسا: إن تساءل بعضهم قائلا: کیف یعرف الملک المولج بالنطفة عمر الجنین و أجله و رزقه- و هی أمور غیبیّة اختصّ المولی بها نفسه، فإنّا نورد له نصّ الآیات الکریمة التالیة و فیها الجواب المقنع علی تساؤلاته: عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً. إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (الجن ۲۶، ۲۷)، وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ (البقرة ۲۵۵). فلکلّ عموم خصوص و لکلّ قاعدة استثناء.

الوقفة الحادیة عشرة اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی

اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ. عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ الْکَبِیرُ الْمُتَعالِ (الرّعد ۸، ۹).

إن مفتاح فهم الآیة الکریمة أعلاه یکمن فی تدبّرنا لمعنی کلمتی کُلُ و تَغِیضُ.

أولا: کلمة کُلُ فی هذه الآیة الکریمة هی أداة جمع و تخصیص فی آن واحد، أی أن الله یعلم ما تحمل کلّ النساء و کذلک کلّ واحدة منهنّ بالتخصیص. و الشاهد علی معنی الجمع کلمة الْأَرْحامُ، کما أن الشاهد علی معنی التخصیص و الإفراد کلمة الْأُنْثی*. و فی الواقع لا عاقل یستطیع الادّعاء بأنه یعلم ما تخفیه کلّ الأرحام أو تنقصه أو تزداده من خلق. فقط علم الله المحیط بالکلّیات و بالجزئیات

بإمكانه ذلك.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۱

ثانيا: كلمة تَغِيضُ تحمل معنيين:

الأول: غاض، تعنى اختفى و لم يعد ظاهرا. و هذا المعنى نستخلصه من قوله تعالى وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (هود ۴۴). و الجنين خلال طور العلقة يختفى تماما تحت أجزاء الطبقة الداخلية للرحم، و كأن هذه بلعته و أخفته لبعض الوقت، و قد كشف علم الأجنّة ذلك فى القرن العشرين.

الثانى: غاض، تعنى أيضا نقص. لقد كشف العلم منذ منتصف القرن العشرين أن ۵۰٪ من البويضات الملقّحة يطرحها الرحم خارجا، و تظنّها المرأة دم حيض، و ما هى فى الحقيقة إلا إجهاض مبكر جدّا يحصل فى الأسبوعين الأوّل و الثانى من الحمل. و لا يعلم تماما إلا الخالق مقدار هذا النقص أى الاجهاض المبكر. و حتى لو أردنا أن نفحص مجهريّا حيض كلّ امرأة، لما أمكن التعرّف بسهولة على الجنين الذى أسقطته المرأة، و هو الذى لا يتجاوز قطره خمس المليمتر من بين مئات المليليترات من دم الحيض. من هنا نفهم الفروق الواضحة فى نسبة الإجهاض التلقائى المبكر حسب الإحصائيات. ففى بعض الإحصائيّات أخرى ۵۰٪، و فى إحصائيّات غيرها ۷۰٪. فالمولى سبحانه و تعالى وحده يعلم تماما ما تغيضه (بمعنى تنقصه) كلّ الأرحام. إضافة إلى ذلك إن ما نعلمه عما تغيضه الأرحام لا يتعدّى إحصائيّات عن آلاف الحالات من الحمل. و ما نعلمه تقريبى و ليس بالصحيح تماما، كما تبيّن من خلال إحصاءات العلم اليوم، و أما علم الله فهو كلىّ و هو الصحيح.

وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ. قدّر المولى جميع الأشياء بنسب معيّنة، و كذلك تعداد المخلوقات الحيّة و منها الإنسان. فالمولى بواسع علمه يحدّد نسل الإنسان و نسبة الذكور و الإناث كما جاء فى قوله وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى، لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۲

يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (الشورى ۴۹، ۵۰). أما تحديد النسل و تحديد جنس الجنين من قبل الإنسان، فهذا موضوع سنفرغ له لا حقا فى الفصول التالية من هذا الكتاب. إنما لا بدّ من كلمة موجزة هنا بشأن تحديد النسل بحجة أن موارد الأرض لم تعد تكفى لإطعام الإنسانية فنذكّر أولا بقوله تعالى وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (فصّلت ۱۰). نعم إن الأقوات التى قدّرها المولى فى الأرض سواء لجميع السائلين، و تكفى بالغا ما بلغ تعداد البشرية من أفراد. و حاشا للعزّة الإلهية أن تخلقنا على هذا الكوكب من دون أن تجعل فيه ما يكفى لإطعام البشرية. إنما العلّة فى الإنسان. إن أكبر مفسد و قاتل عرفته البشريّة هو الإنسان الذى لا يتبع القانون الإلهى بل يعتمد القوانين الوضعيّة التى أفسدت الأرض و أنهكت ثرواتها، و أساءت توزيعها. و هذا ما يعرفه الجميع و يتناساه أكثرهم مع الأسف.

الوقفة الثانية عشرة وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى

وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى. وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى. وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (الليل ۱- ۴) أمام هذه الآيات نقف وقفة متعلّم يرى جلال القسم فيها، لكنه يتساءل بتعظيم: بما ذا يقسم المولى؟

هل يقسم الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ بإحدى عجائبه و معجزاته:

مختلف أطوار تخلّق الجنين التى ينشأ عنها الذكر و الأنثى؟

أم هل يقسم «القدير» بسلالة الرجل و المرأة و منهما يتخلّق الذكر و الأنثى؟

أم هل يقسم «المبدع» بزوج الصبغيّات الجنسيّة (XX- XY) و فيهما قدّر

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۳

المولی المواد الکیمیائیة التی ستحکم تخلّق الأعضاء الجنسیّة فی الجنین ذکرا أم أنثی؟

أم هل یقسم «العلیم» بجمیع المورثات التی تحملها الصبغیّات و التی تحکم آلیّات تکوّن أعضاء الذکر و الأنثی، و عددها عند الإنسان ربع ملیون مورثة تقریبا فی کلّ خلیّة؟

أم هل یقسم «الواسع» بالذرّات التی تؤلّف المورثات و عددها تقریبا مائة ملیار ذرّة فی الثروة الوراثیّة عند الإنسان، و فی الخلیّة الواحدة؟

أم هل یقسم «المبدئ» بالجسیمات المتعدّدة التی تتألّف منها کلّ ذرّة (إلکترون- بروتون- نوترون- کوراک و غیرها) و عددها یتجاوز العشرات فی أبسط الذرّات؟ علما أن أیّ خطأ- و لو بسیطا- فی تناغم الذرّات أو المورثات أو الصبغیّات، فی ارتباطها أو فی أشکالها أو فی تعدادها، یتسبّب عنه بضعة آلاف من الأمراض الوراثیّة المعروفة حتی الآن. إنه أعلم جلّ جلاله بتأویل آیاته، و یلزمنا مجلّدات لنشرح فی العمق و التفصیل بعض الوجوه العلمیة لهذه الآیة الکریمة.

الوقفة الثالثة عشرة بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ

لا أُقْسِمُ بِیَوْمِ الْقِیامَةِ. وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. أَ یَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ. بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ (القیامة ۱- ۴).

لا- التزام صادقا إلا- مع کلّ إیمان صحیح، و لا یصحّ الإیمان إلا مع الیقین بالیوم الآخر. فأکثر الناس یؤمنون بیوم القیامة و فی الآیة الکریمة أعلاه دلیل منطقی علمی یساعد من أراد الوصول إلی الیقین بالنشأة الأخری. فالمولی یخاطب الإنسان هنا من خلال دلیل علمی إعجازی فی خلقه کشف العلم أبعاده منذ القرنین التاسع عشر و العشرین.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۴

أَ فَعَیِینا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِی لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِیدٍ صورة حقیقیّة للبویضة الملقّحة المؤلفة من خلیّة واحدة و قد بدأت بالانفلاق الخلوی (تحوّلت إلی خلیتین) و بعد أن یسوّیها الخالق یخرج منها بعد تسعة أشهر مولودا حیّا عدد خلایاه ما یقرب من مائة ألف ملیار خلیّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۵

البنانة- جمعها بنان، و هی إصبع الید- فیها من المعجزات التشریحیّة و الوظیفیّة ما نبسّطه بالتالی:

یبدأ تخلّق البنان منذ الأسبوع السادس للحمل، و تنتهی تسویتها فی أواسط الشهر الخامس منه، حین تتوضّح نهائیّا معالم البنان، و فیها البصمات التی تبقی ثابتة لا تتغیّر حتی الممات.

فی جلد الأصابع توجد البصمات، و هی مختلفة عند جمیع أفراد الإنسانیة، إلا التوائم الصحیحة، و من خلالها نستطیع أن نؤکّد هویّة الإنسان و نمیّزه عن غیره. و یعتمد العلم الجنائی میزة البصمات الفریدة منذ عشرات السنین للتأکّد من هویة الجناة و المشبوهین.

جلد الأصابع من الأجزاء الأکبر نسبة فی وجود مستقبلات الشعور بالإحساس و الحرارة و الألم و الضغط. و تبلغ مساحة الجلد عند الإنسان ۶، ۱ متر مربّع، تتوزّع فیه ۳- ۵ ملایین من الأجهزة الحسّاسة للألم، و مائتا ألف جهاز حسّاس للحرارة، و ما یقرب من نصف ملیون جهاز حسّاس للحسّ و الضغط.

للأصابع دور أساسی فی المهارات العملیّة التی تمیّز الإنسان عن بقیّة المخلوقات. نذکّر فقط بأن میزة الکتابة التی یتفرّد بها الإنسان دون بقیّة الأحیاء، من أدواتها البنان. و لو لا الکتابة لما تقدّمت الإنسانیّة إلی ما هی علیه الیوم، و لما کان هناک تراث إنسانی.

إن المراکز العصبیّة الدماغیّة التی تحکم حرکة البنان تشغل مساحة کبیرة فی الدماغ بالمقابلة مع بقیّة المراکز التی تحکم حرکة بقیّة الأعضاء.

أما الأوعیة الدمویّة و الأسلاک العصبیّة، و المفاصل و العظام، و العضلات التی تؤلّف الأصابع، و طریقة عملها، فهی من معجزات الخالق فی خلقه، و لا ندخل فی تفاصیلها حتی لا نثقل علی القارئ.

من هنا ندرک لما ذا أفحم الخالق بالحجّة کلّ من یشکّ فی إمکانیة البعث

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۶

أَ یَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ، بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ بنان الجنین عند نهایة تخلّقه فی أواخر الشهر الثالث بصمات الأصابع کما تظهر فی الشهر الثالث للحمل، و لا تتغیّر بعدها أبدا و لا تتشابه إلا عند التوأمین الصحیحین

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۷

و منطقه و علمه، بهذه الآیة الإعجازیة، علی بساطتها و قربها من مفهوم أکثر الناس. فلا أحد قبل القرن التاسع عشر یعرف دقائق تشریح البنان و وظیفتها و میزة بصماتها الفریدة إلا- خالقها سبحانه و تعالی. و المنطق السلیم یفرض التسلیم و الیقین بأن الذی سوّی بنان الإنسان، و وضع فیها هذه المعجزات الخلقیّة، قادر، جلّت قدرته، علی أن یعیده مرّة أخری بعد الموت.

الوقفة الرابعة عشرة أَ فَعَیِینا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِی لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِیدٍ

کل إنسان عاقل عقل شیئا عن نشأة الخلق لا یستطیع عند تلاوة هذه الآیة الکریمة إلا أن یردّد: سبحانک اللّهم و جلّت قدرتک، کلّا لم تعی ربّ العالمین بالخلق الأوّل و لن تعیی بالنشأة الأخری.

فلقد وعدنا الحقّ- و وعده دائما الحقّ- بأننا سنعلم شیئا من أسرار خلق النشأة الأولی وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولی فَلَوْ لا تَذَکَّرُونَ (الواقعة ۶۲). و قد علم الإنسان حتی الآن الکثیر الکثیر و القلیل القلیل عن النشأة الأولی و الخلق الأول.

علم أن هناک اثنین و تسعین عنصرا فی الطبیعة تتألّف منها الأشیاء، تبدأ بعنصر الهیدروجین، و تنتهی بعنصر الأورانیوم. هذه العناصر تتّحد فیما بینها بنسب معیّنة فتتألّف منها ملایین بل ملیارات المخلوقات الحیّة و غیر الحیّة. و لقد علم الإنسان الیوم أن کلّ شیء فی النشأة الأولی من أصغر جسیم فی الذرّة حتی المجرّات قائم علی نظام محکم تحکمه نوامیس ثابتة لا یمکن إلا أن تصدر عن خالق قادر: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (الطور ۳۵). لذلک نجد أن العلماء الحقیقیّین هم الذین یخشون الله لأنهم یعرفون شیئا عن قدراته فی الخلق.

یقول (إسحاق نیوتن) مکتشف قانون الجاذبیّة فی القرن السابع عشر: إن

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۸

بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ الجهاز العصبی الأوّلی الذی بدأ تخلّقه و لم تنته تسویته کما یظهر فی جنین خلال الأسبوع الثالث من الحمل

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۰۹

هذا التفرّغ فی الکائنات، و ما فیها من ترتیب أجزائها و مقوّماتها، و تناسبها مع غیرها و مع الزمان و المکان، لا یمکن أن یصدر إلا من حکیم علیم.

و یقول العالم المخترع (حسن کامل الصبّاح): «القرآن الکریم مملوء بحثّ المؤمنین علی التفکّر فی خلق السموات و الأرض، و الوقوف علی حکمة الله فی خلقه. و ما النوامیس التی یتمشّی علیها الکون إلا- کلمات الله و إرادته ... أعلم من تجربتی الخاصّة أنی کلّما فهمت ناموسا طبیعیّا من النوامیس التی تتمشّی علیها الکهارب و النور، أعظمت حکمة المولی عزّ و جلّ، و زاد إیمانی. بل کلّما تفکّرت أنی عند ما کنت نطفة لا أملک لنفسی و لا یملک لی والدیّ ضرّا و لا نفعا، کانت النوامیس التی تمثّل مشیئة البارئ عزّ و جل هی وحدها التی تکفّلتنی و جعلتنی أنمو مادّة و عقلا .... و ما تعالیم الدین الإسلامی کلّها إلا لتنمیة عقلک و جسدک و حفظهما

ممّا یضرّ بهما ... «۱»».

و یقول العالم (باستور) مکتشف المکروبات، و قد سبقته الأحادیث الشریفة فی الإشارة إلیها: «الإیمان لا یمنع أیّ ارتقاء ... لو کنت علمت أکثر ممّا أعلم الیوم لکان إیمانی بالله أشدّ و أعمق ممّا هو علیه الآن».

و یقول أحد علماء الأحیاء: «إن اشتغالی بالعلوم قد دعم إیمانی بالله حتی صار أشدّ قوّة و أمتن أساسا مما کان علیه من قبل. لیس من شکّ فی أن العلوم تزید الإنسان تبصّرا بقدرة الله و جلاله. و کلّما اکتشف الإنسان جدیدا فی دائرة بحثه و دراسته ازداد إیمانا بالله».

و یقول (داروین)- و قد استغلّ المادّیون نظریّته الخاطئة فی التطوّر- فی إحدی رسائله: «إننی فی أشدّ أحوال التردّد لم أکن قطّ ملحدا إذا کان معنی الإلحاد إنکار وجود الله ... فلقد رأیت ید الله فی کلّ خلق من مخلوقاته، فی

---

(۱) مجلة العرفان، المجلّد ۲۱، السنة ۱۹۳۱.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۰

المستنقع و الغابة، و إنی أستریح إلی الإیمان بوجود الله فی هذا الکون الکبیر ...».

و یقول الإمام علی سلام الله علیه و رضی الله عنه و أرضاه: «عجبت لمن شکّ فی الله و هو یری خلق الله، و عجبت لمن نسی الموت و هو یری الموت، و عجبت لمن أنکر النشأة الأخری و هو یری النشأة الأولی».

لذلک کان العلم بجمیع فروعه و خاصّة المادّیة منها سبیلا و مدخلا إلی الإیمان الصحیح. فخشیة الله لا تتأتّی إلا مع کلّ علم صحیح. لذا کان طلب العلم فریضة علی کلّ مسلم و مسلمة. و أوّل آیة من التنزیل هی أمر إلهی بالعلم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (العلق ۱، ۲).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۱

القسم الثانی بین القرآن الکریم و علم الوراثة

اشارة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۳

وَ فِی خَلْقِکُمْ وَ ما یَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آیاتٌ لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ.

(الجاثیة ۴) «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکر بإذن الله و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل أنّث بإذن الله».

(صحیح مسلم) «إن بصیرتنا الدینیّة هی المنبع الموجّه لبصیرتنا العلمیّة».

(أینشتاین)

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۵

الفصل الأول الوراثة و الجنس

۱- لمحة تاریخیّة موجزة

علم الوراثة هو دراسة الآلیّات التی تحکم انتقال الخصائص البیولوجیة من المخلوق الحیّ إلی نسله. و لم تصبح الوراثة علما بالمعنی المتعارف علیه للعلم إلا منذ أواخر القرن التاسع عشر مع العالم (مندل ۶۶۸۱ - Mendel).

و هو أول من كشف عن المبادئ الأساسيّة الوضعيّة لعلم الوراثة، ثم اكتشف العلماء (بوفاری Bovari (و (مورغن Morgan (و (فلمنغ Flemming (و غيرهم، الثروة الوراثيّة فی الخليّة الحيّة، و هی مؤلّفة من الصبغيّات (Chromosomes(حاملة المورثات (genes(. و فی سنة ۱۹۵۵ اكتشف (كريك Crick (و (وطسن Watson (التركيب الكيميائی للصبغيّات و انقسامها، و نالا جائزة نوبل علی ذلك. و فی سنة ۱۹۶۱ اكتشف (جاكوب Jacob (و (مونو Monod (كيفيّة عمل المورثات عند الأحياء، و نالا جائزة نوبل لذلك أيضا. و رغم عشرات الملايين التی تصرف سنويّا علی الأبحاث فی علم الوراثة، فالإنسان لا يزال يكشف الجديد و المزيد فی حقل هذا العلم الصعب و الممتع.

و فی القرآن الكريم و الحديث الشريف يجد الباحث آيات كريمة و أحاديث شريفة فی علم الوراثة كشفت عن أكثر من قانون من قوانينه قبل أن يكشف العلم ذلك بخمسة عشر قرنا. و هذا وجه معجز للقرآن الكريم و الحديث

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۶

الشريف. لذلك وجدنا من الواجب استنباطها و الكشف عنها لكلّ طالب حقّ و علم، و الله من وراء القصد.

۲- تعريف مبسّط بالثروة الوراثيّة

فی المخلوقات الحيّة

رمز القرآن الكريم إلی الثروة الوراثيّة عند الأحياء و منها الإنسان فی آيات عديدة منها: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس ۱۷- ۱۹)، إِنَّا كُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ (القمر ۴۹)، وَ خَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (الفرقان ۲).

لقد كشف العلم فی القرن العشرين أنّ فی نواة كلّ خليّة جسيمات سمّيت بالصبغيّات، مؤلّفة من حمض أمينی اختصاره العلمی (D .N A .(. و هذه الصبغيّات تتحكّم فی عمليّة تخلّق مختلف أعضاء المخلوقات الحيّة و وظائفها منذ بدء تكوّنها حتی موتها. لقد وضع الخالق- جلّت قدرته- فی كلّ خليّة من خلايا الأحياء من أبسطها، أی من المخلوقات ذوات الخليّة الواحدة كالمكروبات و غيرها، إلی الإنسان، «شيفرة» كيميائية خاصّة بكلّ نوع، هی ثروته الوراثيّة التی تؤمّن له تخلّقه و نوعيّته و استمراريّته. و بالرغم من مرور ما يقرب من مائة سنة علی ولادة علم الوراثة الوضعی، يقول علماء الأحياء و الوراثة و علماء الكيمياء العضوية إنهم فی بداية الطريق، و إنهم لم يكتشفوا إلّا القليل من أسرار هذه «الشيفرة» الكيميائيّة بالرغم من بساطة الذرّات و العناصر التی تتألّف منها (و هی واحدة فی كلّ الأحياء). و فی هذا دليل منطقی علمی علی أن الصانع واحد قادر.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۷

وَ خَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً صورة حقيقيّة لزوج من الصبغيّات (فی أعلی الصورة إلی اليسار) و صورة توضيحيّة لشريط الحامض الأمينی (D .N .A(الذی يتألف منه

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۸

وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِیَ خَلْقَهُ، قالَ مَنْ يُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ فی عشرين يوما يتحوّل البرعم إلی يد يد جنين مكبّرة مائة و خمسين مرّة فی الأسبوع الخامس من الحمل، و هی لا تزال كالبرعم

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۱۹

أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ يُمْنی ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی صورة أخاذة لحميل فی الشهر الثالث من الحمل

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۰

وَ فِی خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ مختلف مراحل تخلّق أصابع الرّجلين كما تظهر فی الجنين منذ الأسبوع الرابع

للحمل و حتی الأسبوع الثامن

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۱

۳- أمثلة عن الثروة الوراثیّة عند الأحیاء

المخلوقات ذات الخلیّة الواحدة

فی الخلیّة نوع من البکتیریا اسمه «الکولی»E .Coli ، و هو بصورة طبیعیّة بمئات الملیارات فی الأمعاء عند الإنسان، و لا یتجاوز جزءین من الألف الواحد من الملیمتر (۲ مکرون). إنه ثروة وراثیّة مؤلّفة من مواد کیمیائیّة مسمّاة بشریط الحامض الأمینی النووی (D .N .A)، و قد لفّ المولی هذا الشریط الکیمیائی فی داخل نواة کلّ خلیّة بشکل لولبی، بحیث لو فرد بشکل خطّ مستقیم لبلغ طوله ملیمترا واحدا، أی أطول خمسمائة مرّة من طول البکتیریا التی هو داخل نواتها. و هذا الشریط العجیب یتحکّم فی إنتاج ثلاثة آلاف نوع من المواد الکیمیائیة، هی التی تؤمّن لهذه البکتریا سبل نموّها و بقائها، و تعطیها میزاتها الحیاتیة الوراثیة. أما دراسة مادّة کیمیائیة واحدة من هذه المواد فقد استوجب مجهود عشرات المجموعات من علماء الأحیاء و الوراثة و الکیمیاء العضویّة خلال سنوات عدیدة!

الثروة الوراثیّة للإنسانیّة

قدّر بعض علماء الوراثة أن الثروة الوراثیّة للإنسانیّة جمعاء یمکن احتواؤها بالشکل الذی وضعها فیه المولی فی الخلیّة، أی الشکل اللولبی فی مکعّب حجمه سنتیمتر مکعب فقط. و لو فردت بشکل خطّ مستقیم جمیع شرائط الثروة الوراثیة الملفوفة بشکل لولبی فی نوایا خلایا الجسم الإنسانی الواحد (مساحته التقریبیة متر و ستون سنتیمترا مربّعا) لبلغ طولها المسافة التی بین الأرض و الشمس تقریبا أی ۱۵۰ ملیون کلم تقریبا. و هنا نردّد بخشوع: صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ ... (النمل ۸۸)، إِنَّهُ عَلِیمٌ قَدِیرٌ (النحل ۷۰).

و لعلّ الخیال لا یذهب بنا بعیدا إذا قلنا- و الله أعلم- إنه یسجّل علی هذا الشریط الکیمیائی العجیب، و کذلک علی بقیّة أجزاء الخلیّة فی جسم الإنسان، کلّ ما یعمله فی حیاته الدنیا، شهادة باقیة و ناطقة یوم الدین عن أعماله، مصداقا لقوله تعالی: الْیَوْمَ نَخْتِمُ عَلی أَفْواهِهِمْ وَ تُکَلِّمُنا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۲

فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ. وَ ما لا تُبْصِرُونَ صورة إلکترونیة للشکل اللّولبی أو الحلزونی لجزء من الحمض الأمینی النووی (D .N .A) حامل الثروة الوراثیّة عند الإنسان یتألف العنصر الکامل من الحمض الأمینی فی الخلیّة عند الإنسان من مائة ملیون حلقة تحوی مائة ملیار ذرّة، أی ما یعادل عدد الکواکب و النجوم فی مجرّتنا اللبنیّة التی یتبع لها نظامنا الشمسی

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۳

بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (یس ۶۵)، وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَیْنا، قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِی أَنْطَقَ کُلَّ شَیْءٍ (فصّلت ۲۱)، إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (الإسراء ۳۶).

فالکلّ یعرف الیوم أننا نستطیع بالصوت و الصورة الملوّنة جمع ما یصدر من أصوات و حرکات علی شریط تسجیل عادی من صنع الإنسان، و أنه من الممکن لهذه الأصوات المسجّلة و الحرکات أن تبقی محفوظة مدّة بقاء شریط التسجیل و لو امتدّ ذلک إلی مئات السنین أو أکثر، فیما لو توافرت شروط الحفظ لهذا الشریط. فلا عجب إذا من قدرة الخالق الذی أخرج النشأة الأولی من نطفة لا یتجاوز قطرها عشر الملیمتر، علی إعادة الإنسان و ثروته الوراثیّة و ما سجّل علیها من أعماله بعد موته، مهما تطاول علیه الزمن: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنا کِتابٌ حَفِیظٌ (ق ۴)، وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادی کَما خَلَقْناکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَکْتُمْ ما خَوَّلْناکُمْ وَراءَ

ظُهُورِكُمْ (الأنعام ۹۴).

عصفور الخروف

فی جزیرة بابل الأسترالیة نوع من العصافیر یدعی «عصفور الخروف»، وزنه لا یتجاوز ۳۵ غراما، و وزن دماغه لا یجاوز بضعة غرامات. و هو من العصافیر المهاجرة، تبدأ هجرته من الشاطئ الأسترالی حیث یتّجه شرقا فی المحیط الهادئ، ثم یتّجه شمالا بمحاذاة الجزر الیابانیّة حتی یصل إلی بحر «بیرنغ». و من هناک و بعد فترة راحة، یتّجه جنوبا فی محاذاة الشواطئ الأمریکیّة الغربیّة حتّی کالیفورنیا، و من بعدها ینعطف نحو المحیط الهادئ بحیث یقطع مسافة ۲۵۰۰۰ کلم خلال هجرة تدوم ستة أشهر، یرجع بعدها إلی نفس العشّ الذی انطلق منه فینظّفه و یبیض فیه بیضة واحدة. و بعد ستة أشهر یعاود نفس الهجرة. لقد أودع الخالق فی هذا العصفور ما مکّنه من قطع مسافة ۲۵ ألف کلم تقریبا ذهابا و إیابا بالرغم من کلّ تغییر طارئ فی عوامل الطبیعة، و ذلک من خلال ثروة وراثیّة لا یتجاوز وزنها جزء من الملیار من الغرام، و دماغ

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۴

لا یتجاوز وزنه بضعة ملیغرامات، و بواسطة آلیّات فیزیائیّة و کیمیائیّة مبرمجة سلفا فی خلایاه.

أما إنسان القرن العشرین فلقد جنّد بواسطة دماغه الذی هو من صنع المولی، آلاف العقول الإلکترونیة و البشریة، و ألوف الأطنان من الحدید و غیره، کی یسیّر کل مرکبة من مرکباته الفضائیة، و هی فی کلّ ثانیة عرضة للخلل و الخطأ. أما المسافة التی تقطعها المرکبة فی انطلاقها- إن انطلقت- و رجوعها- إن رجعت- فهی نسبیّا أقلّ بکثیر ممّا یقطعه هذا العصفور. فأین بدیع الصنعة و الإتقان المتمثّلة فی خلق هذا العصفور، من هذه العقول الإلکترونیّة و المرکبات الفضائیّة التی یفاخرون بها؟ علی ضوء هذا المثل البسیط من ملایین الأمثلة فی مخلوقات الله، نفهم شیئا من معنی قوله تعالی فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا، إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِینٍ لازِبٍ (الصافّات ۱۱)، هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (لقمان ۱۱).

۴- الجنس الوراثی

اکتشف العلم فی منتصف القرن العشرین أن الثروة الوراثیّة عند الإنسان مؤلّفة من ثلاثة و عشرین زوجا من الصبغیّات، منها زوج واحد متخصّص فی تحدید الأعضاء الجنسیة و تخلّقها. فالذکر یحمل فی ثروته الوراثیّة زوجا من الصبغیّات الجنسیة رمز إلیه بأحرف (س ص أوX Y (، و الأنثی تحمل فی ثروتها الوراثیة زوجا من الصبغیّات الجنسیة رمز إلیه بأحرف (XX أو س س).

فإذا اجتمعت سلالة رجل مذکرة (إن کانت حاملة للصبغیّةY (، مع سلالة المرأة المؤنّثة حاملة للصبغیّة (X(کان الجنین ذکرا، لأنه یحمل زوج الصبغیّات الجنسیة (YX(فی ثروته الوراثیة، و هذا الزوج هو علامة التذکیر.

و إذا اجتمعت سلالة رجل مؤنّثة (إن کانت حاملة للصبغیّةX (، مع سلالة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۵

وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی الجنس الوراثی- (SexeGenetique (صورة توضیحیّة تبین کیف تساهم کلّ من نطفة الرجل و المرأة بواسطة زوج الصبغیات الجنسیة (XX،YX (فی اختلاف جنس الجنین زوج الصبغیّاتYX یعطی الصفات الوراثیّة للذکر، زوج الصبغیّاتXX یعطی الصفات الوراثیّة للأنثی المرأة المؤنّثة الحاملة دائما للصبغیّة (X(کان الجنین أنثی، لأنه یحمل زوج الصبغیّات الجنسیة (XX(فی ثروته الوراثیة، و هذا الزوج من الصبغیّات هو علامة التأنیث. و قبل أن یکشف العلم هذا القانون الأساسی الذی یقول بأن هناک جنسا وراثیا (SexeGenetique (مقدّرا و مبرمجا فی النطفة من خلال زوج

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۶

الصبغیّات الجنسیة، نجد أن العدید من الآیات الکریمة قد أشارت بصورة واضحة إلی أن تخلّق الجنس مبرمج فی النطفة، نطفة المرأة و الرجل علی حدّ سواء:

أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی. ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (القیامة ۳۷- ۳۹). الضمیر فی کلمة «منه» یرجع إلی المنیّ سواء کان منّی المرأة أو الرجل.

وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (النجم ۴۵).

نلاحظ أیضا الإعجاز فی قوله تعالی إِذا تُمْنی، فالنطفة سواء کانت للرجل أو للمرأة لا تعطی خلقا إلا إذا أمناها المولی، بمعنی قدّر أن سیکون منها خلق، لما أودعه فیها من سلالات و موادّ کیمیائیة عدیدة معقّدة. و لم یکشف الإنسان حقیقة العقم فی النطفة إلا فی منتصف القرن العشرین. و الآیات الکریمة السابقة تشرح الآیات الکریمة التالیة فهی من مثانیها:

وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها (الروم ۲۱).

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ (بواسطة النطفة) أَزْواجاً (أی ذکورا و إناثا) وَ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَزْواجِکُمْ بَنِینَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ (النحل ۷۲).

سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها (الأزواج هنا بمعنی الأجناس و الذکر و الأنثی) مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (أی بواسطة نطفهم) وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ (أی من سرّ الروح الذی لا یعلمونه) (یس ۳۶).

وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَکُمْ أَزْواجاً (فاطر ۱۱).

إن نطفة المرأة و الرجل علی حدّ سواء (و لیس نطفة الرجل فقط کما فهم بعض من تعرّض لتفسیر الآیات الکریمة أعلاه) تنظّمان آلیات تخلّق الأعضاء

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۲۷

الجنسیة. ففی سلالة المرأة توجد الصبغیّة الجنسیة (X(و فی سلالة نطفة الرجل توجد الصبغیّة الجنسیة (Y(أو- و الصبغیّات الجنسیّة هی التی تحکم آلیّات تخلّق الأعضاء الجنسیة. أمّا الصبغیّة (Y(فهی التی تحدّد نوعیّة جنس الجنین ذکرا لأنها مسیطرة، فی حین إن الصبغیّة الجنسیة (X(خاضعة أو متنحّیة. و لا یختلف الذکر عن الأنثی إلا بزوج الصبغیّات الجنسیة: المرأة تحمل زوج الصبغیّات (س س أوXX(و الرجل یحمل زوج الصبغیّات (س ص أوX Y(

۵- وَ خَلَقْناکُمْ أَزْواجاً

الجنس مقدّر فی السلالة

اشارة

کَلَّا سَیَعْلَمُونَ ثُمَّ کَلَّا سَیَعْلَمُونَ (النبأ ۴، ۵). هذا الوعد الإلهی بدأ یتحقّق منذ عشرات السنین فقط، عند ما بدأ الإنسان یعلم کیف جعل الله الأرض مهادا، و کیف جعل الجبال أوتادا کی تکون الأرض مهادا، و کیف خلقنا أزواجا:

أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً. وَ الْجِبالَ أَوْتاداً. وَ خَلَقْناکُمْ أَزْواجاً. (النبأ ۶- ۸). لقد اکتشف علم الوراثة فی القرن العشرین أن هناک نوعین من الخلایا الجنسیة:

عند الرجل:

السلالة أو الخليّة الجنسية نوعان: الخليّة الجنسية المذكرة و ثروتها الوراثية تتألّف من اثنتين و عشرين صبغيّة عادية، و صبغيّة جنسية يرمز إليها بالحرف (ص أوY (و هى مسيطرة (dominant(. و النوع الثانى هو الخليّة الجنسيّة المؤنّثة، و ثروتها الوراثية تتألّف من اثنتين و عشرين صبغيّة عاديّة و صبغيّة جنسية يرمز إليها بالحرف (س أوX (. و هى متنحّية أو خاضعة (Recessif(عند ما تجتمع مع الصبغيّة (Y(.

عند المرأة:

الخليّة الجنسية أى البويضة أو السلالة نوع واحد و هى

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۲۸

وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً الثروة الوراثيّة كما تظهر تحت المجهر فى خليّة الرجل (۲۲ زوجا من الصبغيّات العادّية و زوج من الصبغيّات الجنسيّة). تظهر هنا صبغيّة «Y ¬المذكرة لامعة دون بقية الصبغيات

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۲۹

مؤنّثة. ثروتها الوراثيّة تتألّف من اثنتين و عشرين صبغيّة عاديّة و صبغيّة واحدة جنسية يرمز إليها بالحرف (س أوX (. فإذا اجتمع عند التلقيح أى انصهر الحيوان المنوى مع البويضة الصبغيّة الجنسية المذكرة (ص أوY (- و هى مسيطرة- مع الصبغيّة الجنسية المؤنّثة الخاضعة (س أوX (كان الجنين ذكرا، أى حاملا للصبغيّتين الجنسيتين (ص س أوY X (. و إذا اجتمع الحيوان المنوى المؤنث؛ أى حامل الصبغيّة الجنسية المؤنّثة (X(مع البويضة الحاملة دائما للصبغيّة الجنسية الخاضعة (X(كان الجنين أنثى، أى حاملا للصبغيّتين الجنسيّتين (س س أوXX (.

هذا القانون الوراثى الذى يبيّن كيف أن سلالة الرجل هى التى تحكم تحديد جنس الجنين ذكرا كان أو أنثى أشار إليه بصورة مذهلة الحديث الشريف التالى: «ماء الرجل أبيض و ماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منىّ المرأة أذكر بإذن الله، و إذا علا منىّ المرأة منىّ الرجل أنّث بإذن الله». لذلك لا يمكن فهمه إلا على ضوء علم التشريح و الوراثة مجتمعين:

من الوجهة التشريحيّة:

نحن نعلم اليوم أن البويضة عند المرأة قبل أن تتلقّفها تلافيف البوق تكون فى المبيض داخل حويصلة «دوغراف» follicule de (؛ Degraff) محاطة بسائل أصفر اللون. و الحويصلة هذه تتحوّل إلى ما يسمّيه الطبّ بالجسم الأصفر، إذا حصل الحمل. و البويضة ذاتها صفراء اللون كما تظهر تحت المهجر عند تلوينها.

من الوجهة الوراثيّة:

كما أسلفنا، من ميزات «ماء الرجل» أنه يحوى خصائص التذكير من خلال صبغيّة (Y(، و كذلك التأنيث من خلال صبغيّة (X(.

أما «ماء المرأة» فإنه يحمل فقط خصائص التأنيث من خلال صبغيّة (X(و هذه الصبغيّة خاضعة أى متنحّية إذا اجتمعت مع الصبغيّة المذكرة (Y(. و هكذا فنحن نفهم الحديث الشريف أعلاه- و اللّه أعلم- كما يلى: إذا علا منىّ الرجل منىّ المرأة أذكر بإذن اللّه،

بمعنی تحمل المرأة ذکرا، إذا أصبحت خصائص ماء

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۰

الرجل لدی امتشاجه مع ماء المرأة مسیطرة، و یکون ذلک باجتماع سلالة رجل مذکرة و مسیطرة هی (Y(مع سلالة المرأة ذات الصفات المؤنثة و الخاضعة (X(.

«و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل أنّث بإذن الله»، أی أن الحامل تنجب أنثی إذا أصبحت خصائص مائها مسیطرة لدی امتشاجه بماء الرجل، و لا یکون ذلک إلا باجتماع بویضة ذات صبغیّة مؤنّثة و خاضعة (X(مع حیوان منوی ذی صبغیّة مؤنّثة و خاضعة أیضا (X(. حینئذ فقط تعلو، أی تظهر الصفة المؤنّثة و یکون الجنین أنثی (بمعنی أن ماء المرأة یعلو أی تظهر خصائص المؤنّث فقط عند اجتماع صبغیّتی (XX(، و اجتماع صبغیّتی (XX(فی أی جنین هو من صفات التأنیث الوراثیة). (انظر الصورة التوضیحیة).

أخیرا نتساءل: من وراء هذا التنظیم المعقّد و البدیع لهذه (الشیفرة) المخیفة فی کلّ مخلوق، أ هی المصادفة؟ أم هی الطفرة؟ أم الطبیعة؟ أم التطوّر؟ أم خالق مبدع قادر علیم؟ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یُشْرِکُونَ (الزمر ۶۷).

مسکینة تلک «المصادفة» و غیرها من الکلمات الجوفاء فی هذا المجال کالطبیعة، و التطوّر، و ما یلجأ إلیه منطق بعض المتعلّمین الأعرج، کلّما تساءلوا عن المسبّب الأوّل الکامن وراء کلّ شیء درسوه و وجدوه فی کمال الصنعة و بدیعها من أصغر جسیم فی الذرة و حتی أکبر مجرّة.

ألا یفرض علیهم المنطق السلیم بأن یسلّموا منطقا و جدلا بوجود الخالق، ما داموا یعتمدون فی أبحاثهم العلمیّة مبدأ السببیّة القائل بأن وراء کل مصنوع صانعا، و أن لکل مخلوق خالقا؟ فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ (الحج ۴۶). و هنا یحضرنا قول العالم «أینشتاین» الموجّه خاصة لهؤلاء المتعلّمین: «کیف تریدون أن تحیطوا بالخالق لتؤمنوا به و أنتم لا تعرفون إلا القلیل عن الخلق؟».

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۱

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ. مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ.

(عبس ۱۷- ۱۹) «إن النطفة إذا استقرّت فی الرحم أحضرها الله تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم».

(حدیث شریف أخرجه ابن جریر و ابن أبی حاکم) «لو کنت علمت أکثر مما أعلم الیوم، لکان إیمانی بالله أشدّ و أعمق ممّا هو علیه الآن».

(باستور)

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۳

الفصل الثانی وقفات علمیّة مع آیات کریمة فی علم الوراثة

الوقفة الأولی وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی

اشارة

فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثی، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ، وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی وَ إِنِّی سَمَّیْتُها مَرْیَمَ وَ إِنِّی أُعِیذُها بِکَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ (آل عمران ۳۶).

إن علوم الوراثة، و التشریح، و وظائف الأعضاء، و الکیمیاء العضویّة، و العلوم النفسیّة و الاجتماعیّة، و الإحصائیّات، تشرح لنا الیوم و تبیّن هذه الحقیقة القرآنیة. إنها البلاغة و الإعجاز العلمی فی ثلاث کلمات و شطر من آیة. و هذه بعض التفاصیل العلمیّة لما قد یبدو

فی نظر بعضهم مسلّمة لا تتطلّب الشرح و التعلیق! وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی: قبل بدء تخلّق الجنین یختلف الذکر عن الأنثی. لقد کشف علم الوراثة فی القرن العشرین أن فی ماء الرجل نوعین من السّلالة هما السّلالة المذکّرة و السّلالة المؤنّثة. فالسّلالة المذکّرة أو الحیوان المنوی المذکّر الذی یحمل الصبغیّة الجنسیة (Y(مختلف فی شکله و میزاته عن السّلالة المؤنّثة أو الحیوان المنوی المؤنّث الذی یحمل الصبغیّة (X(. فالأوّل

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۴

وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی قلیل من نطفة الرجل فی صورة رائعة تبین سلالة الرجل المذکّرة حاملة صبغیة (Y(و هی التی نری فی وسطها نقطة شدیدة اللّمعان، و قد أشرنا إلیها بسهم تمییزا لها عن سلالة الرجل المؤنّثة حاملة صبغیّة (X(المتنحّیة أکثر لمعانا و ومیضا، مدبّب الرأس، أسرع فی حرکته، و أقلّ عمرا (۲۴ ساعة فقط). و الثانی أقلّ ضخامة فی الرأس، و أقلّ سرعة فی الحرکة، و أطول عمرا أو قابلیّة للعیش (۷۲ ساعة).

و الثروة الوراثیة عند الذکر تتألّف من ۴۴ صبغیّة عادیّة مع صبغیّتین جنسیّتین (YX(و الثروة الوراثیّة عند الأنثی تتألّف من ۴۴ صبغیّة عادیّة و صبغیّتین جنسیّتین (XX(، و هذا ما یشرح علمیّا اختلاف أعضاء الذکر و الأنثی من الوجهة التشریحیّة و الوظیفیّة، و الاختلاف فی القوی العقلیّة و الشعوریّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۵

و التصرّفات السلوکیّة بینهما. أما ما کتبته إحداهن «۱» بأن الأنثی- و إن اختلفت عن الرجل من الوجهة الجسدیّة- فهی لا تختلف عنه فی الاستعدادات العقلیّة و الشعوریّة و الإرادیّة التی تؤهّلها لأن تقوم بجمیع الأعمال التی یقوم بها الرجل، و أن الرجل بحکم العادات و التقالید المتّبعة منذ أجیال، فرض التبعیّة علی المرأة و لا یزال ... فمجرّد آراء لم تثبت أمام حقائق العلوم الفیزیولوجیة و الاجتماعیّة و الإحصائیات حتی الآن.

۱- ففی حقل العلوم الطبیّة:

الکلّ یعرف أن هناک اختلافا بین الذکر و الأنثی من حیث نسبة التعرّض و الإصابة لأنواع کثیرة من الأمراض، کتصلّب الشرایین، و ما یتبعه من أمراض فی القلب و الدماغ و الکلیتین و غیرها، ذلک أن نسبة التصلّب متدنّیة قبل سن الخمسین عند المرأة، و هی عالیة عند الرجل قبل هذه السن و بعدها. و العکس هو الحال بالنسبة لسرطان الثدی، ربما بسبب مورثة أو مورثات مختلفة فی تأثیرها و قوّة ظهورها عند الرجل و المرأة. و لقد کشف علم الوراثة أخیرا أن تصلّب الشرایین تحکمه مورثة أشد تأثیرا فی الجسم عند الرجل من المرأة، و العکس هو الحال فی بعض الأمراض السرطانیّة، و کذلک بالنسبة للأمراض النفسیّة و العقلیّة و الشعوریّة و السلوکیّة.

فانفصام الشخصیّة (SchizoPhrenie(و الحزن و الفرح الذّهانی الدّوری Psychose (maniaco -depressive (و اضطراب الشخصیّة (PsychoPathie(هی غالبة عند الذکور؛ و لهذا سبب وراثی بدأ یتبیّنه علم الوراثة.

أما سرعة الانفعال، و رقّة الشعور، و الانهیار النفسی، فهی غالبة عند النساء بحکم تکوین المرأة الفیزیولوجی، فهی تتمیز بسرعة فی انفعال جهازها العصبی، و اختلاف فی کمّیة الهرمونات عن الرجل و نوعیّتها.

من علم الطب القرآنی ۱۳۵ ۲ - و فی حقل الاستعدادات العقلیة: ..... ص : ۱۳۵

۲- و فی حقل الاستعدادات العقلیة:

تبیّن الدراسات الإحصائیة التی

(۱) الکاتبة الفرنسیة سیمون دوبوفوار فی کتابها: الجنس الثانی.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۶

أجریت علی عشرات الآلاف من التلامذة أن الذکور مؤهّلون و متفوّقون فی الدراسات التجریدیّة کعلوم الحساب و غیرها، و أن للعلوم التجریدیّة مراکز فی النصف الأیسر من الدماغ تختلف تشریحیّا فی وظیفتها بین الذکور و الإناث.

کما تبیّن أن النساء متفوّقات فی العلوم و المهمّات التی تتطلّب رقّة فی الشعور و الإحساس، و أن للعلوم الإنسانیة مراکز فی النصف الأیمن من الدماغ تختلف کذلک بین الذکور و الإناث. و الإحصائیات الطبّیة تجمع کلّها علی أن متوسّط عمر المرأة هو أطول من متوسّط عمر الرجل، ربما بسبب مورثة فی ثروة الإنسان الوراثیّة. أما دماغ الرجل فیزید ۵۰ غراما فی وزنه عن وزن دماغ المرأة. وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی لا- تعنی أن الذکر یفضل الأنثی أو العکس، بل إن المولی، من خلال الثروة الوراثیّة للذکر و الأنثی، جعل کلّا منهما مؤهّلا لما خلق، و فی ذلک سعادة و استقامة للأفراد و المجتمعات.

۳- و أخیرا

نفهم من معانی قوله تعالی وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی لیس الذکر الذی تمنّت امرأة عمران أن ترزق به فی سرّها کالأنثی التی وهبها إیّاها الله عز و علا، و هی السیّدة العذراء مریم علیها السلام التی فضّلها الله جلّ جلاله و اصطفاها علی نساء العالمین. و فی هذه الآیة تکریم للمرأة ما بعده تکریم، یردّ ضمنیّا علی العادات الشائعة فی المجتمعات القدیمة و الحدیثة التی یفضّل أکثر الناس فیها الذکر علی الأنثی، و الله أعلم.

الوقفة الثانیة فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً

وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً (الفرقان ۵۴).

یتخلّق الجنین من ماء الرجل و ماء المرأة. و علی ضوء دراسة الخصائص الکیمیائیّة «للماء المهین» عندهما، تظهر الأبعاد العلمیّة الإعجازیّة الکامنة فی

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۷

وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً صورتان أخذتا بالمجهر الإلکترونی تبیّنان مراحل دخول الحیوان المنوی ذی الرأس المخروطی إلی داخل البویضة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۸

الآیة الکریمة أعلاه، خاصّة معنی کلمتی نَسَباً وَ صِهْراً، فهما مفتاح هذه الآیة من الوجهة العلمیّة. لقد جعل الخالق فی ماء الرجل و فی ماء المرأة مرکّبات تتحدّد منها الأنساب أی الصفات الوراثیّة، کما تمکّن سلالة المرأة و الرجل من الانصهار التامّ بعضهما مع بعض (الضمیر المتّصل فی قوله فَجَعَلَهُ یرجع إلی المنسوب الأوّل أی الماء). و فی ما یلی بعض التفاصیل العلمیّة المبسّطة جدّا لما أوجزناه فی کلمات:

فَجَعَلَهُ نَسَباً: کشف العلم فی نواة سلالة المرأة و الرجل (السّلالة خلیّة جنسیّة متخصّصة) عن ثروة وراثیّة، هی عبارة عن شریط من حمض أمینی یتألّف من ثلاث و عشرین صبغیّة، منها اثنتان و عشرون صبغیّة عادیّة، و صبغیّة جنسیّة (X أو Y). و علی کلّ صبغیّة- و طولها لا- یتجاوز جزءا من المیلیون من المیلیمتر الواحد- یوجد من عشرة إلی خمسة عشر ألف مورثة (genes)، هی التی تعطی الخصائص و المیزات لکلّ مخلوق کلون الجلد و الشعر و العینین، و طول القامة، و فصیلة الدم. فالمورثات تحکم أدقّ تفاصیل التخلّق

فی الأحیاء منذ بدء الحمل حتی الممات.

و بانصهار سلالة الرجل الحاملة لثلاث و عشرین صبغیّة مع سلالة المرأة الحاملة لنفس العدد من الصبغیّات، تتألّف البویضة الملقّحة. فتکون الثروة الوراثیة عند الإنسان مؤلّفة من ثلاثة و عشرین زوجا من الصبغیّات، منها اثنان و عشرون زوجا من الصبغیّات العادیّة و زوج من الصبغیّات الجنسیّة هو ما یمیّز الذکر عن الأنثی. فالجنین من الوجهة الوراثیّة یرجع فی نصف نسبه أی خصائصه الوراثیّة إلی أمّه، أو الذرّیة القریبة أو البعیدة التی انحدرت منها الأم.

و یرجع فی نصف ثروته الوراثیة الآخر إلی الأب أو الذرّیة القریبة أو البعیدة التی انحدر منها الأب. و عند ما یعلم القارئ أن کلّ العملیّات الکیمیائیة التی تحدّد تخلّق الجنین و تعطیه خصائصه البیولوجیة منذ بدء حمله حتی مماته، تحکمها هذه الثروة الوراثیة المؤلّفة من ثلاثة و عشرین زوجا من الصبغیّات، وضعها

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۳۹

المولی فی نواة البویضة الملقّحة- و هی خلیّة واحدة لا یتجاوز قطرها خمس المیلیمتر الواحد، و وزنها جزء من ملیون من الغرام الواحد تقریبا- یدرک فی العمق معنی قوله تعالی فی آخر هذه الآیة الکریمة وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً.

و کذلک معنی الحدیث القدسی المأثور «ابن آدم أنّی تعجزنی و قد خلقتک من مثل هذه ...».

فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً: کشف العلم حدیثا عشرات المواد الکیمیائیة فی ماء المرأة و الرجل (Prostaglandines) التی تساعد سلالتهما من الاقتراب بعضهما من بعض، و من ثمّ من الانصهار الکلیّ. ففی ماء المرأة موادّ کیمیائیّة تنشّط حرکة سلالة الرجل (sPremof caPacitation) و تقویها، کما تذیب غشاء القلنسوة التی تعمّم رأس الحیوان المنوی، فیخرج محتواها من المواد الکیمیائیّة التی تساعد السّلالة فی فتح ثغرة فی الجدار السمیک لبویضة المرأة.

فإذا انزلق حیوان منویّ إلی داخل البویضة أفرزت هذه موادّ کیمیائیة لطرد بقیّة الحیوانات المنویّة المحیطة بها فی الخارج، و أحکمت من جدید إقفال الغشاء الخارجی الذی نفذ منه حیوان منویّ واحد فقط لیقوم بعملیّة التلقیح، التی ما هی فی الحقیقة إلا انصهار کامل لمحتویات الرجل مع سلالة المرأة. فالغشاء الخلوی للحیوان المنویّ یتّحد تماما مع الغشاء الخلوی للبویضة، و نواة الحیوان المنوی تتّحد مع نواة البویضة، و الثروة الوراثیّة للحیوان المنوی تتّحد مع الثروة الوراثیّة للبویضة، و کذلک بقیّة المواد التی تؤلّف سلالة المرأة و الرجل تختلط بعضها مع بعض. من هنا نفهم وجها علمیّا من الوجوه العدیدة لقوله تعالی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً (الدهر ۲).

قد صوّرت عملیّة انصهار سلالة المرأة و الرجل فی المختبرات بعد نجاح عملیّات التلقیح الاصطناعی. و العلماء منذ سنوات یدرسون خصائص الموادّ الکیمیائیّة فی ماء الرجل و ماء المرأة، التی تؤهّل السّلالة عندهما للانصهار،

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۰

کی یستفیدوا من ذلک فی علاج السرطان، و إیجاد حلّ لمسألة رفض الجسم زرع الأعضاء الغریبة عنه کالکلی و القلب و غیرها. ذاک أن الجنین هو فی نصفه غریب عن والدته، و بدلا من أن ترفضه أو تقتله أو تطرده خارجا عنها کما هو معلوم فی علم المناعة و زراعة الأعضاء و نقلها، فإنها تحتضنه و تحمیه أجمل حمایة من جهاز المناعة عندها. أما العملیّات الکیمیائیّة الکامنة وراء هذه الحمایة للجنین من قبل الأم، و بالرغم من أنه غریب عنها فی نصف ثروته الوراثیة، فالعلم یمضی بخطوات وئیدة علی طریق حلّ لغزها، فسبحان الذی جعله صهرا.

أما أن نفهم معنی کلمة صِهْراً بزوج البنت، و نفسّر هذه الآیة الکریمة أعلاه بما خلاصته: «خلق من النطفة ذکورا و إناثا ذوی قربی بالنّسب و المصاهرة»، فذاک وجه من وجوه لفهم هذه الآیة، و لکلّ آیة وجوه عدیدة أو مستویات کثیرة تفسّر بها، و فی کلّ منها ما یقنع و یعجز، و الله أعلم بأبعاد کلامه و تأویله.

الوقفة الثالثة فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ

اشارة

هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ. الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ. فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ. (الانفطار ۶- ۸).

توقّفنا مطوّلا- فی فصل سابق مع هذا الخطاب المؤثّر من «العزیز الرحیم» إلی الإنسان. هذا «الخصیم المبین»، «الهلوع»، «الجزوع»، «المنوع»، «القتور»، «الفخور»، «الظلوم»، «الکفّار»، «الجهول»، «الیئوس»، «الضعیف»، «المتکبّر»، الذی قبل حمل الأمانة، فلم یکن علی قدرها، إلا

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۱

القلّة ممّن هدی و اهتدی وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (طه: ۱۱۵).

و لأنه حمل الأمانة کان معدّلا مختلفا عن بقیّة المخلوقات بما أودعه المولی فیه من میزات لیکفّر و یستنبط و یکتشف و لیدرس الأشیاء بمیزان عدل صحیح. و مع ذلک فقد عرف و کشف الکثیر عن المخلوقات، و المیزان الحق المودع فیها، إلا أنّ القلّة القلیلة فقط عقلت الحکمة من ذلک. و کذلک نری الإنسان الیوم یعرف أدقّ التفاصیل عن عملیّة تخلّقه و تسویته و تخلّق الأشیاء و تسویتها، مع ذلک لا نزال نری بعضهم یعتقد معتقدات شتّی، متمثّلة فی نظریّة الصدفة مثلا، أو التطوّر، أو الطبیعة، أو ما شابه، لا بل و یکتب فیها و یناقش و قد عفا علیها الزمن و أثبت العلم بطلانها مذ کشف عن حتمیة وجود منظّم و مسیّر لها و محرّک و ضابط للأشیاء کلّها فی الکون من أصغر جزئی إلی أکبر جسیم! فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (الانفطار ۸). لقد قضت حکمة المولی، تبیانا لقدرته و عظمته فی الخلق، أن یرکّب کلّ خلق من مخلوقاته و لیس الإنسان فقط، بصورة مختلفة عن الآخر. فکلّ مخلوق حیّ لا یتشابه مع مخلوق آخر من الوجهة البیولوجیّة، إلّا التوائم الصحیحة.

لقد بیّن علماء الوراثة منذ سنوات فقط أن احتمال تشابه إنسان مع آخر هو احتمال واحد من تسعة ملیارات احتمال. و تعلیل ذلک من الوجهة الوراثیّة، أنه عند ما ینصهر الحیوان المنویّ مع البویضة، و کلّ منهما یحمل خمسة و عشرین ألف مورثة فمن ذا الذی یتوصّل إلی المعرفة الکلّیة بما سیکون علیه مستقبل الجنین البیولوجی الذی تحکمه هذه المورثات غیر الله الخالق المصوّر القدیر؟ فقد یرجع الجنین فی میزاته البیولوجیة إلی أبعد الحدود، و ربّما إلی سیّدنا آدم. و قد شرح الرسول الکریم هذه الآیة بالحدیث الآتی، و هو إعجاز علمی سبق بخمسة عشر قرنا ما کشفه لاحقا علم الوراثة منذ سنوات فقط. سأل

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۲

علیه الصلاة و السلام أحدهم: ما ولد لک؟ قال الرجل: یا رسول الله ما عسی أن یولد لی إما غلام و إما جاریة؟ قال: فمن یشبه؟ قال: یا رسول الله ما عسی أن یشبه إما أباه و إما أمّه؟ فقال الرسول صلوات الله علیه: مه، لا تقولنّ هکذا.

إن النطفة إذا استقرّت فی الرحم أحضرها الله تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم.

أما قرأت هذه الآیة فی کتاب الله تعالی؟ فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (الانفطار ۸). قال: شکّلک. (أخرجه ابن جریر و ابن أبی حاتم).

و لقد کشف علماء الوراثة، منذ سنوات، المورثة التی تحکم شکل الجنین و سمّوها مورثة الشکل (genede la forme).

«الولد للفراش»

یستطیع علم الوراثة الیوم فقط أن ینفی الأبوّة عن مولود إذا تعارضت فئة دمه مع فئة دم والده. و هذه حالات نادرة، کأن تکون فئة دم

الوالد و الوالدة (A(و تكون فئة دم الطفل (B(. أما تأكيد أبوّة الوالد لطفله فلا يستطيع علم الوراثة أن يجزم بها أبدا.

من هنا نفهم البعد العلمی الإعجازی فی التشريح الإسلامی من خلال الحديث الشريف الآتی: «الولد للفراش و للعاهر الحجر». أی أن عقد النكاح الشرعی وحده هو المعوّل عليه فی إثبات نسب الطفل لوالده. أما مقولة «العرق الصافی»، و سموّ عرق علی الآخر، التی اعتمدها «هتلر» فی تنظيره للشعب الألمانی بأن العرق الآریّ هو فوق بقيّة الشعوب بالاستعدادات و الكفاءات، هذه المقولة التی يعتمدها منظّرو الصهيونية كذلك و لو من طريق آخر هو أنهم شعب الله المختار، فقد أثبت علم الوراثة بطلانها. و الحق أن القرآن الكريم قد أسقطها منذ خمسة عشر قرنا و ذلك من خلال قوله تعالی يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِی خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً. وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ، إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (النساء ۱).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۳

يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ (الحجرات ۱۳).

وَ رَبُّكَ الْغَنِیُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ، كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (الأنعام ۱۳۳).

و بما أن لكلّ قاعدة خصوصا فلقد استثنی القرآن الكريم من اختلاط الأنساب فقط ذرّية آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آل عمران ۳۳، ۳۴)

الوقفة الرابعة مورثات الألوان

اشارة

وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ، إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ. (الروم ۲۲).

إن اختلاف الألوان فی المخلوقات من آيات الله أی من براهينه العلميّة، و لا يدرك مدی إعجاز العمليّات التی تتحكّم فی الألوان إلا العلماء: إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ (الروم ۲۲). و قد بدأ العلم يكتشف المورثات و الموادّ الكيميائية التی تحكم اختلاف الألوان فی المخلوقات. فالمورثة أو الناسلة (و هی مادّة كيميائية تقاس ب «الأنغستروم»، و هو جزء من المليار من المتر)، هی التی تتحكّم فی اختلاف الميزات الخلقيّة و منها الألوان. من هنا نفهم التشديد علی ميزة اللّون فی المخلوقات الحيّة و غير الحيّة كما فی قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (فاطر ۲۷).

أما نظريّة التطوّر فی المخلوقات التی أرجعت اختلاف الألوان فی

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۴

المخلوقات إلی عوامل البيئة و المناخ فقط فقد سقطت علميّا مع اكتشاف مورثات الألوان فی المخلوقات. فسكّان الولايات المتّحدة من الزنوج لم يتغيّر لون بشرتهم بفعل المناخ و هم فی مناخ مختلف عن مناخ إفريقيا، رغم مئات السنين، و كذلك بالنسبة لسكّان جنوب إفريقيا من البيض! نحن نعرف ردّهم سلفا، و هو أنه يجب أن تمرّ ألوف لا- بل ملايين السنين كی تحصل بفعل تأثير المناخ، الطفرة الناسلة (Mutationgenetique (التی تحكم اختلاف الألوان فی المخلوقات. و لكننا نوجّه السؤال الذی لا بدّ من أن يتبادر إلی ذهن كلّ عاقل: من خلق المورثة. هذه الأعجوبة الكيميائية؟ هنا يتهافت كليّا منطق بعض المتعلّمين، و منهم من يحمل مع الأسف جائزة «نوبل»، فهم لا يجدون جوابا علی هذا التساؤل البديهی إلا القول: هنا اللغز و ربما المصادفة «۱».

أما الجواب فهو بالنسبة لكلّ ذی عقل و منطق: لكلّ مصنوع صانع، و الذی صنع المورثة التی تتحكّم باللون هو المسبّب الأوّل لكلّ موجود فی الكون، و قد أشار إلی اختلاف الألوان فی الخلق ليكون فی ذلك دليل علميّ منطقیّ لمن يريد الإيمان بالله و القرآن

العظیم من خلال هذه الآیة الکریمة، و غیرها من الآیات التی لم یکشف العلم مضامینها إلا بعد خمسة عشر قرنا من التنزیل.

الثروة الوراثیة فی النبات

وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ، وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ، صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صِنْوانٍ، یُسْقی بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضٍ فِی الْأُکُلِ، إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (الرعد: ۴). و کما فی الإنسان و الحیوان کذلک فی النبات. فاختلاف الإنتاج فی الحبّ و الثمر کمّا و نوعا کما جاء فی

---

(۱). Le Hassard et la Neccessite -Jacpues Monod

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۵

قوله تعالی وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضٍ فِی الْأُکُلِ (الرعد ۴)، محدد سلفا فی الثروة الوراثیة لکلّ عائلة من النبات. و قد عرفت الإنسانیة، منذ أواخر القرن التاسع عشر فقط، مع العالم (منـدلMendel)، الثروة الوراثیة فی النبات التی تجعل أکلها و شکلها مختلفا عن البعض الآخر رغم أنها تسقی بماء واحد.

فالآیة الکریمة أعلاه هی آیة علمیّة جامعة تدخل فی حقل الوراثة و علم ترکیب التربة أیضا، لذلک فهی برهان لقوم یعقلون، إذ لا یستطیع فهمها فی العمق إلا من عقل شیئا من علم الوراثة، و علم الترکیب الکیمیائی للتربة!

الوقفة الخامسة قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی

الانقسام الخلوی

تساءلت منذ سنوات، من موقع الذی یرید أن یزداد علما و یقینا بمعانی کلمات الله: لما ذا وصف المولی نفسه ب «ربّ الفلق»؟ و لما ذا سمّی سورة من القرآن الکریم ب «الفلق»؟ ربما یسّرت لنا الآیة الکریمة التالیة، و هی من مثانی الأولی، فهم ما نریده فی العمق: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ (الأنعام ۹۵).

فلق: تعنی قسم الشیء قسمین متساویین. و فلق الخلیّة الحیّة إلی قسمین متشابهین هو من أجمل و أعقد العملیات البیولوجیة التی تؤدّی إلی تکاثر المخلوقات الحیّة و تجدّدها و استمراریّتها. یبدأ تخلّق جنین الإنسان من خلیّة واحدة، و تنتهی تسویته بمائة ألف ملیار خلیّة تقریبا تخلّقت من خلیّة واحدة هی البویضة الملقّحة، التی «انفلقت» إلی خلیّتین، ثم إلی أربع، ثم إلی ثمان، حتی بلغت مائة ألف ملیار خلیّة تقریبا. و فی کلّ ثانیة یفقد الجسم الإنسانی عشرات الملایین من الخلایا المیتة یعوّضها تلقائیا «ربّ الفلق» من خلال الانفلاق فی الخلایا؛ أی الانقسام الخلوی (divisioncelluaire). و قد اکتشف

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۶

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولی فَلَوْ لا تَذَکَّرُونَ ...

لقطة فریدة بالمجهر الإلکترونی مکبرة عشرات الآلاف من المرّات، لإحدی الصبغیّات (Chromosome) حاملة الناسلات، و قد بدأت بالانفلاق. و هی أساس النشأة الأولی للمخلوقات الحیّة و سبب تجدّدها و استمراریّتها. أما علّة ذلک فهی ید «ربّ الفلق» سبحانه و تعالی

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۷

الانقسام الخلوی العالمان (شلیدنSchleiden)، و (شوانSchwann) (فی سنة ۱۸۲۹، و أثبتا أن الأحیاء مؤلّفة من وحدات أو

لبنات أساسیّة هی الخلایا، نشأت من انقسام لبنة أولی هی الخلیّة الجنسیّة. و کلّما ازداد الإنسان تعمّقا بدراسة علم الوراثة و الأحیاء ازداد خشوعا أمام من وصف نفسه «بربّ الفلق»، بمعنی ربّ المخلوقات کلّها و علّة وجودها و نموّها و تکاثرها و موتها و استمراریّتها ... و لقد أمضی العالمان، کریک و وطسن و مئات الباحثین معهم، سنوات عدیدة فی الدراسة و الأبحاث العلمیة المضنیة، حتی توصّلوا إلی تبیان القلیل من العملیّات البیوکیمیائیة التی تتحکّم فی انشطار الصبغیّات (division chromosomique)، أساس الانفلاق الخلوی فی الکائنات الحیّة، قبل أن ینالا جائزة نوبل فی سنة ۱۹۵۳ علی أبحاثهم هذه. و إلی الذین یتساءلون عن وجود الله نقول: إن ربّ الفلق دلّهم علی برهان علمی علی وجوده و قدرته، بقوله فی آخر هذه الآیة الکریمة: ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ (الأنعام ۹۵). لذلک فنحن نری أن الآیة الکریمة أعلاه هی من الآیات العدیدة فی التحدّی القرآنی العلمی لمن یشکّ بوجود الله و قدرته؛ لیجتمع علماء الأحیاء قاطبة، و لیخلقوا خلیّة واحدة- أی أبسط خلیّة- من ملایین الخلایا المختلفة و المتخصّصة التی تؤلّف أنسجة المخلوقات الحیّة (تعدادها ما یقرب من خمسة ملایین صنف).

و باعتراف العقلاء منهم ففی ذلک استحالة، بالرغم من أن العلم قد عرف أدقّ تفاصیل المرکّبات التی تتألّف منها الخلیّة ... و هنا نردّد بخشوع قوله تعالی:

یا أَیُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ یَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ (الحج ۷۳).

إِنَّا نَحْنُ نُحْیِی وَ نُمِیتُ وَ إِلَیْنَا الْمَصِیرُ (ق ۴۳). هذه آیات من مئات الآیات نحبّ تسمیتها بالتحدّیات القرآنیة، هی صفعة فی وجه کلّ مشکّک بوجود الله. و المادّیون لن یستطیعوا أن یرفعوا هذا التحدّی إلی أن یرث الله الأرض و من علیها.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۸

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ صورة حقیقیّة لانفلاق الخلیّة الحیّة إلی خلیّتین متشابهتین

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۴۹

و إلی الذین لا- یؤمنون «بربّ الفلق» نسوق هذه التساؤلات البسیطة: فی جسم الإنسان ما یزید عن مائة نوع من الخلایا المتخصّصة المختلف بعضها عن البعض الآخر فی الوظائف و المیزات (Cellulesspecialisees) (کالخلیّة الجنسیّة، و الخلیّة العضلیّة، و الخلیّة العصبیّة و الخلیّة العظمیّة، و خلایا الدم البیضاء ... الخ؛ فلما ذا تتجدّد کلّ خلایا الجسم المتخصّصة هذه، و التی نشأت عن خلیّة واحدة متخصّصة هی البویضة الملقّحة بواسطة الانقسام الخلوی العادی (Mitose))أی أن کلّ خلیّة تنقسم إلی قسمین متشابهین تماما فی الخصائص و المیزات، کالخلیّة الأم) إلا الخلیّة الجنسیّة البدائیّة (التی تنشأ عنها سلالة الرجل و المرأة) فهی تتمیّز وحدها دون بقیّة خلایا الجسم بخاصّیة الانقسام الاختزالی (Meiose)، بمعنی أن الثروة الوراثیّة فی سلالة الرجل و سلالة المرأة هی ثلاث و عشرون صبغیّة، أما بقیة خلایا الجسم فی الثروة الوراثیّة فیها مؤلّفة من ست و أربعین صبغیّة!! هل وراء ذلک المصادفة أو الضرورة أو الطبیعة أو التطوّر؟؟ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یُشْرِکُونَ (الروم ۴۰)، فالمنطق السلیم یفرض التسلیم بأن ید «رب الفلق»، الخالق البارئ المصوّر، هی وراء کلّ هذا التصمیم و الإعجاز فی کلّ خلق درسه الإنسان.

الوقفة السادسة یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِ

المیت و المیّت:

لا یمکننا أن نتبیّن الأبعاد العلمیّة الکامنة فی قوله تعالی أعلاه، إلا علی ضوء معانی کلمة «میت» (مشدّدة و غیر مشدّدة)، و استنادا إلی قاعدة المثانی القرآنیة:

أولا- کلمة میت (غیر مشدّدة) لها معنیان:

۱- کلّ شیء فارقته الروح هو میت: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِیرِ (المائدة ۳).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۰

وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِیراً لما ذا من بین ما یقرب من مائة خلیّة متخصّصة فی جسم الإنسان، لا یحصل الانقسام الاختزالی فی الصبغیّات إلا فی الخلیّة الجنسیة. لعلّه التطوّر أو الصدفة أو ربما الضرورة؟؟ لا، بل ید الله الصانع القدیر

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۱

۲- کلّ شیء لا ینتج خیرا لنفسه و للآخرین هو أیضا، و حسب التعریف القرآنی، میت: أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ لَیْسَ بِخارِجٍ مِنْها (الأنعام ۱۲۲)، وَ آیَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَیْتَةُ أَحْیَیْناها وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ یَأْکُلُونَ» (یس ۳۳).

ثانیا- کلمة میّت (بالتشدید) تطلق علی کلّ کائن حیّ هو صائر حتما إلی الموت و الفناء من قوله تعالی: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ (الزمر ۳۰).

و قد اختصر شاعر مجهول التعریف بین المیت و المیّت بقوله:

و تسألنی تفسیر میت و میّتفدونک قد فسّرت إن کنت تعقل

فمن کان ذا روح فذلک میّتو ما المیت إلا من إلی القبر یحمل من خلال هذا التعریف القرآنی لکلمتی میت و میّت تتبیّن لنا الأبعاد العلمیّة الکامنة فی قوله تعالی: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِ (الأنعام ۹۵).

فالسّلالة الذکریة و الأنثویة هی میّتة (بالتشدید) بمعنی أنها شیء حیّ لکنه صائر حتما إلی الموت. فمن انصهار الحیوان المنویّ و البویضة و فقدانهما لذاتیهما یخرج المولود الحیّ، و هذا وجه من معانی قوله تعالی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ (الروم ۱۹). و المولود عند بلوغه النضج یخرج منه الحیوان المنویّ أو البویضة، و هذا معنی من معانی قوله تعالی وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِ (الأنعام ۹۵)، و کذلک الحال بالنسبة لسلالة بقیّة المخلوقات الحیّة: فکلّ سلالة کبذور النبات و بیوض الحیوان هی میّتة، أی حیّة و یخرج منها الأحیاء بالمعنی المتعارف علیه.

هناک أیضا وجوه علمیّة أخری لهذه الآیة الکریمة نختصرها بما یلی: إن بذور الحبّ و نوی الأشجار و النبات ذوات الغلاف السمیک، مثل نوی التمر و الدرّاق و الزیتون، لها خاصّیة فیزیائیّة کیمیائیّة، بحیث إنها إذا زرعت فی التربة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۲

یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ خلیة میّتة: أی صائرة حتما إلی الموت، و قد بدأت فی الدخول فی طور الانقسام الکروموزمی الانقسام الکروموزومی العادی خلیتان جدیدتان خرجتا من الخلیة المیتة أعلاه الانقسام الخلوی العادی

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۳

و تشبّعت بالماء فإن غلافها الخارجی یضغط حینئذ علی الأرض التی حوله بقوّة قد تصل إلی معدّل مائة کیلوغرام فی السنتیمتر المربّع، لتتیح للجذیر و الرّویج الضعیفین جدّا أن یشقّا الأرض سفلا و علوّا بسهولة: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلی طَعامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنا فِیها حَبًّا. وَ عِنَباً وَ قَضْباً. وَ زَیْتُوناً وَ نَخْلًا وَ حَدائِقَ غُلْباً وَ فاکِهَةً وَ أَبًّا. مَتاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعامِکُمْ (عبس ۲۴- ۳۲).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۵

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ.

(الطور ۳۵) «أو لم أخلق جنّة و نارا، أما کنت أهلا لأن أعبد؟».

(حدیث قدسی) إلهی، وجدتک أهلا للعبادة فعبدتک، و أیقنت أن لا إله إلا أنت، و الله لو کشف لی الغطاء ما ازددت یقینا. أنت کما أرید، فاجعلنی کما ترید.

(فیما یروی عن علی بن أبی طالب سلام الله علیه) جاء رجل من بنی فزارة إلی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فقال:
ولـدت امرأتی غلاما أسود! و هو حینئـذ یعرّض بأن ینفیه. فقال رسول الله صـلّی اللّه علیه و سـلّم: هل لک من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فیها من أورق؟ (أسـمر أو ما کان لونه کلون الرماد). قال: إن فیها لورقا. قال: فأنّی أتاها ذلک؟ قال: عسـی أن یکون نزعة عرق. قال: فهذا عسی أن یکون نزعة عرق. و لم یرخّص له فی الانتفاء منه.

متّفق علیه

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۷

الفصل الثالث الحیاة و الموت من الوجهة الوراثیّة

۱- الموت خلق کالحیاة

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ. مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس ۱۷- ۱۹). تَبارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ. الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاةَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفُورُ (الملک ۱- ۲).

تسـتوقفنا من المعانی العدیـدة الکامنـة فی الآیات الکریمـة أعلاه الوجوه العلمیّـة التی کشـفها حدیثا علم الوراثة. فالحیاة و الموت هما خلق فی النصّ القرآنی. و علم الوراثـة بـدأ یکشف منـذ سـنوات أنّ فی کلّ مخلوق حی- سواء کان نباتا أم حیوانا- مسبّبات کیمیائیّة موضوعة و مقدّرة سلفا فی خلایاه، هی المورثات أو الناسلات (seneg) التی تتحکّم فی مختلف عوامل الحیاة و الموت البیولوجیّة، منذ بدء التخلّق و حتی الموت، مرورا بالتسویة و النموّ و الشیخوخة.

لقـد کشف العلم، و لا یزال، العدیـد من الناسـلات التی تتحکّم فی الحیاة و الموت عند النبات و المسـمّاة: الهرمونات النباتیّة. فمنها ما یتحکّم فی عملیّة الإنبات و النّمو، و منها ما یتحکّم فی الشـیخوخة و الموت. و لقد صـنّع الإنسان بعضا من هذه المواد الکیمیائیّة، و هو یستعملها منذ سنوات فی تحسین الإنتاج الزراعی و قتل الأعشاب الضارّة. و علماء الوراثة یکشفون تدریجیّا خصائص

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۸

المورثات الموجودة فی الثروة الوراثیّة عند الإنسان. و أمامهم عمل طویل شاقّ، إذ لم یکتشـفوا حتی الآن إلا النزر الیسیر من خصائص مـا یقرب من ربع ملیون مورثـة فی کـلّ خلیّـة، هی الـتی تحکم کـلّ العوامـل الحیاتیّـة فیه منـذ التخلّق و حتی الموت و تنظّمهـا. و لقد اکتشـفت حـدیثا المورثـة الـتی تحکم إفراز هرمون النموّ عنـد الإنسـان، و المورثـات الخاصّـة بالمناعـة، و بعض الأمـراض الوراثیّـة، و کذلک المورثات التی تحکم العوامل التی تقود إلی الهرم، کمورثة تصلّب الشرایین، و بعض أنواع السرطان. و الراجح أیضا أن طول العمر أو قصره تحکمه أیضـا مورثات وضـعها المولی سـلفا فی ثروة الإنسان الوراثیّـة، فهناک عائلات من المعمّرین، و هناک أمراض الشیخوخة عند الأطفال مثلا.

نریـد أن نخلص ممّا شـرحنا أعلاه إلی القول إن الموت من الوجهـة الداخلیّـة البیولوجیّة، أی الوراثیّة، هو کالحیاة: خلق، أی مقدّر من الخـالق فی الثروة الوراثیّـة، عنـد کلّ مخلوق. و هـذا التقـدیر لم یکشـفه العلم إلا منـذ عشـرات السـنین فقط، و قـد أشارت إلیه الآیات الکریمـة التالیة: الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاةَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، (الملک ۲) قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ. مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس ۱۷- ۱۹). و کـذلک أیضـا قوله تعـالی: وَ مـا یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ (فاطر ۱۱). فلکلمة «کتاب» معان عدّة. ربما کان من معانیها، و الله أعلم، (الشـیفرة) المکتوبة کیمیائیّا فی خلایا کلّ مخلوق، عنینا بـذلک ثروته الوراثیّة. و فیها قدّر المولی طول العمر من الوجهة الداخلیّة البیولوجیّة و قصره، علما أنّ مدّة العمر و توقیت الأجل مقدّر بأسباب خارجیّة و داخلیّة لا یحیط بها إلا خالق الموت و الحیاة، المولی سبحانه و تعالی.

۲- مورثات البناء و التسویة و الشکل

لا یستطیع کلّ عاقل باحث فی المعانی العلمیّة الکامنة فی کثیر من

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۵۹

الآیات الکریمة، إلا أن یسلّم منطقا و جدلا بأنها من لدن الله، خاصّیة أمام الإعجاز العلمی الکامن فی معانی کلّ کلمة، و موقعها فی الآیات الکریمة. و لا تکشف الأبعاد الإعجازیّة فی المعانی العلمیّة للکلمة و استحالة تبدّلها بأخری، إلا بعد الاطّلاع علی آخر ما کشفه العلم. فمن الأمثلة علی ذلک کلمات «صوّر» و «خلق» و «سوّی» فی الآیات الکریمة التالیة: هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ (آل عمران ۶) سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی. الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّی. (الأعلی ۱، ۲).

لقد کشف علم الوراثة منذ سنوات فقط، مورثات اختصاصها التحکّم فی تخلّق الجنین سمّاها مورثات التکوین و البناء ed te erutcurts( ) noitamrof ed seneg، و مورثات وظیفتها تسویة أعضاء الجنین خلال تکوینها حتی تصل إلی شکلها السویّ المعروف و قد سمّیت بمورثات التنظیم و التسویة، regulation(Genes de)، و أخیرا اکتشف مورثة الشکل أو الصورة؛ Genede la forme( ) و هی التی تحکم اختلاف الشکل بین مخلوق و آخر و فی نفس النوع، إذ لا یتشابه تماما مخلوق حیّ مع آخر منذ بدء الخلیقة و حتی یوم الدین، إلا التوائم الصحیحة المتأتّیة من بویضة ملقّحة واحدة کما ذکرنا.

و نری للتذکیر و الفائدة إعادة الحدیث الشریف الذی سبق شرحه فی فصل سابق. ذاک أن التمعّن فی معنی آخر کلمتین فیه: «قال شکّلک»، یجعل کل عاقل یسلّم بأن الحبیب المصطفی علیه أفضل الصلوات و أزکی التحیّات ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (النجم ۳)، بل بما کشفه علم الوراثة منذ سنوات فی هذا المجال، و نقصد بذلک تحدیدا مورثة الشکل. فمن الوجهة المنطقیّة لا یستطیع أیّ إنسان عاش منذ خمسة عشر قرنا الإتیان بحقیقة علمیّة کهذه. و لا شکّ بأن هذا الکلام لا یمکن أن یکون إلا مما وضعه المولی علی لسان المصطفی علیه السلام، فلعلّ القارئ فی القرن العشرین یزداد تسلیما و إیمانا و یقینا بالله تعالی و کلماته. و یروی أنه جاء أحدهم مجلس رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فسأله: «ما ولد لک»؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۰

قال: یا رسول الله ما عسی أن یولد لی إما غلام و إما جاریة. قال: «فمن یشبه»؟ قال: یا رسول الله ما عسی أن یشبه إما أباه و إما أمّه. قال الرسول صلوات الله و سلامه علیه: «مه، لا تقولنّ هکذا. إن النطفة إذا استقرّت فی الرحم أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب الله تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (الانفطار ۸). قال: شکّلک».

۳- الضعف و القوة

اللَّهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَیْبَةً، یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ (الروم ۵۴).

العلم یکشف تدریجیّا أن فی کلّ الأحیاء، و منها الإنسان، عوامل منشّطة هی المسیطرة عند ما یکون ضعیفا، أی منذ تخلّقه حتی سنّ النضج. و مع تقدّمه فی العمر تتراجع تدریجیّا هذه العوامل الحیاتیّة الداخلیّة المنشّطة أمام عوامل الهرم و الشیخوخة. و کلّ هذه العوامل تحکمها مورثات تبدأ بالعمل منذ تخلّق الجنین، فتحوّله من ضعف إلی قوّة (بفضل مورثات التخلّق و النموّ و النضج)، ثم من قوّة إلی ضعف بفعل المورثات التی فیها أمراض الشیخوخة و الهرم.

نَحْنُ قَدَّرْنا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ. عَلی أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَکُمْ وَ نُنْشِئَکُمْ فِی ما لا تَعْلَمُونَ (الواقعة ۶۰- ۶۱).

فالموت کالحیاة، خلق مقدّر من الخالق بمسبّبات داخلیّة وراثیّة وضعها فی ذات الإنسان، بدأ العلم یعرف شیئا منها، و مسبّبات خارجیّة لا حصر لها، تدخل فی علم علّام الغیوب سبحانه و تعالی.

۴- وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِی الْخَلْقِ أَ فَلا یَعْقِلُونَ

اشارة

بعض علماء الوراثة و الأحیاء من الذین فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ (المؤمن ۸۳)، یجنح بهم خیالهم العلمی إلی الاعتقاد بأن الإنسان سوف یتغلّب

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۱

علی الشیخوخة و الموت، و ذلک عند ما یکتشف جمیع المسبّبات الداخلیّة الوراثیة للهرم و الأمراض المستعصیة القاتلة. و بعضهم یظنّ أن الإنسان سیکتشف یوما ما سرّ الحیاة الذی من خلاله سیستطیع إعادة الأموات إلی الحیاة. من هذه النظریّات العلمیّة انطلقت فی الولایات المتّحدة الأمیرکیّة بدعة تجمید الموتی و حفظهم فی حرارة ۲۸۵ درجة تحت الصفر لمنع الأجساد من التلف، حتی إذا وجد العلم یوما سرّ الحیاة- کما یحلمون- حقنوا هذه الأجساد المجمّدة بإکسیر الحیاة أو بمادّتها، فأعادوها إلی عالم الأحیاء ... و التاریخ یعید نفسه! فلقد حفظ قدامی المصریّین جثث أمواتهم علی أمل رجوع الحیاة إلیها فی الحیاة الدنیا یوما ما. و لا تزال مومیاءاتهم تنتظر فی المتاحف منذ خمسة آلاف سنة. کلّا، فهناک حدود لا یستطیع العلم أن یتخطّاها، حدّدها المولی فی کتابه الکریم. إن الحیاة و الموت هما من خلق الله. و الروح علّة الحیاة فی المخلوقات، و هی من أسرار الخالق فی خلقه، و قد اختصّ نفسه بهذا السرّ. و لن یستطیع العلم مهما تقدم أن یعرف ماهیّة الروح. لذلک لن یستطیع عالم مهما بلغ أن یخلق خلیّة حیّة أو أن یمنع الموت عنها. إِنَّا نَحْنُ نُحْیِی وَ نُمِیتُ وَ إِلَیْنَا الْمَصِیرُ (ق ۴۳).

کلّما جنح الغرور ببعض العلماء إلی درجة الاعتقاد بأن فی استطاعة العلم تخطّی ما حدّده المولی فی کتابه الکریم نقول لهم بکلّ قناعة علمیّة و منطقیّة: إن القرآن الکریم هو الکلمة الفصل. و لا رجعة للحیاة فی الجسد بعد موته إلا حین البعث. و لا أحد یستطیع أن یقف أمام الموت و یمنعه. و لم ینبئ القرآن الکریم بشیء إلا طأطأ العلم رأسه أمام کلمات الله و لو متأخّرا بقرون.

و الآیات الکریمة الآتیة ستظلّ تتحدّی غرور بعض علماء الأحیاء و الوراثة و ادّعاءاتهم إلی یوم الدین. و هی برأینا من التحدّیات القرآنیة لکلّ مشکّک فی الله و کتابه، و البرهان الواقعی المحسوس فی کلّ زمان و وقت علی أن القرآن الکریم هو من لدن المولی.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۲

حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ، کَلَّا إِنَّها کَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (المؤمنون ۹۹، ۱۰۰).

فَلَوْ لا- إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ. وَ أَنْتُمْ حِینَئِذٍ تَنْظُرُونَ. وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْکُمْ وَ لکِنْ لا- تُبْصِرُونَ. فَلَوْ لا إِنْ کُنْتُمْ غَیْرَ مَدِینِینَ. تَرْجِعُونَها إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (الواقعة ۸۳- ۸۷).

أمّا العقلاء من علماء الأحیاء فیطأطئون الرءوس الیوم أمام هذا التحدّی القرآنی القائم حتی یوم الدین. و العلم سیکتشف أیضا بأنّ الموت هو خلق مقدّر فی عضو من أعضاء جسم الإنسان، و هذا العضو قد یکون القلب أو الکلیة أو الدماغ أو غیره من الأعضاء. و کما أن للموت أسبابا خارجیّة لا یعلمها سلفا إلا علّام الغیوب، کذلک للموت أسباب داخلیّة عدیدة لا تحصی، قد تنشأ من هذا العضو أو فی ذاک، أو فی أیّ مکان من الجسم. و بموت هذا العضو المقدّر خلق الموت فیه سلفا تموت بقیّة الأعضاء. فکم من مریض بمرض خطیر فی القلب، أو فی الدماغ، أو فی الرئتین، نتجت وفاته عن أسباب داخلیّة أو خارجیة لا علاقة لها بمرضه الذی ظنّ الأطبّاء أنه سبب موته.

نعم، لقد استطاع العلم و یستطیع أن یطیل معدّل متوسّط عمر الإنسان، و ربما بقیّة الأحیاء. إلا أن ذلک یبقی بعلم الله الذی وهب

الإنسان العقل و تیسیره و تقدیره، و سهّل له الوصول لذلک، و مصداقا لقوله تعالی: وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ (فاطر ۱۱).

إلاـ أن القضاء علی الشیخوخة- و هی من أحد المسبّبات العدیدة للموت- یبقی خارج قدرة الإنسان بالغا ما بلغ طول عمره. و فی الحدیث الشریف: «تداووا عباد الله فإن الله تعالی لم یضع داء إلا وضع له دواء، غیر داء واحد: الهرم».

و فی لفظ آخر السامّ بمعنی الموت. (الإمام أحمد).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۳

الأجل و العمر

یخلط بعضهم بین العمر و الأجل، و یهمّنا التوضیح. إن العمر مدّة زمنیّة قد تطول أو تقصر بحسب تقدیر المولی عزّ و جلّ. أمّا الأجل فهو توقیت هذه المدّة المحدّد طولها أو قصرها سلفا من قبل المولی عزّ و علا، و لا تبدیل فیه، حدّده القدیر الحکیم منذ بدأ تخلّق الحیاة فی الکون. و تصدیقا لما نقول نورد قوله تعالی:

لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ (الرعد ۴۰)، فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ (الأعراف ۳۴)، إِنَّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ (القمر ۴۹) وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ کِتاباً مُؤَجَّلًا (آل عمران ۱۴۵).

۵- الهندسة الوراثیة لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ

۱- وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ، إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (الجاثیة ۱۳).

کرّم المولی الإنسان بالسیادة علی کلّ المخلوقات، فسخّرها له و جعلها أمانة بین یدیه، شرط أن لا یفسد فی الأرض بعد إصلاحها، و یهلک الحرث و النسل، و یبدّل فی خلق الله. لذلک استطاع الإنسان من خلال هذه السیادة المخوّلة له من الخالق، التبدیل فی الثروة الوراثیة عند المخلوقات، و هو ما یسمّی فی علم الوراثة بالهندسة الوراثیّة. فلقد بدّل العلماء و عدّلوا منذ سنوات فی الثروة الوراثیّة عند الفیروسات و الجراثیم و الحیوان و النبات، فأنتجوا کمیّات کبیرة من الأدویة کمضادّات الأحیاء و الأنسولین و غیرها، و أنواعا «هجینة» من الحیوان و القمح و الشعیر و الذّرة و الأشجار المثمرة. و یحاول علماء الوراثة الیوم، من خلال الهندسة الوراثیة، التبدیل و التعدیل فی بعض المورثات المسبّبة للأمراض الوراثیّة عند الإنسان بهدف القضاء علیها. و سیصل العلماء

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۴

إلی ذلک عاجلاـ أو آجلا بتیسیر من الخالق، إلا أنهم لن یستطیعوا ذلک فی أمرین هما: أن یقضوا علی الموت، و أن یعیدوا الحیاة إلی المیت. و لو تمعّن الناس و الأطبّاء خاصّة فی الأحادیث الشریفة التالیة: «إن الله لم ینزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه و جهله من جهله»، و «تداووا عباد الله، إن الله لم یضع داء إلا وضع له دواء، إلا السام» (أی الموت). و فی روایة أخری الهرم، و «ما أنزل الله داء إلاـ أنزل له شفاء»، لتیقّنوا أن الرسول علیه الصلاة و السلام، لاـ ینطق عن الهوی. و الدلیل علی ذلک نظرة سریعة فی تاریخ اکتشاف الأمراض و الأدویة، و طرق المعالجة التی کانت منذ خمسة عشر قرنا حتی تاریخه و ما ستکون علیه بعد سنوات.

۶- وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَیُغَیِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ

اشارة

هذه الوجوه التی قد تبدو لخیر الإنسان فی تبدیل الثروة الوراثیة عند المخلوقات، یقابلها مع الأسف وجوه فیها شرّ له. فمنذ سنوات

یجری بعض علماء الوراثة التجارب و الأبحاث بهدف إنتاج الأسلحة الجرثومیّة التی قد تکون أفتک من الأسلحة الذرّیة أو الکیمیائیّة، و ذلک بتعدیل الثروة الوراثیة فی بعض الجراثیم و الفیروسات، و تصنیعها فی قنابل جرثومیّة. و ربما توصّلوا إلی شیء علی هذا الصعید، لکنه لا یزال سرّا حربیّا. و هذه التجارب هی من وسوسة الشیطان مصداقا لقوله تعالی: وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً (النساء ۱۱۹). و سیذوق من یفعل ذلک و بال ما غیّرت یداه سوءا و شرّا فی ثروة المخلوقات المسخّرة أصلا من خالقها لتکون فی خدمة الخیر، و لیس للشرّ. و قد روی عن الرسول الکریم قوله: «أ لا أخبرکم بشرّ الناس؟» قالوا: بلی یا رسول الله، قال: «العلماء إذا فسدوا».

و لم یکتف بعض علماء الوراثة بالتبدیل فی الثروة الوراثیّة للفیروسات و الجراثیم بهدف صنع أفتک أنواع الأسلحة البیولوجیة، بل إنهم یفکّرون بالتدخّل فی سیر الثروة الوراثیّة عند الإنسان بهدف التحکّم سلفا فی نوعیّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۵

الجنین و جنسه، أی بإنتاج ذرّیة منتخبة من العباقرة! ذلک ما نقرأه فی بعض الدراسات العلمیة فی الوراثة تحت عناوین «أجنّة حسب الطلب ... بنوک النّطف للعباقرة و جوائز نوبل». و لنا هنا تعلیق علمی هو: إن تحدید جنس الجنین سلفا بواسطة انتخاب (Selection) الحیوان المنوی المذکّر حامل الصبغیّة (Y)، إذا أراد أحدهم جنینا مذکّرا، أو الحیوان المنویّ المؤنّث حامل الصبغیّة (X)، إذا أراد أحدهم جنینا مؤنّثا، و تلقیحه ببویضة المرأة، ما یزال فی حقل التجارب. و حتی لو تمکّن علماء الوراثة من ذلک؛ فهذه تجارب فردیّة قلّما تنجح، و لیس فی الإمکان تعمیمها، و لو عمّمت فستخلق مشاکل اجتماعیّة و نفسیّة و اقتصادیّة لا تحمد عقباها. و العقلاء من علماء الوراثة و الأحیاء و الاقتصاد و النفس یفضّلون ترک ذلک لمشیئة الله، فهو الأعلم بما یصلح لکلّ مخلوق من مخلوقاته: لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَخْلُقُ ما یَشاءُ، یَهَبُ لِمَنْ یَشاءُ إِناثاً وَ یَهَبُ لِمَنْ یَشاءُ الذُّکُورَ. أَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْراناً وَ إِناثاً وَ یَجْعَلُ مَنْ یَشاءُ عَقِیماً إِنَّهُ عَلِیمٌ قَدِیرٌ (الشوری ۴۹- ۵۰).

أما فی ما یختصّ ببنوک النطف المنتجة للعباقرة و جوائز نوبل کما یدّعون- إذ یلقّحون سفاحا فی الولایات المتحدة الأمیرکیّة و غیرها، حسب رغبة الزوجین، بویضة المرأة بسائل منویّ متأتّ من بائعی أو واهبی نطفهم من العباقرة إلی هذه البنوک- فنتیجتها لیست معروفة بعد، و قد تولّد من هذه الطریقة السفاحیّة بضعة أطفال، إلا أن عبقریّتهم لم تظهر بعد، ربما لأن علماء الوراثة هؤلاء نسوا أنه من المستحیل أن یتحکّموا فی مصیر ما یقرب من ربع ملیون مورثة فی خلیّة الإنسان الجنسیّة، و أن المورثة أو المورثات التی تحکم مختلف مکوّنات العبقریّة ربما تکون ملتصقة بمورثات لأمراض خلقیّة و سلوکیّة. فمن الوجهة الوراثیّة لا یتشابه اثنان. و الواقع یثبت أنه نادرا ما کان نسل العباقرة المباشر بالضرورة عباقرة. و عباقرة العالم فی جمیع فروع العلم فی أغلبهم أولاد رجال بسطاء لم ینالوا من العبقریة شیئا، فالله وحده جلّ جلاله یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ ما یَشاءُ (فاطر ۱).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۶

مختصر

فی القرآن الکریم و فی الحدیث الشریف آیات کریمة و أحادیث شریفة، هی الیوم قوانین و مبادئ أساسیّة یعتمدها علم الجنین و الوراثة، و نختصرها بالآتی:

۱- أعطی القرآن الکریم لمنیّ الرجل و المرأة تسمیة کیمیائیّة هی «الماء المهین» أو «النطفة». و النطفة لغویّا هی القلیل من الماء، من باب تسمیة الکلّ باسم الجزء الأکبر فیه، فالماء یکوّن ۸۵٪ من منیّ الرجل و المرأة. و أما التحلیل الکیمیائی للأجسام المرکّبة، فلم یعرف إلا فی القرن الثامن عشر مع العالم الفرنسی لافوازییه (۱۷۹۴ -۱۷۴۳ Lavoisier) و الإنکلیزی بریستلی (Priestley ۳۳۷۱ -۴۰۸۱) و السویدی شیل (Scheel) و فی الحدیث الشریف التالی: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر»، وصف للون ماء

المرأة، الذی لم یکشفه العلم إلا فی القرن الثامن عشر مع العالم «دوغراف» الذی اکتشف حویصلة البویضة، و هی جریب یحوی ماء أصفر تسبح فیه بویضة المرأة. و لا یزال العلم یسمّی هذا الماء بالماء الأصفر.

کما أن فی بقیّة الحدیث مبدأ أساسیّا عرفه علم الوراثة فی القرن العشرین، و هذا المبدأ یقول بأن منیّ الرجل هو الذی یتحکّم فی تحدید جنس الجنین ذکرا کان أم أنثی، من خلال صبغیّة (Y(المسیطرة و الموجودة فقط فی الثروة الوراثیة عند الرجل. من هنا نفهم الحدیث الشریف: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکر بإذن الله، و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل أنّث بإذن الله».

۲- لم یکتشف الحیوان المنویّ و البویضة إلا فی القرن السابع عشر، مع اکتشاف المجهر کما ذکرنا، و لم یعرف دورهما الحقیقی فی تکوین الجنین إلا فی القرن التاسع عشر (العالمان هرتویغ- و قان بندن Beneden(Van- Hertwig . أما القرآن الکریم فقد أعطی الحیوان المنویّ و البویضة اسم

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۷

«السلالة»، و هی التسمیة الأبلغ و الأسهل و الأصحّ علمیّا، إذ إنها تعنی النخبة المستخلصة و المنسلّة من الشیء، و هی صفات الحیوان المنویّ و البویضة و میزاتهما کما نعرفها الیوم. قال تعالی: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (السجدة ۸). و فی الحدیث الشریف التالی إشارة غیر مباشرة إلی السلالة و دورها الرئیسی فی التخلّق: «ما من کلّ الماء یکون الولد ....» (مسلم).

۳- ورد فی القرآن الکریم أن النطفة قد تکون غیر مخصبة. فلقد ربط الخالق تخلّق الذکر و الأنثی من النطفة بشرط تمنیتها، بمعنی إذا قدّرها الله خلقا: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (النجم ۴۶)، أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (القیامة ۳۷)، و حقیقة عقم ماء المرأة و الرجل لم تعرف إلا فی القرن العشرین.

۴- ورد فی القرآن الکریم و الحدیث الشریف أن الجنین یتخلّق من ماء الرجل و المرأة علی حدّ سواء. قال تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی (الحجرات ۱۳)، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ ... (الدهر ۲).

و قال علیه الصلاة السلام «من کلّ یخلق، من نطفة الرجل و من نطفة المرأة».

و لم تعتمد هذه الحقیقة إلا فی القرن التاسع عشر مع العالمین هر تویغ و قان و قان Hertwig -Van benden (.

۵- ورد فی القرآن الکریم أنّ المولی الحکیم العلیم جعل فی ماء المرأة و الرجل ما یعطی المیزات الوراثیة (الأنساب)، و ما یمکّن من انصهار ماء المرأة بماء الرجل. قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً (الفرقان ۵). هذه الحقائق العلمیة الأساسیة فی الوراثة و الکیمیاء الحیاتیة لم تکتشف إلا فی القرن العشرین. و لا یزال العلم یکشف کلّ یوم فی ماء الرجل و المرأة موادّ کیمیائیة تسهّل انصهار سلالة الرجل و المرأة و تمنع رفض المرأة لسلالة الرجل، بالرغم من أن الأخیرة هی جسم غریب عن المرأة.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۸

۶- ورد فی القرآن الکریم أن مستقبل الجنین البیولوجی مرسوم و مقدّر منذ تکوّن النطفة الأمشاج: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ. مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس ۱۷- ۱۹). و لم تکشف الثروة الوراثیة التی تحدّد المستقبل البیولوجی للجنین إلا فی القرن العشرین مع العالمین بوقری و مورغن (Morgon- bovori(و غیرهما.

۷- وصف القرآن الکریم وصفا مجهریّا مختلف أطوار الجنین، و قسمها إلی ستّة أطوار هی: النطفة، و العلقة، و المضغة، و تکوّن العظام، و کسوة العظام باللحم، و التسویة. و هذه الأطوار لم تعرف إلا فی القرن العشرین، و لم یزد علیها علماء الجنین إلا التفاصیل، لا بل إن بعضهم الیوم یقترح اعتماد هذه الأطوار فی تدریس الأطبّاء علم الجنین کالعالم «کیث مور». و فی هذه الأطوار قال تعالی: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ،

فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (المؤمنون ۱۳- ۱۴). و أما الأحادیث الشریفة التی فصّلت أطوار الجنین فنکتفی منها بالآتی: «إذا مرّ بالنطفة اثنان و أربعون یوما، بعث الله ملکا فصوّرها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: یا رب أذکر أم أنثی؟ فیقضی ربّک ما یشاء و یکتب الملک» (مسلم).

و فی الحدیث أیضا: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ...»

(البخاری).

و فی علم الجنین الحدیث أن مختلف أعضاء الجنین الأوّلیة تجمع فی الجنین منذ أواخر الشهر الثانی، و بعدها تبدأ مرحلة الأعضاء. و هذه الحقائق لم تعرف إلا فی القرن العشرین.

۸- بفضل تقدّم العلوم الطبیعیة و وسائل التغذیة الاصطناعیة و الإنعاش، أمکن التأکّد الیوم بأن الحمیل قابل للعیش منذ الشهر السابع للحمل. و لقد أشارت إلی إمکانیة عیش الحمیل منذ الشهر السادس الآیتان الکریمتان

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۶۹

التالیتان: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً (الأحقاف ۱۵)، وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ ... (لقمان ۱۴).

۹- کشفت العلوم الطبّیة و علم الوراثة فی القرن العشرین أنه ما من إنسان یشبه الآخر من الوجهة البیولوجیة إلا التوائم الصحیحة. و قد کشف علم الوراثة، منذ سنوات، المورثة أو الناسلة التی تحکم اختلاف الأشکال عند الإنسان. و فی القرآن الکریم إشارة غیر مباشرة إلی هذا المبدأ الوراثی نجده فی قوله تعالی: هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ (آل عمران ۶)، فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (الانفطار ۸).

و قد شرح الرسول الکریم فی الحدیث الإعجازی التالی هذا المبدأ الوراثی فی اختلاف المخلوقات الحیّة بعضها عن البعض الآخر و فی النوع نفسه. فقد أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم أن الرسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم سأل رجلا: ما ولد لک؟ قال الرجل: یا رسول الله ما عسی أن یولد لی، إمّا غلام و إمّا جاریة؟

قال: فمن یشبه؟ قال الرجل: یا رسول الله ما عسی أن یشبه، إمّا أباه و إمّا أمّه.

فقال الرسول صلوات الله و سلامه علیه: مه، لا تقولنّ هکذا، إن النطفة إذا استقرّت فی الرحم أحضرها الله تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم، أما قرأت هذه الآیة فی کتاب الله تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (الانفطار ۸)، قال:

شکّلک.

۱۰- من قوانین الوراثة أن الصفات الوراثیة المسیطرة (Genedominant) تظهر دائما فی النسل المباشر. أما الصفات الوراثیة المتنحّیة (Generecessif) فلا تظهر فی النسل المباشر، و إنما بعد سلالات أو أجیال. و قد کشف العلم فی القرن العشرین أن جمیع الخصائص الحیاتیة البیولوجیة تحکمها المورثات أو الناسلات التی تحملها الصبغیّات التی تؤلّف الثروة الوراثیة عند الإنسان و المخلوقات الحیّة. فهناک ناسلات مسیطرة، بمعنی أن المیّزات و الخصائص الحیاتیة التی تتحکّم بها یجب أن تظهر بالضرورة فی

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۰

النسل المباشر. و هناک ناسلات متنحّیة أو خاضعة، بمعنی أن الخصائص الحیاتیة المتعلّقة بها قد لا تظهر بالضرورة فی النسل المباشر، و ربّما بقیت هذه الخصائص أجیالا قبل أن تظهر فی النسل القریب أو البعید. و قد أشار الحدیث التالی إلی المورثات المسیطرة: «اللهم متّعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوّاتنا ما حیینا و اجعله الوارث منا» (رواه الترمذی و الحاکم فی المستدرک).

کما أشار الحدیث الشریف التالی إلی المورثات المتنحّیة (recessif gene)، فقد جاء رجل من بنی فزارة إلی رسول الله صلوات الله و سلامه علیه، فقال: ولدت امرأتی غلاما أسود، و هو حینئذ یعرّض بأن ینفیه، فقال رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم: هل لک من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر.

قال: هل فيها من أورق (ما كان لونه كالرماد)؟ قال: «نعم إن فيها لورقا. قال:

فأنّى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعة عرق، قال: فهذا عسى أن يكون نزعة عرق. و لم يرخّص له فى الانتفاء منه». و قد رمز الحديث الشريف إلى الناسلة بكلمة «العرق».

۱۱- الألوان فى المخلوقات الحيّة تحكمها ناسلات كشفها علم الوراثة حديثا و لا يزال. و قد أشار القرآن الكريم إلى ناسلات الألوان فى الآية الكريمة التالية: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ (الروم ۲۲)، و علماء الوراثة يعرفون أن هذه الناسلات التى تتحكّم فى اختلاف ألوان المخلوقات الحيّة هى معجزة فى تركيبها و طريقة عملها.

۱۲- كشف العلم فى القرن العشرين أن الأمراض الوراثية تحكمها مورثات، بعضها خاضع و بعضها مسيطر. و كلّما تجنّب الأفراد الزواج من صلات رحمهم قلّت هذه الأمراض. و نلاحظ الإعجاز العلمى فى الأحاديث التالية: «غرّبوا النكاح فهو أنجب»، «تخيّروا لنطفكم فإن العرق دسّاس»، «غرّبوا لا تضووا».

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۱

۱۳- كلّ المخلوقات الحيّة المتعدّدة الخلايا تبدأ بخليّة واحدة هى الخليّة الجنسية التى تتكاثر إلى ملايين الخلايا بواسطة الانقسام الخلوى-sioncellulaire( ) Divi الذى اكتشفه فى القرن الثامن عشر و التاسع عشر العلماء:

و ولف (Wolf)، و پريقوست (Prevost)، و دوماس (Dumas)، و شليدن (Schleiden)، و شوان (Schwann(..

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ الأساسى فى علم الجنين و الوراثة فى الآيات الكريمة التالية: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (عبس ۱۷- ۱۹)، إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (الأنعام ۹۵). و قد سمّى المولى نفسه ربّ الفلق، أى ربّ الأحياء و علّة تكاثرها و استمراريتها: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (الفلق ۱).

۱۴- إن تخلّق أعضاء الجنين الجنسية يحكمها زوج الصبغيّات الجنسية [س ص أوY X (عند الرجل و (س س أوX X (عند المرأة] التى تعطى الهويّة الجنسية أو الجنس الوراثى للرجل و المرأة (Sexegenetique)، و هذا المبدأ الذى لم يكتشف إلا فى القرن العشرين قد أشارت إليه بصورة إعجازيّة الآيات التالية: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى (النجم ۴۵- ۴۶) أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى. أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (القيامة ۳۶- ۳۹)، بلى و ربّى. و الضمير فى «منه» راجع إلى المنىّ، و كلمة المنىّ تطلق على ماء الرجل و المرأة على حد سواء.

۱۵- الرحم هو المكان الطبيعى فى البطن الذى ينمو فيه الجنين كقاعدة عامّة. و فى حالات طبّية نادرة جدّا نما الجنين و عاش فى بطن أمّه خارج رحمها و ولد حيّا، بواسطة عمليّة قيصريّة (أى بفتح البطن و استئصاله من بين الأحشاء). و هذه الحالات النادرة أشارت إليها بصورة إعجازية الآية الكريمة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۲

التالية: ... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ... (الزمر ۶)، و فى كلمة «بطون» تكمن الإشارة إلى هذه الحالات الطبّية النادرة التى تعدّ بالعشرات. أما القاعدة العامّة فهى نموّ الجنين فى الرحم لقوله تعالى: وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى (الحج ۵).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۳

وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...

الشكل اللولبى الذى لفّت بواسطته الصّبغيّات داخل نواة الخليّة، بحيث لو فردت كلّ صبغيّات الجسم الإنسانى بخطّ مستقيم لبلغت طول المسافة بين الأرض و الشمس (۱۵۰ مليون كلم)، علما أنّ الثروة الوراثية للبشريّة جمعاء يمكن احتواؤها فى مكعب حجمه سم

مکعب واحد فقط

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۵

القسم الثالث من علم الطب الوقائی القرآنی

اشارة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۷

وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنی إِنَّهُ کانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِیلًا.

(الإسراء: ۳۲) «إذا ظهر الزّنی و الرّبا فی قریة فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله ... و ما ظهرت الفاحشة فی قوم قطّ حتی یعلنوا بها إلا فشا بهم الطاعون و الأوجاع التی لم تکن فی أسلافهم».

(حدیث شریف رواه الحاکم و البیهقی) «الإباحیّة الجنسیة تکلّفنا غالیا».

«جورج ماتیه» أستاذ الأمراض السرطانیّة فی جامعة باریس

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۷۹

الفصل الأول فی العلاقات الجنسیة

اشارة

الطبّ الوقائی هو علم المحافظة علی الفرد و البیئة و المجتمع فی أحسن الحالات الصحّیة. و هو من الأهمّیة بحیث إن الإسلام ربط تعالیم الطبّ الوقائی بتعالیم العقیدة و التشریع فجعل منهما کلّا لا یتجزّأ.

الطبّ الوقائی علم واسع قائم بذاته یدرّس فی مختلف فروع العلوم الطبّیة. و قد أثبت الواقع أن أسلم و أنجع علاج للمرض هو بالوقایة منه قبل الإصابة به، و ذلک بوسائل التحصین و المناعة، و بنشر التوعیة الطبّیة الوقائیّة بین الأفراد. و فی المأثور من القول: «درهم وقایة خیر من قنطار علاج». و کل مطّلع یجد فی القرآن الکریم و الحدیث الشریف و السنّة الشریفة أوامر و نواهی و إرشادات سبقت تعلیمات الطبّ الوقائی بقرون؛ و قد بدأ العلم یتبیّن أبعادها الوقائیّة الشفائیة. هذه التعالیم هی ما نسمّیه بعلم الطبّ القرآنی الوقائی، و فیها رسمت الخطوط الرئیسة لهذا العلم من دون تفصیل، کما هی الحال فی مختلف فروع العلوم المادّیة التی تطرّقت إلیها آیات الکتاب الکریم و الأحادیث الشریفة.

۱- فی السکینة الزوجیة

وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (الروم ۲۱).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۰

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ. إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ (البقرة ۲۲۲).

نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنَّی شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ (البقرة ۲۲۳).

تستوقفنا فی هذه الآیات الکریمة کلمة «لتسکنوا» و «أذی» و «حرث» و «قدّموا لأنفسکم». إن التفکّر بمعانیها، و فهمها علمیّا فی العمق بمضامینها، یوصلنا إلی سبب أساسی فی استقرار العائلة، نواة کلّ مجتمع صالح.

و سنقف هنا عند مصطلحی «السکینة» و «المحیض» لنتبیّن بعض جوانبهما فی مجال الطب الوقائی:

۱- السکینة هی أعلی درجات الطمأنینة و الراحة النفسیة و عماد الحیاة الزوجیّة، و أساس استقرارها و سعادتها. و علی الأزواج، بخاصّة الرجال، أن یبذلوا ما أمکن للوصول إلی هذه السکینة و الطمأنینة، التزاما بقوله تعالی:

وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (النساء ۱۸)، وَ لا تُمْسِکُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا (البقرة ۲۳۱)، فَلا تَمِیلُوا کُلَّ الْمَیْلِ فَتَذَرُوها کَالْمُعَلَّقَةِ (النساء ۱۸)، قالُوا إِنَّا کُنَّا قَبْلُ فِی أَهْلِنا مُشْفِقِینَ (الطور ۲۶)، وَ أْتَمِرُوا بَیْنَکُمْ بِمَعْرُوفٍ (الطلاق ۶) فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ (الطلاق ۲).

و الأطبّاء- و خاصّة النفسیّین منهم- و المصلحون الاجتماعیّون، و کلّ عامل فی الحقل الاجتماعی و التربوی و القضائی، یعرفون و یلمسون کلّ یوم أن کثیرا من الأمراض النفسیة و انعکاساتها العضویة المرضیّة، و ما یتبعها من آثار سلبیة مدمّرة فی العائلة و المجتمع هی نتیجة مباشرة لفقدان السکینة البیتیة. و لا یجد أطبّاء النفس و المصلحون حلّا لفقدان السکینة فی العائلة إلا بالرجوع إلی الالتزام بتعالیم الإسلام. ففی القرآن الکریم، و الحدیث، و السنّة الشریفة، أوامر و نواه و إرشادات إذا فهمها الفرد و التزمها أدخل السکینة إلی نفسه و عائلته،

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۱

و تفادی أکثر الآثار المدمّرة و القلق النفسی علی کلّ صعید. و لنا عودة مطوّلة إلی هذا الموضوع فی کتابنا الذی سیصدر بإذن الله تحت عنوان «التنشئة الإسلامیة و علم النفس». و لکن نکتفی هنا بالقول- بحکم الخبرة المهنیة- بأن إمکانیة الطلاق، و تعدّد الزوجات هما فی شعور المرأة أو فی لا شعورها من الأسباب الرئیسة و العدیدة لقلقها، و بالتالی لعدم استقرار العائلة علما أنّ الطلاق و تعدّد الزوجات فی الإسلام لیسا بالسهولة التی یعتقدها و یمارسها بها بعضهم. و لو رجعنا إلی النصوص و فهمناها جیّدا لوجدنا أن الطلاق و تعدّد الزوجات فی الإسلام هما عملیة قیصریة لا یجب أن یلجأ إلیها المتشرع إلا فی حالة الضرورة القصوی، کما یلجأ الطبیب إلی العملیة القیصریة عند ما تتعسّر الولادة و یخشی وقوع خطر یتهدّد الکائن الحیّ.

۲- المحیض (الطمث) هو أفضل بیئة لنموّ الجراثیم و تکاثرها. و فی الجسم السلیم تتواجد ملیارات البکتریا و الجراثیم غیر المضرّة و التی قد تصبح مؤذیة فی ظروف حیاتیّة مختلفة، کالجماع فی المحیض الذی یتسبّب أحیانا بالتهابات و إنتانات فی الجهاز التناسلی و البولی عند الرجل و المرأة علی حدّ سواء، بالإضافة إلی کون المرأة غیر مؤهّلة من الوجهة النفسیّة و الوظیفیّة للجماع فی المحیض. و کثیر من حالات العجز الجنسی و البرودة الجنسیة عند الرجال و النساء هو نتیجة الأذی النفسی للجماع فی المحیض. فالمرأة هی «حرث» الرجل، و لکی یحصد زرعا جیّدا فعلی الزوج أن یعرف میزات الأرض التی یزرعها و متطلّباتها و خصائصها، و أن لکلّ أرض خصائص و میزات مختلفة عن تلک التی للأخری. و علی الرجل إن أراد راحة نفسه أن یقدّم لنفسه بین یدی حرثه، و ذلک بأن یوفّر جمیع الأسباب المادیّة و النفسیّة التی تجعل من هذه الأرض الحرث منبتا حسنا، و إلا فمن زرع الریح حصد العاصفة. و من أسباب کراهیة المرأة لزوجها طریقته التی یمارس فیها معها العلاقات الجنسیة و نوعیّتها خاصّة فی أیام الزواج الأولی. و فی الحدیث الشریف: «إذا جامع أحدکم أهله

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۲

فلا یأتیهنّ کما یأتی الطیر، لیمکث و لیلبث» (الطوسی). و بالمقابل فإنه علی الزوجة أن لا تمنع زوجها من نفسها إذا طلبها مهما کانت الظروف، شرط توفّر الشروط الشرعیة من السرّیة و الطهارة، ذلک أن کثیرا من حالات البرودة و العجز الجنسی عند الرجال و الزنی سببها تمنّع الزوجة عن الجماع عند طلب الزوج.

من هنا نفهم الأبعاد النفسیّة و الاجتماعیّة الوقائیّة للحدیثین الشریفین التالیین:

«إذا دعا الرجل امرأته إلی فراشه فلم تأته فبات غضبان علیها لعنتها الملائکة حتی تصبح» (متّفق علیه)، و «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته

فلتأته و إن کانت علی التنّور» (الترمذی).

۲- ثَلاثُ عَوْراتٍ لَکُمْ

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِیَسْتَأْذِنْکُمُ الَّذِینَ مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ وَ الَّذِینَ لَمْ یَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْکُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَ حِینَ تَضَعُونَ ثِیابَکُمْ مِنَ الظَّهِیرَةِ، وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ، ثَلاثُ عَوْراتٍ لَکُمْ، لَیْسَ عَلَیْکُمْ وَ لا عَلَیْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ، طَوَّافُونَ عَلَیْکُمْ بَعْضُکُمْ عَلی بَعْضٍ، کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ. وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْکُمُ الْحُلُمَ فَلْیَسْتَأْذِنُوا کَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ، کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ. (النور ۵۸- ۵۹).

هذه الآیات الکریمة فی آداب السلوک العائلی الإسلامی، و ضرورة استئذان الأبناء و الخدم و الموالی قبل الدخول علی الوالدین عند ما یکونان منفردین، یجب فرضها و التشدید علیها من جدید. فقد کاد ینساها أکثرنا، و لم یدرکوا أبعادها الوقائیّة النفسیّة. فقد کشف التحلیل النفسی أن کثیرا من العقد الجنسیّة، کالانحرافات الجنسیّة مثل اللواط و السحاق و غیرها، و کثیرا من الاضطرابات فی العملیّة الجنسیّة، کالعجز الجنسی حتی فی العلاقات الشرعیّة، و کذلک کثیرا من حالات الاغتصاب، و قتل الضحیّة، و التمثیل بها

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۳

قبل اغتصابها و بعده، یرجع إلی صدمات و جروح نفسیّة دفینة فی العقل الباطنی نتجت عن مشاهدة الأولاد أو الموالی أو الخدم للزوجین فی خلوة حمیمة، أو عند ما یکونان فی عورة.

نلاحظ أیضا البعد الوقائی من الاضطرابات النفسیّة و الجنسیّة فی الأحادیث الشریفة التالیة:

«احفظ عورتک إلا من زوجک أو ما ملکت یمینک» (البخاری).

«لو أن رجلا غشی امرأته، و فی البیت صبیّ مستیقظ یراهما، و یسمع کلامهما و نفسهما، ما أفلح أبدا».

«الصبیّ و الصبیّ، و الصبیّة و الصبیّة، یفرق بینهم فی المضاجع لعشر سنین».

«الغلام لا یقبّل المرأة إذا جاز سبع سنین».

۳- الإجهاض وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ (الأنعام ۱۵۱).

اشارة

کلّما ابتعدت الإنسانیة عن الأخذ بتعالیم السماء یتبیّن لها مع مرور الزمن خطأ و هشاشة القوانین الوضعیّة التی تتعارض مع ما أمر به المولی عزّ و علا- لقد سمحت بلدان کثیرة- کما تغاضت أخری- عن ما تسمّیه حتی الآن بالإجهاض الإجرامی. و الإحصاءات السنویة- و کلّها تقریبیّة، و المجهول أکثر من المعروف- فی العالم تشیر إلی عشرات الملایین من حالات الإجهاض الإرادی المنظّم و المغطّی بقوانین وضعیّة، و تحت ستار حجج واهیة و مفاهیم خاطئة، کالفقر، و تحدید النسل، و فقدان الموارد الغذائیّة العالمیّة، و الحریّة الفردیّة.

و أما الحقیقة فهی أن ذلک هو نتیجة حتمیّة لبعد أکثر الأمم عن الأخذ بتعالیم المولی و الثقة بعطائه فیما یخصّ توزیع الثروات. فلا فقر، و لا خوف من الفقر، و لا مجاعة، عند أیّ أمّة تتّبع تعالیم ما أمر به الإسلام. و الإحصاءات الیوم تشیر

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۴

وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ طفلة متخلّفة عقلیّا من نوع المنغول، یستطیع أن یکشف علم الوراثة مرضها (Trisomie ۲۱) منذ الشهر الرابع للحمل، إلا أن الشرع لا یسمح بإجهاضها لأنها قابلة للعیش و التأهیل

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۵

وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ الطفل الضفدع عیّنه نادرة من الأطفال المشوّهین خلقیا و التی قد یسمح الشرع بإجهاضهم إذا تأکّدت لجنة من أطباء عدول بأنهم سیولدون مع هذه الإعاقة غیر القابلة للتأهیل و للحیاة

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۶

إلی أن الثروات التی لا تزال کامنة فی الأرض و البحار تکفی لأن تطعم الإنسانیة جمیعها مهما بلغ تعدادها، إذا أحسن استغلالها، شرط أن یتخلّی الإنسان عن أنانیته و ظلمه، و عن تسخیر العلم و الموارد الطبیعیة فی ابتکار مختلف أدوات الفتک و الدمار، و تلویث البیئة و إهدار الطاقات الغذائیة، و إطعامها للحیوانات و حتی إتلافها و حرقها، بدل إرسالها إلی جیاع العالم، کی لا تنخفض أسعار الموادّ الغذائیة فی الأسواق العالمیة. هذا فی حین إن الإنسانیة تنفق سنویا، حسب الإحصاءات، ما یقرب من ألف ملیار دولار علی التسلّح، و تنفق فی ساعة فی سبیل القتل و الدمار ما یکفی لتمویل برامج الأمم المتّحدة الغذائیة السنویّة، بینما یعانی ربع الإنسانیة من الأمیّة، و من سوء التغذیة و الرعایة الصحّیة. و عشرات الملایین تموت سنویّا من الجوع، و کذلک مئات الملایین مهدّدة سنویا بالموت من المرض و الجوع، و ما ذلک إلا نتیجة بعد الإنسان عن الأخذ بتعالیم السماء و مصداقا لقوله تعالی: فَمَنْ تَبِعَ هُدایَ فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ (البقرة ۳۸)، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی. وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنْکاً (طه ۱۲۳، ۱۲۴).

و فی الإسلام نجد القوانین الصحیحة التی نظّمت العلاقات الجنسیّة و ما یتعلّق بها، کالإجهاض و تحدید النسل و منع الحمل، و المبادئ الاقتصادیّة و الأخلاقیّة فی تعامل الأفراد و الأمم فیما بینهم بما یکفل سعادة الفرد و المجتمع و یبعد عنهم خوف الفقر و المجاعة و ضرورة تحدید النسل التی ینادون بها.

لیرجعوا إلی تعالیم الإسلام إذا أرادوا حقّا إیجاد العلاج السلیم للمشاکل و المآسی الاجتماعیّة و الأخلاقیّة و الاقتصادیّة التی یتخبّطون فیها منذ قرون!

الإجهاض فی نظر الإسلام

وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیَّاهُمْ (الأنعام ۱۵۱).

وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ خَشْیَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِیَّاکُمْ (الإسراء ۳۱).

قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَیْرِ عِلْمٍ (الأنعام ۱۴۰).

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۸۷

... مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ (المائدة ۱۲۵).

الإجهاض عن سابق تصوّر و تصمیم، أی الإسقاط الإرادی للجنین بدافع الفقر أو خشیة الفقر، أو لغیر ذلک من أسباب واهیة، هو قتل للنفس لأن الجنین منذ بدء تخلّقه هو نفس، علما أنّ کلّ إجهاض متعمّد مهما کان مبکرا، لن یحصل إلا بعد الأسبوع الثالث من بدء الحمل، أی فی طور تخلّق الجنین.

و هناک حالات نادرة جدّا استثناها التشریع الإلهی فی قوله تعالی: وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ، و نفصّلها کالآتی:

۱- إن قتل الجنین الذی یهدّد مباشرة حیاة الحامل (و هی حالات نادرة جدّا فی الطب)- إذا أفتت بذلک لجنة طبّیة مؤمنة من أهل الاختصاص التزاما بقوله تعالی: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. بِالْبَیِّناتِ وَ الزُّبُرِ (النحل ۴۳، ۴۴)- یدخل فی حیّز الاستثناء الذی سمحت به الآیة الکریمة أعلاه و ما تأمر به الآیتان التالیتان: لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها (البقرة ۲۸۶) و لا تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها (البقرة ۲۳۳). و هذا ما یعرفه الطب الوقائی تحت اسم الإجهاض الطبّی الشرعی.

۲- و قتل جنین تأکّدت لجنة طبّیة من أهل الاختصاص فی علم الأجنّة و الطب الداخلی و الأمراض الوراثیة من أنّه سیولد مشوّها غیر

قابل للشفاء و التأهيل، و بالتالى من أنه سيكون فى ولادته و تربيته حملا ثقيلا و إرهاقا للعائلة و المجتمع (و هذه أيضا حالات نادرة جدّا)، قد يدخل فى حيّز الاستثناء الذى سمحت به الآيات الكريمة أعلاه، و ذلك رحمة بوالديه و المجتمع. و هذا ما يسمّيه الطب بالإجهاض الوقائى. و فى سورة الكهف نجد، و الله أعلم، قياسا على هذه الحالات النادرة. فقد قتل العبد الصالح (الذى صاحبه النبى موسى عليه السلام، ليتعلّم شيئا ممّا آتاه الله من العلم اللّدنى، أى العلم المباشر من

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۸۸

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ طفل مشوّه و معوق عقليّا و جسديّا منذ ولادته. و قد تبيّن للعلم اليوم أن مختلف التشوّهات الخلقيّة التى تصيب الجنين هى نتيجة لجهل الإنسان و لما كسبت يداه من إفساد فى نفسه و بيئته

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۸۹

الله، غلاما لأنه كان سيرهق والديه المؤمنين بطغيانه و كفره: وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً. فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (الكهف ۸۰- ۸۱).

و قد يسّر المولى للأطبّاء اليوم بأن يكشفوا مسبقا حالات تشوّهات خلقيّة فى الجنين قد تجعله، مستقبلا، عامل إرهاق على والديه. فلا مانع إذا و الله أعلم، من إسقاط جنين أكّدت لجنة مؤلّفة من أطبّاء عدول بأنّه سيكون مشوّها و معاقا و مرهقا للوالدين. و هذه حالات نادرة قلّما يستطيع تأكيدها الأطبّاء.

إذا، فقد حرّم المولى الإجهاض الإرادى، إلا فى الحالات الاستثنائيّة النادرة أعلاه. و كان من نتيجة التراخى فى هذه المسألة، و السماح بالإجهاض من قبل المتشرّعين فى بعض البلدان ما نراه اليوم من نتائج. فالعلاقات الجنسيّة الآثمة، و آثارها المدمّرة للفرد و للجماعات كما يحصل فى المجتمعات التى سمحت بالإجهاض، ما كانت لتستشرى بهذه الضراوة لو لا القوانين الوضعيّة التى سمحت بالإجهاض، و جعلته عمليّة سهلة منظّمة لكلّ من حملت سفاحا، لا تتطلب منها أكثر من بضع ساعات من الوقت و قليل من الدراهم، علما أنه فى أكثر البلدان الراقية أصبح الإجهاض الإجرامى يتمّ على حساب الدولة و الضمان الاجتماعى! إن كلّ إجهاض إرادى هو جرح فى جسد المرأة و نفسيّتها يصعب شفاؤه تماما بدون أن يترك أثرا. و هو نزف للطاقات البشريّة و الاقتصاديّة، و باب مفتوح، و دعوة صريحة للتحلّل من القوانين الأخلاقيّة الحقّة التى تأمر بها الأديان السماويّة. و المجتمعات التى سمحت بالإجهاض الاختيارى تحصد اليوم قلقا و تعاسة و ضياعا، جزاء وفاقا لما سنّته أيديهم من قوانين. فهناك مثلا حوالى مائة ألف حالة وفاة سنويّة فى العالم، تحصل كمضاعفات قاتلة لما يزيد عن خمسة و أربعين مليون حالة إجهاض إرادى حسب آخر الإحصاءات.

تعليق:

۱- بعض الفتاوى الشرعية تقول إن الإجهاض مسموح قبل نفخ

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۹۰

الروح. و لا ندرى على ما ذا اعتمد هؤلاء المشرّعون لهذه الفتوى التى تفتح الباب واسعا أمام الإجهاض، علما أنه لا يوجد نصّ قرآنى أو حديث شريف بذلك. و نفخ الروح فى الجنين يحصل- و الله أعلم- خلال مرحلة التسوية، و ذلك من قوله تعالى: ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ (السجدة ۹)، و مرحلة التسوية تمتدّ من الشهر الثالث إلى الشهر السابع. فهل يدرى أصحاب هذه الفتاوى أنهم بذلك يفتحون الباب واسعا أمام الإجهاض حتى الشهر الثالث من الحمل؟

۲- و لقد ذهب بعضهم الآخر إلى الفتوى بأن الإجهاض مسموح به شرعا قبل تخلّق الجنين. و هنا نذكّر بأن الجنين يبدأ تخلّقه بمعنى تخلّق أعضائه مع نهاية الأسبوع الثانى من الحمل (أى خلال مرحلة العلقة)، و الطبّ لا يستطيع كشف الحمل عند المرأة قبل الأسبوع الثالث، و عند ما يكشف حمل المرأة يكون الجنين قد بدأ بالتخلّق. و بما أنه لا يوجد حتى اليوم إمكانيّة علميّة لاكتشاف حمل المرأة

قبل مرحلة تخلّق الجنين، أى خلال الأسبوع الأوّل و الثانى للحمل، فلا تجد هذه الفتوى فى الوقت الحاضر أىّ تطبيق عملىّ لها، علما أننا لم نجد فى الكتاب الكريم و الحديث الشريف ما يؤيّدها، و الله أعلم.

۴- تحديد النسل

نجد فى القرآن الكريم العديد من الآيات التى نفهم من معانيها أن الله عزّ و علا يحدّد بواسع علمه و قدرته تعداد المخلوقات الحيّة و منها:

وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى (الحج ۵).

وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ ... (الرعد ۸).

وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً ... (الشورى ۵).

فقد بينت علوم الأحياء عن وجود قوانين محدّدة دقيقة تنتظم كلّ ما يتعلّق بتكاثر الأحياء من نبات و حيوان و مكروبات بحيث لا يطغى حىّ على حساب آخر. بل إن كلّ شىء هو بمقدار، و كلّ ما أنبت الله فى الأرض موزون:

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۹۱

وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (الحجر ۱۹). و من جهة ثانية، فقد جاء فى بعض الإحصائيّات أن (۷۸٪) من حالات الحمل يسقط فيها الجنين تلقائيّا، أى من دون إرادة الحامل إسقاط الجنين، و أن (۵۰٪) منها يحصل للمرأة من دون علمها، و فى ظنّها أن ما يخرج منها دم حيض عادى، و غالبا ما يكون ذلك فى الأيام العشرة الأولى للحمل.

و فى إحصائيّة أخرى أن (۱۰٪) من جميع حالات الحمل تجهض المرأة فيها تلقائيّا ما بين الشهر الأول و الثالث للحمل. و أكثرها (۸۰٪) هى لأجنّة مشوّهة و غير قابلة للحياة أصلا. و الحقيقة الكبرى هى أن المولى جلّت قدرته يعرف وحده فقط، المقدار الحقيقىّ لما تنقصه الأرحام: اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (تغيض بمعنى تنقص) (الرعد ۵).

و أخيرا بيّن العلم أن الإجهاض التلقائىّ هو غالبا لخير الوالدين، و ليس مصيبة كما يعتقد بعضهم. فأغلب حالات الإجهاض التلقائى هى لأجنّة مشوّهة غير قابلة للحياة لاحقا، فسبحان الذى لا تبديل لكلماته: وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (البقرة ۲۱۶).

۵- وسائل منع الحمل

ممّا سبق توضيحه يتبيّن لنا أن فى القرآن الكريم آيات محكمة فيما يتعلّق بالإجهاض. أما وسائل منع الحمل فنجد فى الحديث الشريف رأى الإسلام فيها و منها: روى عن الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات، عند ما سئل عن «العزل» قوله: «ما عليكم أن تفعلوا؛ ما من نسمة كائنة على يوم القيامة إلا و هى كائنة ... اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قدّر لها ...».

و لقد استعرضنا جميع وسائل منع الحمل بدءا من القذف خارج الأعضاء

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۹۲

الجنسيّة، و انتهاء بربط القناة المنويّة عند الرجل و الأنبوب عند المرأة، و مرورا «بالواقى» (condone -preservatif) للمرأة و الرجل، و بحبوب و تحاميل منع الحمل عند المرأة، و أخيرا حبوب منع الإخصاب عند الرجل، فوجدنا أن الإحصائيّات تشير إلى أن نسبة فشلها فى منع الحمل تتراوح بين ۴، ۱٪ و ۵۰٪، و ذلك تصديقا لحديث المصطفى «اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدّر لها ... فما من نسمة قدّر الله كونها، إلا و هى كائنة».

فالعزل (سواء كان بالقذف خارج الأعضاء الجنسيّة أم بالواقى)، و الرضاعة، و تنظيم الجماع بحسب توقيت الدورة الشهريّة للمرأة، أى الامتناع عن الجماع خلال فترة إخصاب المرأة، هى أسلم الوسائل الصحّية فى منع الحمل لمن أراد تحديد نسله.

۶- العلاقات الجنسيّة غير الشرعيّة

۱- الزنى

وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا ... (الإسراء ۳۲).

وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ، وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً (الفرقان ۶۸).

وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ (الأنعام ۱۵۱).

قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ (الأعراف ۳۳).

هناك ما يقرب من سبعين مرضا و عارضا مرضيا تنقلها العلاقات الجنسيّة غير الشرعيّة و الشاذّة، بدءا بمختلف الالتهابات و الإنتانات (infection) الحادّة و المزمنة، و أكثرها مؤلم جدا، و انتهاء بمختلف أنواع السرطان، مرورا بالتشوّهات الخلقيّة المكتسبة فى القوى العقليّة و الجسديّة. و قد ظن بعض الأطبّاء، مع اكتشاف مضادّات الأحياء من بنسلين و غيرها، أن باستطاعة العلم القضاء على كثير من الأمراض الجنسية. كما ذهب التفاؤل ببعضهم إلى القول بأن جرثومة الزهرى (السفلس) يقضى عليها فى أربع و عشرين ساعة، و أن هذا

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۹۳

المرض الذى كان مخيفا سابقا لم يعد له وجود. و سرعان ما تبيّن لهم خطأ تفاؤلهم، إذ اتضح لهم أن أكثر المكروبات المعدية، و خاصّة الموكلة منها بنقل الأمراض الجنسية، سرعان ما تكتسب مع الوقت مناعة ضدّ الأدوية التى كانت تفتك بها، لا بل تتغذّى منها! و إذا، فعدالة من يأبى التبديل فى أوامره و خلقه، و منها هذه المكروبات، قد وضعت سلفا فى ثروة المكروبات الوراثيّة خاصّيّة التأقلم و الدفاع عن نفسها ضدّ ما يفتك بها، إذا كان الفتك مخالفا لسنن الخالق. و هذا ما تبيّن منذ سنوات لعلماء المكروبات. و قد سمّوا هذه المكروبات التى تقاوم مضادات الأحياء «بالمكروبات الذكيّة». كما اكتشفوا أن بعض الأمراض الجنسيّة الفيروسيّة مثل مرض التقرّحات الفيروسيّة المسمّى بالهربس HerPes ؛ و هو مرض مؤلم مزعج مزمن- متجدّد ليس له حتى الآن دواء فعال لا يسبّبه نوع واحد من الفيروسات كما كانوا يعتقدون؛ بل إن النوع الواحد له أشباه مختلفة، أعراضها المرضيّة كلّها واحدة! و لكلّ مريض مصاب بالهربس «فيروسته» المختلفة عن الأخرى. و حتى عند المريض نفسه، يتلبّس الفيروس، و بحسب الظروف و الأوقات، أشكالا مختلفة. و يقول علماء الفيروسات إنهم لم يستطيعوا، رغم جهودهم و أبحاثهم منذ سنوات، أن يكشفوا الدواء الفعّال حتى و لو لصنف واحد من هذه الفيروسات، فكيف و الحال هذه، يجدون الدواء الذى فيه خاصّيّة القضاء على مئات الأشكال من نوع واحد من الفيروسات؟ لذلك فإن السبيل الأمثل للوقاية من هذه الأمراض المزعجة المؤلمة، الخطرة و القاتلة، المنقول أكثرها بواسطة العلاقات الجنسيّة المحرّمة، هو باتّباع أوامر المولى عز و علا التى كانت و لا تزال و ستبقى قَدَراً مَقْدُوراً (الأحزاب ۳۸)، أى أمرا سينفّذ حتما عاجلا أم آجلا وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ... (الأحزاب ۳۷) مهما أوتى الإنسان من علم و مقدرة فى اكتشاف أسباب الأمراض المختلفة و علاجها. ذلك أن للأمراض التى تصيب الإنسان و الأحياء مفاهيم علميّة و فلسفيّة عديدة. و الأمراض الجنسيّة التى تنتقل بالعلاقات الجنسية الآثمة كما ذكرنا هى جزاء و عدالة من السماء مصداقا لقوله تعالى:

من علم الطب القرآنى، ص: ۱۹۴

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (السجدة ۲۱). و ليرجع القارئ إذا شاء إلى موضوع هويّة المصيبة فى

المفهوم القرآنی، فی کتابنا «من علم النفس القرآنی».

و المنطق یفرض علینا التساؤل عن دور المکروبات و الفیروسات التی تسبّب الأمراض الجنسیّة المتأتّیة من علاقات غیر شرعیّة. أ لیست هی خلقا من مخلوقات الله؟ و المولی سبحانه و تعالی لم یخلق أیّ شیء باطلا- بل بالحق و لقدر و مهمّة محدّدة، و لخیر جمیع المخلوقات. فلکلّ مخلوق أوجه خیر و أوجه شرّ. فأوجه الشرّ الظاهرة فی بعض المخلوقات هی فی الحقیقة لخیر الآخرین، و المکروبات و الفیروسات التی تسبّب الأمراض الظاهرة فی بعض المخلوقات هی فی الحقیقة خیر رادع للإنسان، إذ تمنعه من التردّی فی مهاوی العلاقات الجنسیّة الآثمة التی دکّت و تدکّ القیم الاجتماعیّة و النفسیّة و الاقتصادیّة فی المجتمعات التی نظرت إلی الجنس من زاویة العرض و الطلب، و مارست العلاقات الجنسیّة الآثمة تحت شعار «الحریّة الفردیّة» الخاطئ. لقد جاء فی آخر الإحصاءات الطبّیة، أن نسبة الإصابة بسرطان عنق الرحم هی ثلاثة أضعاف النسبة العادیّة عند اللواتی یمارسن العلاقات الجنسیّة بصورة مبکرة، و مع قرناء عدّة و لیس مع قرین واحد. أما الإجهاض السّفاحی و الأمراض الجنسیّة، فهی فی طلیعة المسبّبات للعقم عند الجنسین. و لقد سبقت الإشارة إلی أن الأمراض الجنسیّة و عوارضها المرضیّة قد وصلت إلی سبعین مرضا و عارضا صحّیا، کلّها مؤلم و مؤذ و ربما قاتل. و لیس من دواء فعّال لتفادی ما تترکه من آثار مرضیّة مدمّرة و دائمة فی الجسم.

أما علی الصعید النفسی فللزّنی آثار مدمّرة فی نفسیّة الفرد. و قد ثبت أنّ القلق و التوتّر النفسی و الاضطرابات السلوکیّة و العوارض العصابیّة و الانهیارات النفسیّة هی نتیجة مباشرة و غیر مباشرة للعلاقات الجنسیّة الآثمة. و ما حالة الفوضی و التشتّت و الضیاع، و الأمراض النفسیّة و العضویّة، و المآسی و المشکلات الاجتماعیّة التی ترهق کاهل المجتمعات و العائلات و الأفراد الذین

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۹۵

ابتعدوا عن تعالیم السماء الحقّة بشأن العلاقات الجنسیّة، إلا دلیل واضح علی أن الإباحیّة الجنسیّة التی تغاضی و تراخی أکثرهم بشأنها، لا- بل و حاولوا إلباسها میزات علمیّة شفائیّة انطلاقا من نظریّات خاطئة فی علم النفس و الفهم الخاطئ لمعنی الحرّیّة الفردیّة، هما السبب الرئیسی فی تعاسة الأفراد، و تصدّع المجتمعات التی بعدت عن الالتزام بتعالیم الخالق. و ما الصحوة التی نلمسها عند الکثیر من الأفراد للشفاء من القلق النفسی بالرجوع إلی تعالیم الإسلام، إلا دلیل علی صحّة ما نقول.

۲- اللواط

اشارة

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَکُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِینَ. إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (الأعراف ۸۰، ۸۱)، وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. أَ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (النمل ۵۵).

نلاحظ دقّة التعریف القرآنی للّواط: فاللّواطی هو الرجل الذی یأتی الرجال شهوة من دون النساء، إسرافا و تجاهلا و عن سابق تصمیم. متجاهلا- للحقائق الفیزیولوجیة الطبیعیة فی العلاقات الجنسیة، و هذا التعریف هو ما اتّفق علیه أکثر الأطبّاء النفسیّون الیوم. و للّواط أشکال منها:

۱- لواط المراهقة:

من المعروف فی علم النفس أن هناک میولا، لا بل و ممارسات لواطیّة عرضیّة، خلال سنّ المراهقة تتستّر تحت أقنعة مختلفة و تنتهی عادة مع المراهقة، إلا أنها قد تتحوّل بعدها إلی لواط حقیقی کما عرّفه التشریع الإلهی، و الذی عاقب علیه أشدّ أنواع العقوبة: الرجم. ففی الإحصاءات أن (۲۰٪) من المراهقین یمرّون بتجربة لواطیّة، و (۴۰٪) من المراهقات یمررن بتجربة سحاقیّة. من هنا نفهم البعد الوقائیّ للأحادیث

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۹۶

الشریفة: «مروا أولادکم بالصلاة و هم أبناء سبع سنین، و اضربوهم علیها و هم أبناء عشر، و فرّقوا بینهم فی المضاجع»- رواه أبو داود- «لا- ینظر الرجل إلی عورة الرجل، و لا- المرأة إلی عورة المرأة، و لا- یفض الرجل إلی الرجل، و لا تفض المرأة إلی المرأة فی ثوب واحد» أی لا- یضجعا متجرّدین تحت ثوب واحد، و «السحاق بین النساء زنی بینهن». لذا لا- نری فی التنشئة الإسلامیة التی تعتمد الأحادیث الشریفة أعلاه و غیرها وجودا للعلاقات الجنسیّة الآثمة المضرّة التی تتحوّل- إذا تکرّرت- إلی عقد نفسیّة، هی مصدر لکثیر من الاضطرابات السلوکیّة، و الحالات المرضیّة العصابیّة، کالقلق النفسی، و الاکتئاب، و الشراسة، و العجز الجنسی المؤقّت أو الدائم، و غیرها.

وزعت «وکالة الصحافة الفرنسیة» هذه الصورة للقسّ المعمدانی جاک دوسیه- إلی الیسار- و هو یبارک زواج الشابین دومینیک موتی (۲۹ عاما)- إلی الیمین- و باتریک مونفوازان (۲۱ عاما). و تمّ الزواج فی مدینة لیون الفرنسیة

۲- اللّواط العرضی:

و هناک اللّواط العرضی عند البالغین، أو ما یسمّی بلواط الضرورة، کما یحصل عند بعض البحّارة و المسجونین، و حتی الحیوان، لدی فقدان الجنس الآخر، و ینتهی بانتهاء الأسباب القصریة التی أوجبته.

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۹۷

۳- اللّواط المرضی:

و هناک الممارسات اللواطیة و السحاقیة عند بعض المرضی العقلیّین المصابین بأمراض ذهانیّة، کانفصام الشخصیة و غیرها من الأمراض، فهؤلاء مرضی بالمعنی الحقیقی و الشرعی للکلمة، و لا یقعون تحت طائلة المسئولیة القضائیة الدنیویة- إن کان بقی هناک تشریع دنیوی یعاقب علی فعل اللواط- و لا المسئولیة التشریعیة الإلهیة. ففاقد القوی العقلیة لا حساب علیه لا فی الدنیا و لا الآخرة کما جاء فی الحدیث الشریف: (رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتی یستیقظ، و عن المجنون حتی یعقل، و عن الصبیّ حتی یحتلم).

۴- اللّواط المسئول:

هو اللّواط الذی مارسه قوم لوط و کان جزاؤه أن دمّرت قریتهم. و هو انحراف دائم فی العملیة الجنسیة. إنه إیتاء الرجال شهوة من دون النساء عن بصیرة و إسراف و تجاهل للحقائق الفیزیولوجیة البدیهیة للعلاقات الجنسیة. و بالرغم من حدّة النقاشات و کثرة الإحصائیات، تمیل أغلب الدراسات فی الطب الشرعی إلی الأخذ بأن اللّواط الذی یجب أن یعاقب علیه القانون هو کما عرّفناه قرآنیّا، فاللواطی المسئول إنسان شاذّ فی میوله الجنسیة لکنه فی کامل قواه العقلیّة و الإرادیّة، لذلک فهو مسئول عن أعماله أمام القانون. أما

بعض الدراسات الطبّیة التی تقول بأن کلّ لواطی هو مریض، و بالتالی غیر مسئول لأنه مصاب باضطراب فی الغدد و الهرمونات الجنسیة، فلم تثبت أمام البحث العلمی الرصین.

حکمة تحریم اللّواط

لقد تشدّد التشریع الإلهی فی معاقبة اللواط حفظا لحقّ المرأة الطبیعی، لأنها هی موضع الحرث و النسل و لیس الرجل، و حفظا للفرد و المجتمع من

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۹۸

المفهوم الخاطئ للحریّة کما یرید أن یفهمه بعضهم: زواج الذکر بالذکر؟!

من علم الطب القرآنی، ص: ۱۹۹

الأمراض المعدیة التی ینقلها اللّواط، و التی تسبّبت بعشرات الأمراض المؤذیة و الخطیرة. و آخر هذه الأمراض مرض فیروسی ضحایاه من اللّواطیین بنسبة (۷۶٪)، اسمه بالإنکلیزیة «إیدز» و بالفرنسیة «سیدا»، و هی کلمة مختصرة بما ترجمته: النقص المکتسب فی جهاز المناعة، و فیه یفقد اللّواطی مناعة جسده، فیصبح فریسة سهلة لمختلف أنواع الأمراض المیکروبیة المعدیة و السرطان، و ینتهی به إلی موت محتّم بعد بضع سنوات علی الأکثر، و بعد آلام مبرحة لا علاج لها و لا شفاء منها. و بدل أن تخصّص الدول التی ابتلیت بهذا الوباء ملیارات الدولارات لاکتشاف مصل أو دواء وقائی من الإیدز، کان الأجدی لها و الأسلم أن ترجع إلی القوانین السماویة، بعد أن تغاضت أکثر هذه الدول «الراقیة» عن اللّواط لا- بل و سمحت للّواطیین بأن یتزاوجوا رسمیّا، و بأن تکون لهم، بصورة رسمیة، جرائدهم و مجلّاتهم و نواديهم و تجمّعاتهم لیمارسوا فیها البغاء اللواطی! و وصل بهم الأمر إلی حدّ أنه یحقّ لواحدهم أن یترشّح علنا باسمهم للانتخابات التشریعیّة، لیصبح عضوا ممثّلا لهم فی البرلمان! و آخر صرعاتهم مؤتمر اللّواطیین الجامعی الدّوری فی کلّ سنة.

۳- محاولة علمیّة لتفهّم الکیفیة التی دمّر بها المولی قوم لوط

اشارة

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُشْرِقِینَ. فَجَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّیلٍ (الحجر ۷۳، ۷۴).

قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلی قَوْمٍ مُجْرِمِینَ. لِنُرْسِلَ عَلَیْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِینٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ لِلْمُسْرِفِینَ (الذاریات ۳۲، ۳۴).

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَیْها حِجارَةً مِنْ سِجِّیلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَ ما هِیَ مِنَ الظَّالِمِینَ بِبَعِیدٍ (هود ۸۲، ۸۳).

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِینَ. وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِینَ (الشعراء ۱۷۲، ۱۷۳).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۰

إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ...

صورة للّواطیّین السابقین و قد تفشت أعراض المرض المدعو ب «السیدا» فی أحدهما بعد سبعة أشهر من بدء المرض

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۱

کَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ حاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّیْناهُمْ بِسَحَرٍ (القمر ۳۳، ۳۴).

أهلک قوم لوط بالصیحة أوّلا- و هی الصوت الشدید المتأتّی من ارتجاجات هوائیة ذات ذبذبة عالیة، و هی من أشدّ أسباب التدمیر فتکا کما تبیّن للخبراء العسکریّین الیوم- ثم أمطروا مطرا جارفا مهلکا، فأصبح هذا الماء ملوّثا من کثرة الأمراض المعدیة المتفشّیة فیهم فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِینَ، ثم أرسل علیهم أخیرا حاصِباً أی حجارة لِنُرْسِلَ عَلَیْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِینٍ هی علی درجة کبیرة من الحرارة بفعل احتکاکها بطبقات الجوّ، فحرقت و طهّرت کلّ ما فی قریة لوط من أوبئة من أثر اللّواط. و الحرارة العالیة الجافّة هی أقوی أنواع المطهّرات کما هو معروف فی علم التعقیم. و أغلب الظن أن قوم لوط کانوا مصابین بکثیر من الأمراض المعدیة، و منها هذا المرض الذی عرف أخیرا بمرض «الإیدز» أو «السیدا»، و هو أشدّها فتکا و عدوی. من هنا نفهم علمیّا لما ذا کان عقاب قوم لوط بهذه الشدّة، و لما ذا هذه الآیات التفصیلیّة فی طریقة قتلهم، بالصیحة المدّمرة لکلّ شیء أولا، و بإغراق أجسادهم و بیوتهم و طمرها بالماء ثانیا، ثم بتطهیر کلّ أثر من آثارهم بالنار الشدیدة الحرارة ثالثا، دون بقیّة الأمم الخاطئة التی أهلکت بطریقة واحدة فقط: بالغرق کقوم نوح، أو بالرجفة و الصیحة کقوم شعیب، أو بالریح الصرصر العاتیة کقوم صالح. وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (یوسف ۲۱).

و فی آخر المعلومات الطبّیة عن مرض «السیدا»، و نحبّ تسمیته «بمرض العلاقات الجنسیّة الآثمة»، أنه اکتشف و ظهرت أعراضه فی سنة ۱۹۸۱ مع بعض الحالات الفردیّة، ثم اتخذ لاحقا أبعادا و بائیة، فبلغ عدد الإصابات المرضیّة القاتلة التی أحصیت فی العالم حتی سنة ۱۹۸۸ أکثر من ثلاث مائة ألف، و تجاوز الأصحّاء ظاهریّا من حاملی فیروس السیدا عشرة ملایین.

و العجیب أن کثیرا من المسئولین عن الشئون الصحّیّة فی البلدان التی انتشر فیها «السیدا» لم یجدوا حتی الآن سبیلا للوقایة منه بانتظار اکتشاف الدواء

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۲

الشافی، إلا النصیحة باستعمال «الحافظ» فی الممارسات الجنسیة الشاذّة، باعتبار أن ممارسة الحرّیة الجنسیة شیء مقدّس بمفهومهم الخاطئ لمعنی الحریة. أما الدعوة إلی الالتزام بتعالیم السماء، و هی العلاج الواقی منه و من بقیّة الأمراض الجنسیة، فلا وجود لها فی قاموسهم! و هنا نتساءل: لما ذا لم ینتشر مرض «السیدا» أو «الإیدز» إلا فی المجتمعات التی یمارس أفرادها العلاقات الجنسیة الآثمة و الشاذّة؟

و الجواب هو أن لکثیر من الأمراض، و منها الأمراض الجنسیة التی ینتقل معظمها إن لم یکن جمیعها بالعلاقات الآثمة، حکمة یجب استخلاصها و التشدید علیها؛ و هی أن بعض الأمراض ما هی فی الحقیقة إلا الجزاء العدل لمن یخالف أوامر الخالق فی سننه. و من المؤسف أن الذین تصدّوا لمشکلة الإیدز و الأمراض الجنسیة تناسوا و تجاهلوا أن هذه الأمراض هی جزاء إلهی، و أن علاجها هو بالوقایة منها؛ و الوقایة الحقیقیّة هی بالالتزام بتعالیم المولی لا باستعمال الواقی (condone -preservatif)، و صرف ملیارات الدولارات ثمنا للأدویة و الأبحاث المضنیة فی اکتشاف الأدویة الشافیة لها. فلقد خصّصت الولایات المتّحدة الأمیرکیّة خلال السنوات الخمس الماضیة ما یقرب من ملیار دولار سنویّا لمحاربة الإیدز، کما خصّصت فرنسا ۹۰۰ ملیون فرنک عام ۱۹۸۶- ۱۹۸۷ لمحاربته أیضا، و لم یرتفع حتی الآن صوت جریء فی وسائل الإعلام للقول بأن هذه الأمراض الجنسیة و فی طلیعتها «السیدا» أو «الإیدز» هی جزاء من السماء.

کلمة أخیرة

لیفتّش الإنسان عن شفاء لما کسبت یداه من سوء، فهو کمن یرکض وراء سراب. فالمیکروبات و الفیروسات التی تنقل الأمراض الجنسیة مأمورة من خالقها بأن تکون الجزاء العادل لمن یخالف أوامره: فَهَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِینَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِیلًا وَ لَنْ

تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (فاطر ۴۳).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۳

وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ صورة بالمجهر الإلكترونی لتكاثر فيروس مرض فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز أو السيدا) على غشاء خليّة من خلايا الدم البيضاء المتخصّصة فی مناعة الجسم و وقايته و الدفاع عنه ضد الأمراض المعدية

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۴

و لقد اعتقد الإنسان كما ذكرنا لبعض الوقت أنه يستطيع بواسطة أدوية مضادّات الأحياء القضاء على الأمراض الجنسية و التمتّع بإباحيّته أو حرّيته الجنسية كما يحلو له تسميتها. و سرعان ما تبدّد عنده هذا الوهم. فلقد اكتسبت أكثر أنواع الميكروبات التی تنقل الأمراض الجنسية مناعة ضدّ الأدوية التی سلّطها الإنسان عليها، و ظهرت أمراض جديدة كان آخرها مرضا الهربيس (HerPes) و السيدا. فمن حكمة الله فی المرض أنه فی بعض وجوهه الجزاء العادل لمن يخالف أوامره فی الخلق. و ما الأوبئة التی تجتاح الإنسانية من حين لآخر، كالطاعون و الجدری و الكوليرا و الحمّيات الدماغيّة، و آخرها مرض فقدان المناعة المكتسبة «السيدا» أو «الإيدز»، إلا دليل على ما نقول. و يكفی التذكير بقوله تعالى: وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (النمل ۸۲).

فكلّ ما دبّ على الأرض هو دابّة. و الميكروبات و الفيروسات و الطفيليّات تدبّ على الأرض كما رآها العلم فی المجهر. لذلك نعتقد أن فی بعض معانی الآية الكريمة أعلاه إشارة إلى الأمراض الوبائية و الكوارث الزراعية التی تسبّبها المخلوقات الحيّة المجهرية و غير المجهرية التی تدبّ على الأرض جزاء للإنسان على مخالفته أوامر خالقه، و مخالفته ما فی الحديث الشريف: «و ما ظهرت الفاحشة فی قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلا فشا بهم الطاعون و الأوجاع التی لم تكن فی أسلافهم».

۴- الاستمناء

وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (المؤمنون ۵).

«ناكح الكفّ ملعون» (حديث شريف).

إن الاستمناء للحصول على اللذة الجنسية من دون شريك شرعی، أو ما يسمّى بالعادة السّريّة، هو شیء شائع جدّا بين المراهقين من الجنسين و بعض البالغين. و هذه العادة مصدر لكثير من القلق النفسی عند من يمارسها، و قد

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۵

تترك آثارا سلبيّة مؤقّتة أو دائمة فی العملية الجنسية بدءا من القذف السريع، و انتهاء بالعجز الجنسی الكامل عند الرجل، و البرودة الجنسية و السحاق عند المرأة، كما تبيّن لنا من خلال خبرتنا المهنّية مع المرضى. و من المؤسف أن كثيرا من الأهل و المربّين و حتى بعض المهتمّين بالأمراض النفسية يعتبرون العادة السرّية عند المراهقين شيئا طبيعيّا تفرضه ظروف المراهقة و الوحدة، فهی برأيهم متنفّس طبيعی فی غياب الشريك الآخر. و الحقيقة أنه لو كانت هناك تربية إسلامية حقيقية فی البيت و المجتمع تحفظ المراهقين و المراهقات من المؤثّرات التی تثير الشهوات الجنسية لما لجأ أكثر المراهقين و المراهقات إلى ممارسة العادة السرّية، فهم يتعرّضون فی كلّ ثانية لما يثير مكامن الشهوة الجنسيّة عندهم، و يكفی ما نشاهده اليوم من مثيرات فی التلفاز و سائر وسائل الإعلام السمعيّة و البصريّة.

أما الاستمناء خلال النوم، أی الاحتلام، فهو العمليّة الطبيعيّة التی وضعها المولى فی أنفسنا للتنفيس عن الطاقة الجنسيّة بانتظار العلاقة الجنسيّة الشرعيّة.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۷

کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِیهِ فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِی وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی.

(طه: ۸۱) «نحن قوم لا نأکل حتی نجوع و إذا أکلنا لا نشبع».

(حدیث شریف)

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۰۹

الفصل الثانی فی علم التغذیة

۱- الإسراف فی المأکل

سبق الإسلام بقرون تعالیم الطب الوقائی فی جمیع فروعه و منها علم التغذیة. فقد نهی المولی سبحانه و تعالی عن الإسراف فی المأکل، فالإسراف مدعاة لغضب الله: کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِیهِ فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِی وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی (طه ۸۱)، وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ (الأعراف ۳۱).

و الأحادیث الشریفة فی ضرورة الامتناع عن الإسراف فی المأکل کثیرة منها:

«ما ملأ آدمی وعاء شرّا من بطنه».

«بحسب ابن آدم أکلات یقمن صلبه فإن کان لا محالة، فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث لنفسه ...» (الترمذی).

«إن من السّرف أن تأکل کلّما اشتهیت» (ابن ماجه).

«لا تشربوا واحدا کشرب البعیر، و لکن اشربوا مثنی و ثلاث، إذا أنتم شربتم، و احمدوا إذا أنتم رفعتم» (الترمذی).

«مصّوا الماء مصّا فإنه أهنأ و أمرأ و أبرأ» (الدیلمی).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۰

إن فی الحدیثین الأخیرین قاعدة وقائیة فی اتّباعها منع للماء من سلوک طریق خاطئ فی الجهاز التنفّسی الذی غالبا ما یسبّب نوبات اختناق عارضة مزعجة جدّا، و قد تکون قاتلة. کما نهی الرسول علیه الصلاة و السلام عن النفخ فی الطعام و الشراب، و فی ذلک إشارة مباشرة إلی وجود المیکروبات و الفیروسات التی تنتقل بواسطة الهواء و النفس قبل أن یکشف العلم ذلک فی القرن التاسع عشر. و نشیر هنا إلی الحقائق الأساسیّة التالیة- المتعلّقة بالسّمنة:

- السمنة، هی غالبا نتیجة الإسراف فی المأکل، و هی من الأسباب الرئیسة فی ارتفاع الضغط الشریانی و تصلّب الشرایین. و للسمنة مضاعفات خطیرة فی القلب و الرئتین و غیرها من الأعضاء، تتسبّب حسب الإحصاءات بثلث الوفیات فی العالم المتقدم.

- السمنة من مسبّبات مرض السکّری عند البالغین، و مرض السکّری هو من الأسباب الرئیسة لتصلّب الشرایین.

- السمنة من العوامل الرئیسة فی تلف الغضاریف المفصلیة، و ما یتبعها من آلام مزعجة ملازمة غیر قابلة للشفاء بصورة جذریّة، و السمنة بصورة عامّة، حالة مرضیّة خفیّة و ظاهرة، و عامل مسبّب لکثیر من الأمراض الخطیرة. فحبّذا لو عقل متخمو الإسراف فی المأکل معنی قوله تعالی، و قد ربط غضب الله بالإسراف فی المأکل: کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِیهِ فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِی وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی لما کثرت الحالات المرضیّة التی ذکرنا بعضها أعلاه.

۲- الإقتار

شدّد التشریع الإلهی علی مضارّ الإسراف فی المأکل و الإقتار فیه علی حدّ سواء. فالإقتار فی المأکل، و کبت النفس و منعها من التمتّع

بما أخرجه لنا المولى من زينة و طيّبات، خاصّة إذا كان الفرد قادرا على ذلك، مرفوض فى

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۱۱

الإسلام. و فى الحديث الشريف: «إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم، و إن الله يحبّ أن يرى نعمته على عبده». و قد بيّن علم التغذية أنه يجب أن تتوافر لكلّ فرد بالغ ما بين ۱۸۰۰- ۳۵۰۰ وحدة حرارية تؤمّنها له ۱۰۰- ۲۰۰ غرام من البروتينات، و ۲۰۰- ۳۵۰ من النشويّات، و ۱۵- ۲۵ غرام من الدهنيّات، إضافة إلى الفيتامينات و الأملاح المعدنيّة. هذا الطعام المتوازن لا يتوفّر إلا من خلال ما أنزله البارئ من الطيّبات من الرزق.

و النباتيّون الذين يتّبعون نظاما صارما فى طعامهم دون تناول أىّ أطعمة مشتقّة من مصدر حيوانى هم عرضة لكثير من أمراض التغذية.

۳- كلّ ما حرّمه الإسلام و أحلّه فى المأكل و المشرب أثبت علم التغذية لا حقا حكمته العلميّة

اشارة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ، ذلِكُمْ فِسْقٌ، الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً، فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المائدة ۳).

(۱) الميتة:

كشف علم المكروبات فى القرن العشرين أن فى الأنف و الفم و البلعوم و الجهاز الهضمى و الجلد أنواعا من المكروبات و الفطر تعشّش و تنمو بصورة طبيعية من دون أن تؤذى السليم من الأحياء، لا بل هى مفيدة له، و لا تصبح مؤذية إلا فى ظروف معيّنة كالمرض. و عند الموت، و بتوقّف الدورة الدمويّة، تصبح الجراثيم، خاصّة تلك التى تنمو و تتكاثر بدون غاز الأوكسيجين، فى أفضل ظروف النموّ و التكاثر، فتنتقل خلال ساعات إلى أغلب أعضاء الجسم الميت، و لذلك يسبّب أكل الميتة ضررا أقلّه التسمّم فى الجهاز

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۱۲

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ عيّنات من الديدان الطفيلية التى ينقلها أكل لحم الخنزير

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۱۳

الهضمى، عدا عن أن الموت قد يحصل أحيانا بفعل مرض فيروسى أو مكروبى معد قد ينتقل إلى جسم آكل الميتة من الأنعام و الطير.

(۲) الدم:

الدم و السائل اللمفاوى يشكّلان فى أكثر الأمراض سبيل انتقال مختلف الأمراض المكروبيّة و الفيروسيّة و السرطانيّة إلى مختلف أعضاء الجسم. و فى حال توقّف الدورة الدموية ينقص الأوكسجين و يصبح تربة صالحة لتكاثر الجراثيم، و لذلك فكلّ ما لم يذبح و يفرّغ قدر الإمكان من دمه فهو غير صالح للأكل، بل قد يكون ضارّا أو قاتلا. و نلاحظ أن التشريع حرّم الدم المسفوح أى السائل المصبوب: قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ، فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً

أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (الأنعام ۱۴۵)، أما عمليّة نقل الدم التی يمارسها الطب اليوم فقد استثناها التشريع الإلهی بقوله: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (الأنعام ۱۴۵). علما أن نقل الدم لا يحصل إلا فی حالات اضطرار، و بعد التأكد من أن الدم المعطی لا يؤذی المريض.

(۳) لحم الخنزير:

لن نتوسّع كثيرا فی أنواع الأمراض الطفيليّة التی ينقلها الخنزير و استهلاك لحمه، فهو ينقل الكثير من الطفيليّات، أخطرها الدودة الشعريّة الحلزونيّة (anihcerT(التی تنتشر يرقاتها فی عضلات الجسم و العينين و الدماغ، فينتج عن ذلك أعراض سريرية مؤلمة بعضها قاتل. و المصدر الوحيد لإصابة الإنسان بهذا المرض هو تناول لحم الخنزير نيئا. و بالرغم من جميع المحاولات البيطريّة للتخلّص من هذه الطفيليّة يبقی أكل لحم الخنزير مسبّبا لهذا المرض الخطير: وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا- يَعْلَمُونَ (يوسف ۲۱).

و من الوجهة الغذائيّة فإن لحم الخنزير مؤلّف من طبقات متداخلة من الشحم و اللحم لا يمكن فصلها عن بعض، فهو يحوی أكبر نسبة من الدهن الحيوانی المؤلّف من حوامض دهنيّة مشبعة ضارّة جدّا، هی من المسبّبات

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۴

الرئيسة لتصلّب الشرايين، و تكوّن حصی المرارة. و العجيب أن الجمعيّات الطبّيّة فی البلاد الغربيّة، و هی مصدر هذه المعلومات و الإحصاءات، لا تمنع استهلاك لحم الخنزير، مع أن الإصابة بمرض التريشينوز (مرض الدودة الشعريّة الحلزونيّة) تتراوح بين ۵٪ و ۲۵٪ عند من يأكلون لحم الخنزير فی الولايات المتحدة الأميركيّة، بالرغم من كلّ الإجراءات الوقائيّة! و ربما تساءل سائل لما ذا خلق الله هذا الحيوان؟ و ما نفعه ما دام كريه المنظر و سخا محبّا للأقذار، و لا نستطيع الانتفاع بلحمه بحسب التحريم الإلهی؟ و يأتی الجواب من علماء الحيوان و توازن البيئة: فالخنزير من حيوانات القمامة التی تنظّف البيئة من بقايا الجثث و تمنع عنها الفساد، و له دور مهم فی توازن البيئة. أما من الوجهة الطبية فالخنزير مصدر مهم لدواء الأنسولين-enilus( ) ni الذی يستخرج من غدّة بنكرياس الخنازير، و هو دواء لا غنی عنه لبعض مرضی السكّر، لا بل إنه من أجود أنواع الأنسولين و أقربها تركيبا للأنسولين الإنسانی، و نادرا ما يؤدّی إلی مضاعفات طبّيّة، كما أنه لا ينقص مفعوله تدريجيّا مع طول الاستعمال. كذلك يستخرج الكلستونين (eninoticlac(من غدد الخنازير، و هو من أقرب الهرمونات الحيوانيّة كيميائيّا بالنسبة للهرمونات الإنسانية و أقلّها مضاعفات من حيث استعماله. و هو يستعمل منذ سنوات فی معالجة بعض أمراض العظام التی كانت مستعصية قبلا- علی الأطبّاء. و علاوة علی ذلك كله، فالخنزير من أفضل حيوانات المختبر فی حقل الاختبارات العلميّة خاصّة فی نقل الأعضاء. فسبحان الّذی سخّر لنا ما فی السّماوات و ما فی الأرض جميعا منه.

أما المنخنقة و الموقوذة و المتردّية و النطيحة و ما أكل السبع، فحرّمت بسبب بقاء دمها فی جوفها و أعضائها. و الميت كما أسلفنا خير تربة لزرع المكروبات الضارّة و تكاثرها. أما إذا استطعنا تذكيتها فهی ليست بمحرّمة. و تذكيتها تكون إذا أدركناها و الدورة الدموية و التنفّسية لا تزال فيها، و دليل ذلك أنها إذا ذبحت

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۵

استطعنا استخراج القسم الأكبر من دمها. كما أن أهل الاختصاص بالطب البيطری يجب أن يؤكّدوا أنها خالية من الأمراض. فليس كلّ ما ذبح، و لو كان حيّا، هو ذكاة التزاما بقوله تعالی: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ (النحل ۴۳، ۴۴)، و البيّنات هی كلّ شیء بيّنه الله لأهل الاختصاص من الناس. و الله عزّ و علا خَلَقَ الْإِنْسانَ. عَلَّمَهُ الْبَيانَ (الرحمن ۳، ۴) أی أنه وضع فيه من العقل و الحواسّ ما يكشف به عن خصائص المخلوقات، و بها يتبيّن الطيّبات و الخبائث من المأكل و المشرب، فَمَنِ اضْطُرَّ فِی مَخْمَصَةٍ غَيْرَ

مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المائدة ۳). و فی الحدیث الشریف: «الضرورات تبیح المحظورات». و نلاحظ أخیرا أن التشریع الإلهی فیما خصّ هذه المحرّمات أباحها فی ظروف استثنائیة عند ما تتهدّد حیاة الإنسان بالجوع أو الموت جوعا، و قد فصّلت الأحادیث الشریفة ما هو محرّم أکله من الصید و الحیوان. و قد أثبت علم التغذیة منذ عشرات السنین و لا یزال، أن کلّ ما أحلّه الإسلام من مأکل هو من الطیّبات، أی أنه مفید للإنسان، و کلّ ما حرّمه هو من الخبائث أی المضرّ بالصحّة.

۴- وَ التِّینِ وَ الزَّیْتُونِ

(۱) التین:

أقسم العظیم بکلّ خلق من مخلوقاته بقوله: فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ. وَ ما لا تُبْصِرُونَ (الحاقّة ۳۸، ۳۹). فکلّ خلق من مخلوقاته، من أصغر جسیم فی الذرّة إلی أکبر مجرّة، هو عظیم فی صنعته، لمن عرف شیئا عن ترکیب أیّ صنعة إلهیة و نظامها و عملها. و هناک آیات قسم خاصّة تتبیّن أبعادها الإعجازیة و حکمتها مع الوقت و مع ما کشفه العلم و یکشفه. عند ما یقسم المولی عزّ و علا بالتین، ففی ذلک تنبیه للمؤمن إلی أن فی التین خاصّة، و الثمار التی ورد ذکرها فی القرآن العظیم کالزیتون و الرّمّان و الرّطب و العنب و غیرها، أعظم الفوائد الغذائیّة. و المؤسف أن الدراسات العلمیّة الرصینة لا تأتینا الیوم إلا من الغرب، و لا نجد دراسات فیما خصّ فوائد التین و البلح و الرمّان، ربّما

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۶

لأن شجرها لا ینبت عندهم. لکننا نجد بعض الدراسات المتعلّقة بالفوائد الغذائیّة للزیتون و زیته و للعسل. و لو أن مؤسّسات إسلامیّة قادرة جنّدت فریقا من علماء التغذیة و الکیمیاء و الطب لإجراء دراسات علمیّة رصینة، فی الفوائد الغذائیّة و الطبّیة و الکیمیائیّة للتین و العسل و البلح و الرمّان لوجدوا العجب. فما أحلّ الله من مأکل و مشرب أو حرّم إلا لحکمة عظیمة أثبتها العلم أو أنه سیثبتها لاحقا، فکیف بشجرتی التین و الزیتون و قد أقسم المولی بهما؟

و ذکر عن أبی الدرداء أنه أهدی إلی النبی علیه الصلاة و السلام طبق من تین فقال: «کلوا»، و أکل منه و قال: «لو قلت إن فاکهة نزلت من الجنّة قلت هذه، لأن فاکهة الجنة بلا عجم، فکلوا منها فإنها تقطع البواسیر و تنفع من النقرس». (النقرس مرض استقلابی یتأتّی من زیادة الحامض البولی acide urique نتیجة الإفراط فی أکل المواد البروتینیّة کاللحوم، و المشروبات الکحولیّة و غیرها، أو نتیجة خلل خلقی فی جهاز الأنزیمات التی تتدخل فی استقلاب المواد البروتینیة).

و بانتظار الدراسات العلمیّة المنهجیّة فإن من فوائد التین الثابتة بحکم التجربة: أنه من أغذی أنواع الفواکه، سهل الهضم، مانع للنفخة منظّم لحرکة الأمعاء، مانع للإمساک و بقاء الفضلات فی الجهاز الهضمی، مدرّ للبول، نافع للکبد و الطحال و مجاری الغذاء، طارد للرمل من الکلی و المثانة، مسکّن للسعال و مخرج للبلغم من قصبات الهواء، مهدّئ للأعصاب، مانع للعطش، مفید للسعال فی حالات التسمّم و القروح النتنة. کما أن الجروح و القروح النتنة تعالج بتضمیدها بثمار التین المجفّفة و المغلیّة بالحلیب العادی، و بعد أن تبرد قلیلا یغطّی بها الجرح بحیث تکون قشرتها فوق الجرح مباشرة، و تثبت فوقه بالقطن و الرباط، و یجدّد الضماد ثلاث أو أربع مرّات فی الیوم، إلی أن تزول الجروح النتنة تماما خلال أیام.

أما الإمساک فیعالج بمنقوع ثمار التین الجافة، فتوضع بضع حبّات منه

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۷

فی کوب ماء بارد فی المساء، و فی صباح الیوم التالی تؤکل و یشرب ماؤها (علی الریق) قبل تناول وجبة الطعام. و أما أغلب أدویة

الإمساک فهی مؤذیـة للجهاز الهضـمی، لا بل هی سامّـة و ذات مفعول رجعی سـلبی أی أنها تسـبّب إمساکا أشـدّ قوّة فیما بعـد. و أما ثمنهـا فحـدّث و لاـ حرج. و کم من الملاـیین تنفق یومیّـا فی العـالم ثمنـا لأدویـة النقرس، و الإمسـاک هو المسـبّب الأوّل للبواسـیر، و النقرس.

و لو عمّمت هذه الحکمة النبویّة فتناول أحدنا بضع ثمرات من هذه الشجرة المبارکة التی تتکاثر بشکل عجیب، لوفّرنا الکثیر مما ننفق، و تلافینا مضاعفات الأدویة الکیمیائیّة التی یضرّ أکثرها بالجسم.

فکم ینقصـنا من التوعیـة الطبّیـة الوقائیة المسـتخلصة من الآیات القرآنیة و الأحادیث النبویة الشـریفة الواجب تعمیمها بواسـطة الوسائل السمعیة و البصریة.

(۲) الزیتون:

وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَیْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآکِلِینَ (المؤمنون ۲۰). الزیتون شجرة مبارکة سواء أتاها نور الشمس شرقا أو غربا: یُوقَـدُ مِنْ شَـجَرَةٍ مُبارَکَةٍ زَیْتُونَةٍ لا شَـرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ (النور ۳۵)، فزیتهـا هو وقود بکل ما تعنیه کلمـة وقود من أبعاد علمیـة. ففی الزیت ثمـانی وحـدات حراریّـة فی الغرام الواحـد، کمـا أن الحـوامض الدهنیّـة غیر المشـبعة الـتی یتـألّف منهـا الزیـت (acidesgras insatures) مفیدة للجسم، إذ إنها تمنع الترسّبات الدهنیّة فی جدران الشرایین الدمویّة بعکس الحوامض الدهنیّة المشبعة الموجودة فی أکثر الزیوت الحیوانیّة التی تتسبّب فی تشمّع الأعضاء و تصلّب الشرایین.

و لـذلک ننصـح المرضـی بتنـاول ملعقـة کبیرة من زیت الزیتون یومیّا للوقایـة من تصلّب الشـرایین و کعلاج له. و للزیت، عـدا میزاته الغذائیّـة و الشـفائیّة، میزة روحیّـة نورانیّـة لقوله تعـالی: یَکادُ زَیْتُها یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلی نُورٍ (النور ۳۵). و المؤسـف أن بعض الأطبّاء لا یزال حتی کتابة هذه الکلمات، یمنع بعض مرضاه من المصابین بتصلّب الشـرایین و ارتفاع نسـبة الکولسترول فی الدم من تناول زیت الزیتون، مع أن العکس هو الصحیح کما أثبتت الدّراسات

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۸

العلمیّة الرصـینة التی أجریت فی فرنسا و إسبانیا منذ سنة ۱۹۷۸. و قد أثبتت التجربة أن شـرب الزیت ینفع المسموم لأنه یمنع امتصاص المواد السّامّة و دخولها إلی الدم، کما أنه یطلق البطن و یسـکّن أوجاعه، و یخرج الدود. ثم إن أغلب الأدهان تزعج المعدة إلا الزیت. و یضاف إلی ما ذکرنا أنه مقوّ للّثة و الأسنان، ملیّن للجلد، و کذلک نصـفه علاجا للتصلّب اللّوحی الذی یصـیب المادّة الدهنیّة التی تغلّف الأعصاب (seleroseen plaque). و لو أن زیادة فی الدراسات العلمیّة الرصـینة أجریت علی شـجرة الزیتون لوجد الطبّ فوائـد جمّـة فی هـذه الشـجرة المبارکـة، مصـداقا لقول الحبیب المصـطفی علیه الصـلاة و السـلام: «کلوا الزیت و ادّهنوا به» و «ائتـدموا بالزیت و ادّهنوا به فإنه من شجرة مبارکة».

۵- النخلة

وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا. فَکُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً (مریم ۲۵، ۲۶).

«إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم لا یسقط ورقها: إنها النخلة» (حدیث شریف).

«و من وجد تمرا فلیفطر علیه» (حدیث شریف).

لا توجد مع الأسف دراسات علمیّة واسعة عن الفوائد الغذائیّة و الشفائیّة لثمار النخل (البلح و الرّطب و التمر). و لکن بعض الدراسات القلیلـة بیّنت أنّه یتـألّف من ۷۰٪ من المواد السـکّریّة السـریعة الامتصـاص، التی لاـ تتطلّب تمثیلاـ کیمیائیا، لأنه یمرّ إلی الـدم مباشـرة

(levulose- glucose). من هنا كانت السنّة النبويّة الطبّيّة أن يبدأ الصائم إفطاره ببضع رطب، لأن نسبة السكّر فی دم الصائم تنخفض فی آخر ساعات النهار. و الرّطب بما تحويه من موادّ سكّريّة سريعة التمثّل و الامتصاص، ترفع نسبة السكر المتدنّية فی دم الصائم، فيذهب

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۱۹

تعبه و تقلّ شراهته للطعام. و قد كشف العلم أن للجوع و الشبع مراكز فی مهاد الدماغ تتأثّر بنسبة السكّر الموجودة فی الدم.

و التمر غذاء كامل ذو قيمة حراريّة غذائيّة عالية مصداقا لقوله تعالى وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً (النحل ۶۷).

فبالإضافة إلى الموادّ السكّريّة، يحوى التمر دهونا و فيتامينات و أملاحا معدنيّة، خصوصا منها الكالسيوم و الفوسفور و الحديد و المانيزيوم. و الطبّ يصف الكالسيوم و المانيزيوم كمهدّئ للأعصاب: فَكُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَيْناً.

نعود إلى القول إنه لا بدّ من دراسة علميّة منهجيّة رصينة يقوم بها أخصّائيون فی علم التغذية و الكيمياء العضويّة و الطب، على جميع الثمار التی ذكرت تخصيصا فی القرآن الكريم، كالتين و الزيتون و الرطب و الأعناب و النخيل و العسل. و سيجد الباحثون فيها أكبر الفوائد الغذائيّة و الوقائيّة و الشفائيّة.

۶- العسل

اشارة

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ (النحل ۶۹) «عليكم بالشفاءين: العسل و القرآن» (حديث شريف).

وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِی مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِی مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِی سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ، إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل: ۶۸، ۶۹).

أثبتت الدراسات العلمية الحديثة، و كذلك التجربة منذ آلاف السنين، فوائد العسل الشفائيّة فی بعض أمراض الجهاز الهضمی و العصبی و الجلدی و التنفّسی، و جهاز المناعة، و الأمراض الإنتانيّة و الاستقلابيّة، و أمراض الشيخوخة و غيرها. و لا عجب فی ذلك، فلقد زوّد المولى عزّ و علا هذه الحشرة المفيدة بخاصّيّة جنی الرحيق من كلّ الثمرات، كما قال تعالى فی كتابه

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۰

الكريم: ثُمَّ كُلِی مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ، و تحويله فی بطونها ثم إخراجه شرابا فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ. فالعسل إذا يختلف فی تركيبه و ميزاته الشفائيّة بحسب مرعى النحل الذی يستخرج منه. و لو استغلّ الإنسان علميّا هذا المصنع الإلهی العجيب الذی يستخرج و يصنّع المواد الغذائيّة الشفائيّة من كلّ الثمرات لوجد شرابا مختلفا فی ميزاته الشفائيّة، حسب نوع الزهرة التی امتصّ النحل من رحيقها. و ما زال باب الأبحاث العلميّة مفتوحا أمام مزيد من التجارب على النحل، ذاك أن لكلّ زهرة خواصّها الشفائيّة المودعة فيها من الخالق. و قد هيّأ المولى، جلّت قدرته، النحل لاستخلاص هذه المواد الشفائيّة من رحيق كلّ الثمرات. و لو أجريت تجارب علميّة محدّدة على النحل و ذلك بتخصيص كلّ مجموعة منها باستخلاص رحيق نوع معيّن من الأزهار، لحصل الإنسان على شراب مختلف ألوانه فيه شفاء لمختلف الأمراض. فالعسل المستخرج من رحيق أزهار الليمون له ميزة شفائيّة مختلفة عن العسل المستخرج من رحيق الأزهار أو البرسيم أو البصل أو غيرها. و هنا تكمن إحدى المعجزات العلميّة الكامنة فی قوله تعالى: ثُمَّ كُلِی مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِی سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ (النحل ۶۹). لذلك كان فی النحل، سواء فی خلقه أم فی تنظيم حياته أم

فی السبل التی ذلّلها له المولی للوصول إلی مختلف الثمرات لجنی رحیقها و تصنیعه فی بطونه، أم فی الشراب الذی یخرج منه، آیات لقوم یتفکّرون، أی براهین علمیّة یقینیّة علی وجود الخالق الذی خصّ النحل بسورة من سور کتابه الکریم. لذلک ننصح جمیع مرضانا، و الأصحّاء کذلک، بتناول ملعقة من العسل، و ملعقة من زیت الزیتون، یومیّا للشفاء أو للوقایة من کثیر من الأمراض.

بعض الأرقام

یدخل فی ترکیب العسل ما یزید علی سبعین مادّة مختلفة أهمّها السکّر، و یشتمل علی ۱۵ نوعا منه، کما یحوی ما یزید علی تسعة أنواع من الخمائر (enzyme)، و اثنی عشر نوعا من الأحماض العضویّة (acidesorganiques) (التی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۱

تنتقل إلی العسل من غدد النحلة، و ما یزید علی عشرین نوعا مختلفا من الأملاح المعدنیّة، و من سبعة إلی خمسة عشر نوعا مختلفا من الأحماض الأمینیّة (acidesamines)، و ستّة أنواع علی الأقلّ من الفیتامینات، بالإضافة إلی الماء. و فی کلّ کیلوغرام من العسل قوّة غذائیّة عالیة تعادل ۳۵۰۰ وحدة حراریّة، أی ما یعادل ۵، ۲ کیلوغرام من لحم البقر، أو ۷ کیلوغرام من الحلیب، أو ۱۰ کیلوغرام من الخضر الطازجة؛ إضافة إلی میزاته الطبیّة الوقائیّة و الشفائیّة.

۷- اللبن

(۱) فی الرضاعة من الثدی

اشارة

وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ (البقرة ۲۳۳).

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ (البقرة ۱۴).

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً (الأحقاف ۱۵).

عاد الأطبّاء و علماء التغذیة، منذ عشرات السنین فقط، إلی التشدید علی ضرورة إرضاع المولود. فقد أثبتت لهم الإحصاءات و التحالیل الکیمیائیّة أن الرضاعة هی الأصحّ للمولود و الوالدة. و أما من الوجهة الاقتصادیّة فهناک وفر هائل إذا عمّمت الرضاعة من الثدی.

فمن الوجهة الکیمیائیة

کلّ حلیب یختلف فی ترکیبه عن الآخر بحسب نوع الثدییات المستقطر منها. و حلیب الأنعام، خاصّة المجفّف منه، لا یحوی مضادّات الأجسام (anticorPs) أما حلیب المرأة فهو معقّم بما یحویه من مضادّات الأجسام القاتلة للمکروبات، کما أن ترکیب المواد الغذائیّة الموجودة فیه تتغیّر نسبتها تبعا لحاجات الطفل و نموّه و تقدّمه فی العمر. و الرضاعة من الثدی تؤدّی إلی إفراز هرمونات عدّة من الغدّة النخامیّة (ocytocine -proloctine) تساعد فی عودة الرحم إلی حجمه الطبیعی، کما أنها

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۲

تمنع إمکانیّة الحمل من جدید. فالرضاعة إذا من أسلم الوسائل الطبیعیّة لمنع الحمل. أضف إلی ذلک أنه تبیّن إحصائیّا أن المرضعات هنّ أقلّ النساء تعرّضا للإصابة بسرطان الثدی.

من الوجهة النفسيّة

كلّ مخلوق حيّ بحاجة لدفقة من حنان هى ضرورة أساسيّة فى نموّ قواه الشعوريّة و النفسيّة و العقليّة التى تؤثّر سلبا أو إيجابا على نموّه الجسدى. و الرضاعة من خلال التصاق المولود بوالدته تفضى إلى علاقة حميمة تبثّ دفء الحنان المتبادل بين الرضيع و المرضع، و لا وجود لهذه العلاقة الحميمة فى حال كان الإرضاع بواسطة القارورة.

ملاحظة:

وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ (لقمان ۱۴) وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً (الأحقاف ۱۵). نستخلص من هاتين الآيتين الكريمتين أن مدّة الحمل قد تنتهى فى الشهر السادس من بدء الحمل، و أن المولود قابل للعيش منذ هذا التاريخ. و هذا ما أثبته علم العناية بالأطفال المولودين قبل الشهر التاسع، فهناك حالات كثيرة لأطفال ولدوا منذ الشهر السادس. و تمّ وضعهم فى الحاضنات الاصطناعية (couveuse)، و غرف العناية المشدّدة التى يعتمدها أطبّاء الأطفال اليوم، فأمكن إنقاذ كثيرين منهم. و قد تأكّد الأطبّاء من هذه الحقيقة العلميّة القرآنيّة الإعجازيّة فى القرن العشرين فقط.

اعتمادا على التنزيل الكريم أفتى الإمام على بن أبى طالب، سلام الله عليه و رضى عنه و أرضاه، ببراءة امرأة وضعت مولودا فى الشهر السادس من حملها بعد أن شكّك زوجها فى عفّتها.

(۲) لبن الأنعام:

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ (النحل ۶۶). و نرى أن مفتاح فهم هذه الآية العلميّة يكمن فى كلمتى مِنْ بَيْنِ. فالفرث هو كلّ ما حوى الكرش، أى المواد الغذائيّة التى يحويها الجهاز الهضمى عند الأنعام، و ليس فضلات الطعام التى تخرجها. و لقد أثبت التحليل الكيميائى للأشياء- و هو

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۲۳

علم لم يبدأ إلا فى القرن التاسع عشر- أن لبن الأنعام مؤلّف من مشتقّات المركّبات الموجودة فى مرعى الأنعام و دمائها و لكن بنسب مختلفة، كما يختلف تركيب الحليب باختلاف المرعى. و اللبن غذاء كامل يحوى جميع المواد الغذائيّة الضروريّة للجسم، من سكاكر و دهنيّات و بروتينات و أملاح معدنيّة و فيتامينات. و نلاحظ الإعجاز العلمى فى قوله تعالى عن ميزات اللبن الغذائيّة الكاملة فى قوله جلّت قدرته: لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ، فالخالص الشىء الأبيض، و الخلاصة هى النخبة المنتزعة من الأشياء.

و فى الحديث الشريف «إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه، و أطعمنا خيرا منه، و إذا سقى لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، و زدنا فيه، فإنه ليس شىء يجزئ عن الطعام و الشراب إلا اللبن».

۸- المرعى

اشارة

وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعى فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى (الأعلى ۴، ۵). و مفتاح فهم هذه الآية علميّا يمكن فى تدبّر معنى كلمتى غُثاءً و أَحْوى.

الغثاء:

هو الشیء القلیل الوزن، و ذلک من قوله تعالی: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً، فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (المؤمنون ۴۱).
و فی الحدیث الشریف: «یوشک أن تداعی علیکم الأمم تداعی الأکلة إلی قصعتها، قالوا: أو من قلّة نحن یومئذ یا رسول الله؟ قال: لا، بل إنکم یومئذ کثر، و لکنّکم غثاء کغثاء السیل ...»، ما یشرح معنی «الغثاء». و أما فی معجمات اللغة فالغثاء: هو ما یحمله السیل من الحشائش و الأوراق و غیره، أی کلّ شیء قلیل الوزن خفیف الحمل.

أحوی:

بمعنی ما احتواه، و ذلک من قوله تعالی: وَ عَلَی الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا کُلَّ ذِی ظُفُرٍ، وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ شُحُومَهُما إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوایا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ (الأنعام ۱۴۶).
من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۴
و الحوایا تعنی الأعضاء المجوّفة التی تحوی الطعام کالمعدة و الأمعاء.
و فی معجمات اللّغة: أحوی، صفة تطلق علی کلّ شیء لونه أحمر قاتم.

شرح الآیة علمیّا:

لقد زوّد المولی الأنعام و بقیّة الحیوانات النباتیّة، من خلال أجهزتها الهضمیّة و ما تفرزه من عصارات هضمیّة، بما یمکنها من تحویل المرعی إلی شیء قلیل الوزن محتویا الموادّ المغذیّة المکثّفة، و من یعلم شیئا عن عملیّة الهضم عند الحیوان یدرک بسهولة الأبعاد العلمیّة فی هذه الآیة الکریمة، ذاک أن عشرات الکیلو غرامات من المرعی الذی تأکله البقرة، أو مئات الکیلوغرامات من الأوراق التی یلتهمها الفیل، تتحوّل فی جهازهما الهضمی عند انتهاء عملیّة الهضم إلی کمّیّة قلیلة الوزن، حاویة للموادّ الغذائیّة. فالمرعی إذا یتحوّل فی نهایة المطاف إلی دم و لحم و لبن لذلک نجد أن هذه الآیة الکریمة تلفت نظرنا إلی التأمّل فی قدرة المولی الذی زوّد مخلوقاته التی تتغذّی من المرعی بمعامل کیمیائیّة، تحوّل المرعی إلی «غثاء أحوی»، أی موادّ قلیلة الوزن حاویة للغذاء. و فی الجهاز الهضمی عند الأنعام و الحیوانات النباتیّة عشرات الأنواع من ملیارات الأحیاء المجهریّة کالبکتریا و غیرها، وظیفتها تحویل العشب و الأوراق کیمیائیّا إلی موادّ بروتینیّة و سکّریة و دهنیّة قابلة للتمثیل و الامتصاص و غیر ذلک. و للآیة الکریمة أیضا وجوه علمیّة أخری منها أن المرعی یتحوّل أیضا إلی «غثاء أحوی»، أی إلی بذور قلیلة الوزن تحوی الموادّ الأساسیّة لإخراج المرعی من جدید. من هنا ندرک المهمّة الصعبة و الجلیلة التی تعترض تفسیر آیات الکتاب الکریم العلمیّة فی العمق، إذ لا بدّ أن تتوافر لفهمها معلومات موسّعة و عمیقة فی علم النبات و علم التمثیل و الغذاء عند الحیوان، بالإضافة إلی إلمام عمیق و توقّف طویل أمام معانی المفردات فی کتاب الله المحکم.

۹- الخمر

اشارة

وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً (النحل ۶۷).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۵

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما (البقرة ۲۱۹).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ (النساء ۴۳).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (المائدة: ۹۰، ۹۱).

توضیح:

ما یزال بعضهم یظن عن حسن نیّة أو عن سوء نیّة، عن جهل أو عن تجاهل، أن الخمرة لیست محرّمة نصّا، و إنما کان أمر الله باجتنابها، و الاجتناب لیس تحریما! ربّما لم یعقل هؤلاء معنی کلمتی «الإثم» «و الاجتناب»؟

أوّلا: إن الخمرة محرّمة نصّا فی القرآن الکریم، و ذلک فی قوله تعالی:

قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ، وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِ (الأعراف ۳۳).

و من معانی الإثم فی اللغة: الخمرة، و ذلک فی قول الشاعر:

شربت الإثم حتی ضاع عقلی کذاک الإثم تذهب بالعقول ثانیا: اجتناب الشیء أشد وقعا فی المعنی من التحریم، فهو یعنی الابتعاد عنه و یکفی التمعّن بما ارتبطت به کلمة «اجتنبوه» فی الآیات الکریمة التالیة لندرک أیّ اللفظین أجدر بالانتهاء عمّا ورد فیها، «التحریم» أو «الاجتناب»:

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ (النساء ۳۱).

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ (النجم ۳۲).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۶

وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (الشوری ۳۷).

وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (النحل ۳۶).

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (الحج ۳۰).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (الحجرات ۱۲) فلقد ربط المولی کلمة «اجتنب» و ما اشتقّ منها بکبائر الإثم و الفواحش و عبادة الأوثان، و قول الزّور و سوء الظنّ، فهل فی هذا ما یکفی؟ و الخبائث- الأشیاء الضّارّة- محرّمة نصّا: وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ (الأعراف ۱۵۷). و الخمرة کما أثبت الواقع و العلم هی أمّ الخبائث. أما الأحادیث الشریفة التی حرّمت الخمرة، فهی تفصیلیّة و قاطعة و معروفة إلا عند الجاهلین أو المتجاهلین.

الخمرة أمّ الخبائث

إن تناول الخمرة یؤدّی فی أغلب الحالات إلی الإدمان، و هو حالة مرضیّة من التعلّق و الحاجة الجسدیّة و النفسیّة للمشروبات الکحولیّة بصورة دائمة، و بکمّیات تصاعدیّة، بحیث یضطرّ المدمن إلی زیادة الکمّیّة تدریجیّا للحصول علی ما یسمّیه هو «سکینة»، أو لإخفاء القلق النفسی فی داخله. و الحقیقة أن هذا محاولة فاشلة و مؤذیة من المدمن یتخذ من شرب الخمرة ستارا لیغرق مشاکله النفسیة بدلا

من التفكير الجدّى بمواجهتها و التصدّى لها و حلّها. فالكحول، و هى المادّة المسكرة فى الخمرة، مضرّة كيميائيّا. و فى الخمرة موادّ كيميائيّة أخرى قد تتسبّب فى الأمراض السرطانيّة، كما جاء مؤخّرا فى بعض الأبحاث. و الكحول تتحوّل فى الكبد إلى مادّة سامّة للخلايا الكبديّة خاصّة، و خلايا الجسم عامّة. و لا يزال بعض الأطبّاء حتى اليوم ينصحون مرضاهم من المصابين بقصور فى الشرايين القلبيّة بتناول قدح من الكحول، ظنّا منهم أن الكحول توسّع الشرايين التاجيّة، و تمنع حصول عوارض الخناق القلبى. و النتيجة غير مجدية فى أكثر

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۲۷

الحالات لا بل هى ذات أثر سلبى، إذ ثبت علميّا أن الكحول توسّع فقط الشرايين السليمة المتصلّبة، أما العضلات القلبيّة التابعة بترويتها لشرايين قلبيّة متصلّبة فينقص ما يصلها من الدم. فالكحول إذا توسّع فقط الشرايين القلبيّة السليمة التى تروى مناطق عضليّة ليست هى أصلا بحاجة إلى زيادة فى كمّية الدم التى تتطلّبها، و هذا ما يسمّى بعارض «السرقة» فى التعابير الطبّية. و قد أصبح بعض المرضى مدمنين بفضل هذه البدعة الطبّية، فازداد تناول الكحول عندهم من كأس إلى كأسين ثم إلى زجاجة! و فى الصحيح من الحديث: «كلّ مسكر خمر و كلّ خمر حرام»، و «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، و «إن الله تعالى أنزل الداء و الدواء، و جعل لكلّ داء دواء. فتداووا و لا تتداووا بحرام. إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم». فكلّ ما حرّمه التشريع الإسلامى بيّن العلم لا حقا حكمته: فشرب الخمرة قد يفضى إلى الإدمان لأنه يحوى الكحول، و هى مادّة كيميائيّة يسهل إدمانها حتى عند الحيوان كما أثبتت التجارب. و الخمرة ليس لها أيّة فائدة غذائيّة كما يعتقد بعضهم، فالطاقة الحراريّة الناتجة عن تمثّلها فى الكبد هى طاقة مضرّة يجد الجسم عناء كبيرا فى تحويلها و تمثيلها، لذلك فقد شدّد التشريع الإسلامى على تحريمها و أمر باجتنابها و مجالسة شاربها: وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ، إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً (النساء ۱۴۰). و المرء عند ما يجالس معاقر الخمرة لا يسمعه فقط يكفر و يستهزئ بآيات الله، و إنما يراه و يوافقه ضمنيّا على عمله، و قد يماشيه فى تصرّفه، و «من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه»، و «إن النفس أمّارة بالسوء».

إدمان الكحول و مضارّه الصحيّة:

يتسبّب الإدمان على شرب الخمرة بما لا يقلّ عن خمسين مرضا و عارضا صحّيّا، تبدأ بالتهاب المعدة و تنتهى بسرطان المرىء و الثدى، مرورا بتقرّح المعدة، و التهاب الكبد و تشمّعه و سرطانه، و تلف الأعصاب و الجهاز العصبى المركزى و التهابها، و تردّى القوى الشعوريّة

من علم الطب القرآنى، ص: ۲۲۸

و السلوكيّة و العقليّة التى توصل المدمن إلى أرذل العمر باكرا. و أكثر هذه الأمراض قد يكون قابلا للشفاء بعد التوقّف عن الإدمان. و الخمرة تضرّ بالحامل، إذ قد تؤدى إلى ولادة أطفال متخلّفين عقليّا و جسديّا. و قد سمّى الأطبّاء هؤلاء الأطفال المعوّقين «أطفال السبت»، و هى الليلة التى يطلق فيها الغربيّون عادة العنان لأنفسهم فى اللذّات المحرّمة خاصّة.

أما المنافع الموجودة فى الخمرة، عدا عن المنفعة التجاريّة المشار إليها فى قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ، وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما (البقرة ۲۱۹)، فهى فى الكحول الأثيلى، و هى مادّة ضارّة للجسم إذا دخلت الجوف، أى الجهاز الهضمى. إلا أن الكحول مادّة مطهّرة قاتلة للميكروبات إذا استعملت خارجيّا و لم تدخل الجوف. فلكلّ شىء خلقه المولى أوجه ضرر و أوجه فائدة، و العقل و العلم يأمرانا بتفادى الميزات المضرّة، و الاستفادة من الميزات الخيّرة فى كلّ مخلوق.

إدمان الكحول و مضارّة الاجتماعيّة:

جاء فی الإحصاءات أن (۳۷٪) من العمّال فی بعض البلاد الأوروبية مدمن علی الكحول، و (۶۷٪) من المآسی العائليّة ناتج من الإدمان علی الكحول، كما أن (۹۱٪) من حوادث السرقة و القتل و الاعتداء علی الغير تتم نتيجة الإدمان علی تعاطی الخمرة أو تحت تأثيره، مما دفع المسئولين عندهم مؤخّرا إلی تقنين مدّة فتح البارات و بيع المشروبات الكحوليّة. و نشير هنا إلی الإحصائيات التالية:

- و فی إحصائيّة طبّيّة اجتماعيّة اقتصاديّة نشرت عام ۱۹۷۹ أن عدد المدمنين علی تعاطی الخمرة فی فرنسا أربعة ملايين شخص، يموت منهم سبعون ألفا فی السنة، و أن معدّل الربح القومی فی فرنسا من بيع المشروبات الكحوليّة هو ما يقرب من ۲۰ مليار فرنک فرنسی، و ما يخسره الدخل القومی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۲۹

نتيجة الإدمان كخسارة لساعات العمل (نتيجة للإجازات المرضيّة المؤقّتة أو الدائمة) و ثمنا للأدوية و أجور المستشفيات، مائة مليار فرنک!- و فی الولايات المتّحدة الأميركيّة يشرب الخمرة ما يقرب من مائة مليون شخص، منهم عشرة ملايين مدمن. و تشير الإحصائيات إلی أن ۲۵٪ من الأسرّة فی المستشفيات يشغلها مرضی الإدمان الكحولی، و أن ما تخسره الولايات المتّحدة الأميركية من جرّاء الإدمان علی الخمرة هو ثلاثون مليار دولار سنويّا!- و فی بريطانيا مليون مدمن علی تعاطی الخمرة يشغلون ۲۰٪ من أسرّة المستشفيات فيها. أما ما يخسره الدخل القومی فثلاثة مليارات جنيه سنويّا، مقابل ألف و سبعمائة مليون جنيه تدرّها تجارة الخمور سنويّا.

- و فی إحصائيّات منظّمة الصحّة العالميّة أن ۸۶٪ من حالات القتل، و ۵۰٪ من حالات الاغتصاب و جرائم العنف، و ۵۰٪ من حوادث السير تقع تحت تأثير الكحول فی العالم.

- و فی إحصائيّات المؤسّسات الاجتماعيّة من إصلاحيّات للأحداث و دور للقضاء، و محاكم الطلاق، و السجون، و غيرها، يأتی تناول الكحول و الإدمان عليه فی طليعة مسبّبات المآسی الاجتماعيّة التی تعالجها هذه المؤسّسات.

هذه إحصاءات الغرب و فيها القليل من مضارّ الخمرة الصحّيّة و الاجتماعيّة. و هنا يتساءل كلّ عاقل: لما ذا لا يسارع المتشرعون عندهم إلی تحريمها؟ نقول مردّدين قوله تعالی: فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ (الحج ۴۶). و حتی لو منع الناس من تناول الخمرة بقوانين وضعيّة، فالمسألة ليست بهذه السهولة. و برأينا أن التشريع الإلهی و الوازع الدينیّ وحدهما قادران علی منع هذه الآفة الخبيثة، لأن الامتناع كلّيا عن شرب الكحول و بقيّة المخدّرات هو من أصعب الأشياء. لذلک رأی أكثر المصلحين أن لا سبيل للقضاء علی هذه الآفات التی تنخر صحّة الفرد

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۰

و المجتمع إلا بالوازع الدينی. فالقوانين الوضعيّة و الإرشادات و الإنذارات الصحيّة لم و لن تتوصّل إلا إلی النزر اليسير مما حقّقه و يحقّقه الوازع الدينی، عنينا به التحريم للموقنين. إن الإسلام هو العلاج الوحيد الذی يستطيع أن ينقذ الإنسانيّة المعذّبة و الضائعة من المشاكل الاجتماعيّة و النفسيّة و الاقتصاديّة التی تتخبّط فيها. و تجربة الولايات المتّحدة الأميركيّة الفاشلة (التی منعت الخمرة بواسطة قوانين صارمة جدّا من سنة ۱۹۲۰ إلی ۱۹۳۳، ثم ما لبثت أن تراجعت عنها أمام التأكّد من عدم جدواها)، هی أصدق شاهد. و أمّا فی المجتمع الإسلامی فقد حطّمت خوابی الخمرة عند سماع المؤمنين بأنها قد حرمت نهائيّا. هذا هو الفرق فی تأثير و فعّاليّة القوانين الإلهية و الوازع الدينی عند الفرد الملتزم، و فعّاليّة القوانين الوضعيّة، و مقدار التزام النفس الإنسانيّة بها.

حكمة التدرّج فی تحريم الخمرة:

کلّ تشریع سماوی حقّ هو فی جوهره لوقایة الأفراد و المجتمعات و سعادتها. و عند ما شرع الإسلام تحریم الخمرة، شرع تحریمها تدریجیّا من دافع المعرفة الإلهیة بحقیقة النفس الإنسانیّة. من هنا کان التدرّج فی نزول الآیات الکریمة التی بیّنت مضارّ الخمرة أوّلا، ثم حرّمتها بین أوّل آیة نزلت فی الخمرة و هی مکّیة- و قد أشارت إلی میزات الخمرة التی تسکر العقل و تخمره فقال تعالی: وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِیلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَکَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (النحل ۶۷)- و الآیة التی نزلت بعدها و هی مدنیة، و نصّ ها التالی: یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما (البقرة ۲۱۹). و من سأل عن الخمرة جاءه الجواب، ففهم منه بعضهم أنها محرّمة ضمنا لأنها إثم، استنادا إلی الآیة الکریمة: قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّیَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْیَ بِغَیْرِ الْحَقِ (الأعراف ۳۳). کما أن بعضهم الآخر رأی فی الآیة ذمّا فی الخمرة فخفّف منها (و لا ندخل هنا فی نقاش الفقهاء و المفسّرین، إذ إن لکلّ آیة من المتشابه وجوها). ثم نزل قوله تعالی: یا أَیُّهَا

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۱

الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُکاری حَتَّی تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ (النساء ۴۳).

و بما أن الصلوات الخمس لا- تفصل بین الواحدة منها و تالیتها أکثر من بضع ساعات، و هی مدّة لا تکفی کی یفیق المدمن من سکرته، لذلک کان فی هذه الآیة تحریم ضمنی یجبر المدمن علی أن یخفّف تدریجیّا من تناول الخمرة، و فی ذلک حکمة نفسیة و جسدیّة و رحمة بالمدمنین. حتی کان آخر ما نزل فی الخمر آیة الاجتناب أو التحریم القاطع و هی قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّما یُرِیدُ الشَّیْطانُ أَنْ یُوقِعَ بَیْنَکُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ وَ یَصُدَّکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (المائدة ۹۰، ۹۱). لقد کان مجتمع ما قبل الإسلام مجتمع جهالة، و القوم علی درجة کبیرة من الإدمان. و لو حرّمت علیهم الخمرة دفعة واحدة لشقّ ذلک علی نفوسهم و لم یستجیبوا لذلک النهی، کما جاء عن عائشة أم المؤمنین، رضی الله عنها: «و أوّل ما نزل من القرآن سور من المفصّل فیها ذکر النار و الجنّة، حتی إذا ثاب الناس إلی الإسلام نزل الحلال و الحرام، و لو نزل أوّل ما نزل، لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا».

هذا من الوجهة النفسیّة، أما من الوجهة الجسدیّة، فامتناع المدمن عن الخمرة یجب أن یحصل تدریجیّا خلال أسبوع. و للتوقّف الفجائی محاذیر طبّیّة أخطرها عارض الامتناع، و هو عارض طبّی خطیر قد یؤدّی إلی الموت، و یدرسه الأطباء تحت اسم عارض الهذیان الارتجافی. و من علاماته السریریّة: أحلام و کوابیس مزعجة، و خوف من الظلام، و هلوسة، و تعرّق، و تقیؤ، و اضطراب فی التصرّف و الشعور، و ضیاع و فقدان للقوی العقلیّة و الإرادیّة، و اضطرابات بیولوجیّة فی الدم.

فأین هذا التشریع- و هو قطعا من علیم لطیف خبیر بعباده- من التشریعات الدنیویّة الیوم؟ و الکل یعرف ما تترکه المشروبات الکحولیّة من آثار

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۲

مدمّرة فی الصحة و الأخلاق و الاقتصاد. و مع ذلک تتصدّر المشروبات الکحولیّة الاحتفالات الرسمیّة و الخاصّة، و تروّج لها وسائل الإعلام السمعیّة و البصریّة فی المجتمعات التی لا تتّبع النظام الإسلامی. و سیظلّ الإنسان کما وصفه التنزیل ظَلُوماً جَهُولًا (الأحزاب ۷۲)، ظلوما لنفسه و لغیره، إذا لم یتّبع القانون الإسلامی، و فیه خلاص الإنسانیّة.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۳

وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (المدّثّر ۴، ۵) «إذا سمعتم به (الطاعون) بأرض فلا تقدموا علیه، و إذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ... فلیس من عبد یقع الطاعون فیمکث فی بلده صابرا یعلم أنه لن یصیبه إلا ما کتب الله له، إلا کان له مثل أجر شهید».

(حدیث شریف رواه البخاری)

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۵

الفصل الثالث فی علم الأمراض المعدیة و الساریة

۱- الوقایة من الأمراض المعدیة و الساریة

اکتشف المجهر أو «المیکروسکوب» فی أواخر القرن السابع عشر، و بواسطته تمکّن العالم «باستور» فی القرن التاسع عشر من اکتشاف المکروبات، مسبّبات الأمراض المعدیة و الساریة، فوضع حدّا نهائیّا لنظریّة التولّد الذاتی أی التولّد من العدم، و أرسی المبدأ العلمی الأساس فی کلّ بحث: لکلّ موجود علّة و لکلّ سبب مسبّب.

و لئن أصبحت النظافة القاعدة الأولی للوقایة من الأمراض المعدیة منذ زمن «باستور»، فقد جعل الإسلام منذ خمسة عشر قرنا، من نظافة الفرد و طهارته فی سریرته و أعماله و جسده و ثیابه و مأکله و مشربه و بیئته، شرطا من شروط الإسلام الصحیح، و جزءا لا یتجزّأ من تعالیم التشریع الإسلامی. یکفی التمعّن هنا فی الآیات الکریمة التالیة، و کلّها جاءت بصیغة الأمر: یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ (الأعراف ۳۰)، و وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (المدّثّر ۴، ۵). و معنی التطهیر التعقیم، و الطهارة أبلغ معنی من النظافة، و أحسن منها أداء للمعنی العلمی لهذه الکلمة. فالطهارة تشمل النظافة، و لیس حتما أن تشمل النظافة الطهارة. فقد یکون الشیء نظیفا و لا یکون طاهرا، أی یکون خالیا من الأجسام الغریبة التی تغیّر لونه أو شکله أو رائحته، و لا یکون خالیا من

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۶

الجراثیم. فکلمة الطهارة التی وردت فی مواضع کثیرة من القرآن الکریم، و فرضت علی المسلمین کشرط لممارسة جمیع العبادات، إنما قصدت إلی هذا المعنی العلمی الدقیق. أما «الرّجز» فمن معانیه القذارة، و قد أمر المولی بالابتعاد عنها.

و الحقیقة التی لا یعرفها بعضهم هی أن الرسول الکریم علیه الصلاة و السلام هو أول من أشار إلی الأمراض المعدیة و الساریة و الطفیلیّة، و إلی طرق العدوی و وسائل انتشار المکروبات و الطفیلیّات، و لیس «باستور» أو غیره من العلماء کما یعتقد أکثر الناس. و الحبیب المصطفی هو أول من سنّ قانون الحجر الصحّی الوقائی المعمول به الیوم، و جعله فاعلا ملزما من خلال ربطه بأحکام التشریع و العقیدة. ففی الحدیث الشریف التالی إشارة واضحة إلی الأمراض الساریة، و من خلاله سنّ علیه الصلاة و السلام الحجر الصحّی، و هو القاعدة الأساسیّة التی یعمل بها الیوم لمنع انتشار الأمراض الوبائیّة: «إذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا علیه، و إذا وقع علی أرض و أنتم بها فلا تخرجوا فرارا. المقیم فیها کالشهید و الفارّ منها کالفارّ من الزحف». و الوباء هو المرض السّاری کالطاعون و الجدری و الحمّی الصفراء و الکولیرا و غیرها. و نلاحظ کیف جعل التشریع الإسلامی الالتزام بأوامر الحجر الصحّی من تعالیم العقیدة: فالمقیم فی أرض انتشر فیها مرض وبائیّ شهید، و مخالفة تعالیم الحجر الصحّی فرار کالفرار من الجهاد.

و هاک حدیثا آخر یفصّل الأوّل: «إن هذا الطاعون رجز (عذاب) علی من کان قبلکم، أو علی بنی إسرائیل. فإذا کان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه و إذا کان بأرض فلا تدخلوها». و کم من الأفراد الیوم یحاولون الحصول علی شهادة صحّیّة کاذبة فی التحصین ضدّ الأمراض الساریة لدی الانتقال من بلد إلی آخر، حتی لا یتعرّضوا لإزعاجات التحصین ضدّ الأمراض الوبائیّة. و المسألة مسألة أخلاق سلیمة. و لا التزام صادقا إلا مع کلّ إیمان صحیح.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۷

و هاک حدیثا إعجازیّا آخر لم یکشف العلم کلّ أبعاده بعد، و هو: «غطّوا الإناء و أوکئوا السّقاء (أی اربطوا طرف الجلد الذی یوضع فیه الماء) فإنّ فی السّنة لیلة ینزل فیها و باء لا یمرّ بإناء لیس علیه غطاء أو سقاء لیس علیه وکاء إلا و نزل فیه من ذلک الوباء»، إذا هناک أمراض ساریة، منها خاصّة بعض الأمراض الفیروسیّة کالرشح و الأنفلونزا و غیرها، لا تظهر إلا موسمیّا أو مرّة فی السّنة أو فی کلّ عدّة سنوات مرّة، و نحن لم نجد بعد تعلیلا طبیّا لذلک حتی الآن.

۲- مسبّبات الأمراض المعدیة و وسائل انتشارها

هناک أحادیث کثیرة فی مسبّبات الأمراض المعدیة کالمکروبات و الفیروسات و الطفیلیّات و وسائل نقلها و انتشارها، هی إعجاز علمیّ سبق بقرون ما اکتشفه العلم بعد اختراع المجهر فمنها: «تنکّبوا الغبار فإنّ منه تکون النّسمة». و فی هذا الحدیث الشریف إشارة صریحة إلی کلّ المخلوقات المجهریّة کالفیروسات و المکروبات و الطفیلیّات التی تسبّب الأمراض المعدیة و الطفیلیّة و أمراض الحسّاسیّة التی یحملها الغبار. فمن معانی النسمة: کلّ مخلوق حیّ، و ذلک من قوله علیه الصلاة و السلام: «من أعتق نسمة مؤمنة وقی الله عزّ و جلّ بکلّ عضو منها عضوا من النار» و قوله أیضا: «اتّقوا الذرّ فإنّ فیه النّسمة». و الذرّ جمع ذرّة، و کلمة ذرّة تطلق علی کلّ مخلوق لا یری بالعین المجرّدة. و هکذا یکون الرسول الکریم هو أوّل من أشار إلی وجود مخلوقات حیّة مجهریّة یحملها الغبار و لیس «باستور» کما یعتقد أکثر الناس. و بالإضافة إلی الهواء و ما یحمله من مسبّبات العدوی؛ فقد أشار الحدیثان الشریفان التالیان إلی الماء الآسن أو الملوّث بالقذارة کمسبّب رئیسی من مسبّبات الأمراض المعدیة: «اتّقوا البراز فی الموارد و الظلّ»، و «لا یبولنّ أحدکم فی الماء الدائم ثمّ یتوضّأ فإنّ عامّة الوسواس منه». أما إنسان الحضارة فی القرن العشرین فقد جعل أغلب بحار العالم الیوم ملوّثة، بعد أن حوّلها إلی مکبّ لنفایاته و نفایات معامله؛ و لمّا ذاق و بال فعلته و قد ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما کَسَبَتْ أَیْدِی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۸

النَّاسِ لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (الروم ۴۱)، أخذ یسنّ القوانین التی تحمی البحار من التلوّث. و قد سبقه إلی ذلک ما سنّه الرسول الکریم منذ خمسة عشر قرنا.

و الکلب هو إحدی الحلقات الرئیسة فی نقل کثیر من الأمراض الطفیلیّة، و فی طلیعتها مرض «الأکیاس المائیّة». و فی الحدیث الشریف التالی إشارة إلی هذه الحقیقة العلمیّة فی علم الطفیلیّات: «طهور إناء أحدکم إذا ولغ فیه الکلب أن یغسله سبع مرّات أولاهنّ فی التراب». فبیوض أکیاس الطفیلیّات التی ینقلها الکلب بلعابه و برازه یزیلها بسهولة التراب ثم الماء. و کلّ عالم طفیلیّات یستطیع الیوم بسهولة أن یخضع هذا الحدیث للتجربة فیتبیّن له مدی الإعجاز العلمی الکامن فیه.

أمّا الأوساخ و القذارة و النفایات، و هی مرتع الجراثیم و الطفیلیّات و الحشرات الناقلة للأمراض المعدیة و مرباها، فیکفی بشأنها الإشارة إلی الأحادیث الشریفة التالیة:

- «النظافة من الإیمان».
- «إن هذا الدین بنی علی النظافة».
- «البصاق علی الأرض و فی المسجد خطیئة کفّارتها ردمها».
- «اتّقوا اللاعنین، قالوا: و ما اللاعنان یا رسول الله؟ قال الذی یتخلّی (أی یتبوّل و یتبرّز) فی طریق الناس أو ظلّهم».
- «من آذی الناس فی طریقهم وجبت علیه لعنتهم».
- «إن الله طیّب یحبّ الطیّب، نظیف یحبّ النظافة، کریم یحبّ الکرم، جواد یحبّ الجود، فنظّفوا أفنیتکم و لا تشبّهوا بالیهود».
- «أحسنوا رداءکم و أصلحوا رکابکم حتی تکونوا شامة فی الناس».
- «حقّ علی کلّ مسلم أن یغتسل فی کلّ سبعة أیام، یغسل رأسه و جسده».

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۳۹

- و یقول عن یوم الجمعة: «إن هذا یوم جعله الله عیدا للمسلمین، فمن جاء الجمعة فلیغتسل و إن کان عنده طیب فلیمسّ منه، و علیکم بالسّواک».
- «الغسل و الطیب و السّواک ... یوم الجمعة».
- «النظافة شطر الإیمان».

- «النظافة من الإیمان».

- «من اتّخذ ثوبا فلینظّفه».

- «اغسل یدیک قبل الطعام و بعده».

- «طهّروا مسالک التسبیح».

- «السواک مطهرة للفم مرضاة للربّ، لو لا أن أشقّ علی أمّتی لأمرتهم بالسّواک مع کلّ صلاة».

- «أسبغ الوضوء (أی أتمّه)، و خلّل بین الأصابع، و بالغ فی الاستنشاق، إلا أن تکون صائما».

و قد أثبتت الدّراسات الحدیثة أن المکروبات المؤذیة الموجودة فی الفتحات الطبیعیّة، کالفم و الأنف و الأذن و تحت الأظافر و بین أصابع الیدین و الرجلین، هی شبه معدومة عند کلّ من یمارس الصلوات الخمس، و یلتزم تماما بشروط الوضوء. و لا شیء یفضل السواک فی تنظیف اللّثة و الأسنان من بقایا الطعام.

و نتوقّف أخیرا مع الحدیث الإعجازی التالی: «لا- عدوی و لا- طیرة و لا- هامة و لا- صفر، و فرّ من المجذوم کما تفرّ من الأسد» (البخاری). ففی قوله علیه الصلاة و السلام: «لا عدوی»، إشارة صریحة إلی أنّ هناک أمراضا غیر معدیة، کالزائدة الدودیّة و الذبحة الصدریّة و القرحة المعدّیة و الحصی و غیرها. و فی هذه الحالات المرضیّة یستطیع المؤمن عیادة أخیه المؤمن، و ذلک واجب دینی شدّدت علیه الأحادیث. و فی قوله: «و فرّ من المجذوم کما تفرّ من الأسد ...»

إشارة صریحة إلی الأمراض المعدیة و الساریة التی تمرض، أی تنقل المرض،

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۰

کما فی حدیث آخر: «لا یوردنّ ممرض- أی ناقل للمرض- علی مصحّ».

و للحدیث معان أخری منها أن الأمراض المعدیة لا تنتقل بالضرورة إلی الغیر کما یعرف الأطباء. فالمکروبات و غیرها من مسبّبات الأمراض المعدیة هی مأمورة من خالقها، و من الممکن أن نفهم قول الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم «لا عدوی» بمعنی لا عدوی إلا بإذن الله. و لکن حتی یأخذ الإنسان بالأسباب کان القسم الآخر من الحدیث: «و فرّ من المجذوم کما تفرّ من الأسد». و قد روی أن أعرابیّا قال عند ما سمع قول الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا عدوی، و لا طیرة، و لا صفر و لا هامة»: «یا رسول الله فما بال الإبل تکون فی الرمل کأنها الظّباء، فیخالطها البعیر الأجرب فیجربها». فقال رسول الله: «فمن أعدی الأوّل»، بمعنی أن الأسباب الممرضة بید الله، إن شاء أمرها فسبّبت المرض، و إن شاء منعها من أن تسبّب المرض.

و لقد توقف کثیر من الباحثین أمام ثلاثة أحادیث شریفة عن مرض الجذام (مرض مکروبی یشوّه الجلد و الجهاز العصبی و الأطراف و الأعضاء یعرفه العامة بالبرص) و حاولوا التوفیق بینها بصعوبة، إلی أن جاء العلم فی النصف الثانی من القرن العشرین لیثبت مدی إعجازها و یوضح مضامینها: ففی قوله علیه الصلاة و السلام: «و فرّ من المجذوم کما تفرّ من الأسد» إشارة صریحة إلی أن مرض الجذام (lePre(هو مرض معد یجب الفرار من حامله. کذلک فی الحدیث الذی أخرجه مسلم: «کان فی وفد ثقیف رجل مجذوم فأرسل إلیه النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنا قد بایعناک». و فی حدیث آخر إشارة إلی أن مرض الجذام قد یکون غیر معد، فقد ثبت عن جابر أن النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أکل مع المجذوم فی قصعة واحدة و قال له: «کل ثقة بالله و توکّلا علیه». و قد أثبت العلم مؤخّرا کما جاء فی مجلة «العلم و الحیاة» الفرنسیة (عدد ۸۵۳- سنة ۱۹۸۸- الصفحة ۴۸) أن هناک أشخاصا عندهم الاستعداد الوراثی للعدوی من مرض الجذام، کما أن هناک أشخاصا لیس عندهم الاستعداد الوراثی للعدوی من الجذام، و منهم الرسول الکریم، لذلک أکل من نفس القصعة مع مجذوم، و أرسل إلی مجذوم بنی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۱

ثقیف «أن قد بایعناک»، حتی لا تصیب العدوی بعض أصحابه، فربما کان لدیهم استعداد وراثی للعدوی من الجذام؟! و الله أعلم.

و فی قوله علیه الصلاة و السلام: «لا- طیرة و لا- هامة و لا- صفر» نفی لوجود أمراض وهمیّة و إبطال لعادات و اعتقادات خاطئة هی التالیة:

الطیرة، و تعنی التشاؤم، و ذلک من قوله تعالی: قالُوا إِنَّا تَطَیَّرْنا بِکُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّکُمْ وَ لَیَمَسَّنَّکُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِیمٌ (یس ۱۸). فقد کان العرب قبل الإسلام یتطیّرون، أی أنهم کانوا یطلقون الطیر، فاذا اتّجه یمینا تفاءلوا خیرا، و إذا اتّجه شمالا تشاءموا و ترکوا العمل الذی کانوا یریدون فعله! و الهامة، و هی طیر خرافی کانت العرب تزعم أن روح القتیل الذی لا یدرک ثأره تصیر هامة تصرخ عند قبره: اسقونی اسقونی، فإذا أدرک ثأره طارت.

و قد أبطل الرسول الکریم بهذا الحدیث عادة الثأر و بقیّة الاعتقادات الخاطئة.

و الصفر، و قد کان فی اعتقاد العرب قبل الإسلام وجود ثعبان یأکل من البطن و یعضّ الإنسان إذا جاع.

أین نحن الیوم من نورانیّة هذه التعالیم السماویّة فی الطبّ الوقائی و الواقع الذی نعیشه؟ فأکثر مدننا و قرانا بعید جدّا عن هذه القواعد الأوّلیّة فی النظافة التی التزم بها الغربیّون الیوم، و هم الذین بقوا حتی القرن التاسع عشر أبعد الناس عنها. فلقد ظلّ الملک لویس الثامن عشر من سنة ۱۸۰۰ إلی سنة ۱۸۱۳ لا یغتسل، و کذلک أغلبیّة شعبه، ظنّا منهم أن الماء یدخل الجسم فیمرضه! لذلک یجب أن نکرّر حملات التوعیة الصحیّة فی النظافة، و علی مختلف الأصعدة من جمعیّات کشفیّة و اجتماعیّة و وسائل إعلام سمعیّة و بصریّة، فی المساجد و المدارس و الأندیة و من خلال الرادیو و التلفاز، حتی یترسّخ فی أعماق المسلم: «أن النظافة شطر الإیمان»، و «أن النظافة من الإیمان»، و أنها

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۲

کلّ لا یتجزّأ، فهی فی الثیاب، و فی الجسد، و فی النفس، و فی البیت، و فی الشارع، و فی البیئة.

فالقذارة لغویّا، هی الرّجس و الرّجز و الرّجز، و الله حرّم کلّ رجس:

وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (المدثّر ۵) و اللّه یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ (التوبة ۱۰۹). إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ (البقرة ۲۲۲). ذلک أن النظافة قاعدة أساسیّة فی تنشئة المسلم و من صمیم عقیدته. و مع الأسف فقد کاد بعضهم الیوم ینساها. لذلک نرجو خطباء المساجد أن یخصّصوا دوریّا خطبة من خطب الجمعة لشرح الآیات الکریمة و الأحادیث الشریفة التی وردت فی النظافة، و التذکیر بها، و ترسیخ معانیها، فالذّکری تنفع المؤمنین کما قال تعالی: وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ (الذاریات ۵۵). و النظافة و آداب اللباس و الجلوس و الاستماع تکاد تنعدم فی بعض مساجدنا. و المولی یقول فی محکم کتابه: یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ (الأعراف ۳۱) ... وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (الجن ۱۸)، وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ وَ سَعی فِی خَرابِها (البقرة ۱۱۴) کما أن الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم، کما روی أبو داود، نهی عن الشراء و البیع فی المسجد، و أن تنشد فیه ضالّة أو أن ینشد فیه شعر. و قد روی مسلم أیضا: «من سمع رجلا ینشد ضالّته فی المسجد فلیقل: لا ردّها الله علیک، فإنّ المساجد لم تبن لذلک». أما إذا لم یلتزم بعضهم بعد الحملات الإعلامیّة المنظمة و المتکرّرة بقواعد الطبّ الوقائی فی حقل النظافة و آداب المساجد، فما علینا إلا تطبیق القول المأثور: «إن الله لیزع بالسلطان ما لا یزع بالقرآن».

۳- فی حکمة الوضوء

اشارة

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَی الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَکُمْ وَ أَیْدِیَکُمْ إِلَی الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ إِلَی الْکَعْبَیْنِ وَ إِنْ کُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضی أَوْ عَلی سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (المائدة ۶).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۳

تتأتّی القذارة و الأوساخ من الموادّ العضويّة التی تطرحها الأحياء كالبول و الغائط و الدّم و اللّعاب و البصاق و غيرها، و من أجساد الأحياء عند موتها.

فالمواد العضويّة الميتة هی أفضل بيئة لتكاثر المكروبات و الطفيليّات الضارّة كما هو معروف فی علم المكروبات. من هنا نفهم حكمة التشديد على الطهارة فی تعاليم الإسلام و ربطها بأحكام الفرائض. فالوضوء ينظّف دوريّا خمس مرّات فی اليوم، الأجزاء المكشوفة من الجلد، و فتحات الجسم الطبيعيّة، من الميكروبات و الطفيليّات و المواد العضويّة التی تخرج من الجلد أو تحطّ عليه. و قد أثبتت الدراسات المخبريّة التی أجريت أخيرا أن نسبة المكروبات فی الفتحات الطبيعيّة كالأنف و الفم و البلعوم و غيرها عند الذين يمارسون فرائض الإسلام فی النظافة هی أقلّ بكثير من تلك التی نجدها عند الذين لا يلتزمون بشعائر الإسلام. و فی شرح وظائف الجلد بصورة مبسّطة تكتمل الصورة العلميّة عن حكمة الوضوء و الطهارة.

وظائف الجلد

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ (الطارق ۴).

۱- أوّل وظائف الجلد و أهمّها هی أنّه درع سابغة على البدن تردّ عنه الجراثيم. و مع ذلك فإنه بإمكان أنواع من الجراثيم و الطفيليّات العيش على سطحه و إحداث ضروب من البثور و التقرّحات و التهيّجات فيه إذا أهمل غسله و تنظيفه بالماء الحارّ و الصابون فی مواقيت متقاربة.

۲- و الدور الثانی الذی يؤدّيه الجلد هو ضبط حرارة الجسم بواسطة العرق الذی تفرزه غدد صغيرة منتشرة فيه يبلغ عددها نحو المليونين، و لذلك

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۴

يعتبر العرق من أجدى و أقوى العوامل المقاومة لضربة الحرّ. و أما إذا برد الجوّ فإنّ الأوعية الشعيريّة فی الجلد تنقبض، و ينقص إفراز العرق أو ينحبس تماما حتى تظلّ حرارة الجسم فی مستواها الطبيعی، و هو سبع و ثلاثون درجة مئوية.

لذلك تتفاوت كمّيّة العرق التی يفرزها الجلد فی اليوم الواحد، فتتراوح بين سبعمائة سنتيمتر مكعّب و ليترين.

۳- و الوظيفة الثالثة للجلد هی أنه يخرج مع العرق جزءا من الفضلات السامّة التی تطرحها الأنسجة فی الدم، و التی يعتمد الجسم فی خلاصه منها على الكليتين و الجلد و الرئتين.

۴- و الوظيفة الرابعة له هی أنه يمنع الماء من النفاذ إلى داخل الجسم، بفضل مليونی غدّة من الغدد الدهنيّة المنبثّة فيه، و بفضل الطبقة القرنيّة فيه بوجه خاص.

۵- و الوظيفة الخامسة للجلد هی أنه، عند ما تقع عليه الشمس تنفذ أشعّتها فوق البنفسجية إلى الطبقة الدهنيّة الكائنة تحت الأدمة، فتتحوّل مادّة الأرجوسترول إلى فيتامين، و هذا الفيتامين عنصر ضرورى لتثبيت الجير أو الكلس على العظام و الأسنان.

۶- و الوظيفة السادسة للجلد هی أنه عضو رئيس من أعضاء الحسّ، فيشعرنا، بواسطة نهايات الأعصاب و جسيمات اللّمس، بمختلف المؤثّرات الخارجيّة التی تقع عليه. و هو بذلك يقوم مقام العينين فی معرفة أشكال الأجسام و أحجامها و حرارتها و ملمسها.

۷- و الوظيفة السابعة للجلد هی التنفّس و ذلك بواسطة المسامّ المنتشرة فيه كما تتنفّس الرئتان، و لو بقدر ضئيل، فيمتصّ أو كسجين الهواء و يلفظ حامض الفحم.

و السؤال الآن هو: ما ذا یحدث للجسم إذا تعطّلت وظائف الجلد؟ لقد

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۵

أجری العلماء اختبارا علی کلب حلقوا شعره و طلوه بمادّة کالغراء تسدّ مسامّه و تمنع کلّ اتّصال بینه و بین الهواء، فما انقضت علیه أیام حتی مات متسمّما.

و إذا أهمل تنظیف الجلد بالماء الحارّ و الصابون، تراکمت قشور الطبقة القرنیّة، و تراکمت علیها المادّة الدهنیّة و الغبار و الأوساخ و الجراثیم، و انسدّت مسامّه، و انحبس تنفّسه، و ضعف إفرازه للعرق ضعفا کبیرا، و عجز عن ضبط حرارة البدن، و ارتفعت مقادیر الفضلات السامّة فی الدم، و ظهرت علی المرء، مع الوقت، أعراض التسمّم الذاتی، و ابتلی بفقر الدّم، و شحوب اللّون، و وهن النّشاط، و ضعف القابلیّة. إذا فالعنایة بنظافة الجلد ضروریّة ما دامت وظائفه الفسیولوجیّة ضروریّة لا یستغنی عنها. و فی إهمال تنظیفه إساءة بالغة إلی جمیع وظائفه التی ذکرناها لا بل إلی جمیع وظائف الأجهزة فی الجسم. و الاستحمام ینشّط القلب و الدورة الدمویة و التهویة الرئویّة، و یقاوم القبض المعوی، و یدرّ البول، و یضفی علی الجهاز العصبی الراحة و الهدوء، و ینبّه الدماغ، و یمدّد الأوعیة الدمویة، و یسبّب العرق.

هذه هی الأهداف الصحیحة التی رمی إلیها الشرع الإسلامی حین أوجب الغسل من الجنابة، و جعله فریضة من أمّات الفرائض، لا بل باب الفرائض، حتی أنها لا تفتح إلا به. و أما الأسلوب العلمیّ الآخر للنظافة فی الإسلام فهو الوضوء الذی فرضه الدین الحنیف عدّة مرّات فی کلّ یوم. و قد فرض الوضوء علی هذا النحو لأن أطراف الإنسان معرّضة للهواء و الغبار و التراب و الجراثیم. ثم إن غدد العرق تحتشد بصورة خاصّة فی الجبهة و باطن الکفّین و القدمین، کما أن الوجه یفرز الدهن من غدده الدهنیّة و فیه العینان تدمعان و تقذیان، و الأنف یفرز سوائله المخاطیّة، و الفم بؤرة لفضلات الطعام المتخمّرة و المتعفّنة بفضل الجراثیم، و الیدان تصافحان و تمسکان بکلّ ما تصادفانه من أجسام و أدوات و موادّ، قذرة أو نظیفة، و القدمان تطآن الأرض حافیتین أحیانا، فتتّسخان بأوحالها و أوضارها، أو منتعلتین أحیانا أخری، فتتّسخان بإفرازاتهما

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۶

الجلدیّة من عرق و دهن و أملاح. و بما أن هذه الأعضاء دائمة التعرّض للأوساخ، کان غسلها مع التدلیک، عدّة مرّات فی الیوم، من الشروط الصحّیّة المتناهیة فی الحکمة و إمعان النظر.

و أما السواک فمعجزة من معجزات علم الصحّة، إذ لیس بین جمیع الأدوات التی یستخدمها الإنسان فی حیاته الصحّیة الیومیّة أداة أعمّ فائدة علی سائر أعضائه و أجهزته من السواک أو الفرشاة، و لأنه یدفع عن الجسم أسقاما و منغّصات قد تکون خطرة أحیانا. ذاک أن بقایا الطعام إذا احتشدت بین الأسنان و لم یفد السواک فی نزعها تخمّرت أو تعفّنت، و نجم عن ذلک ضرر بالغ لأن الأحماض المختلفة الناتجة عن التخمّر تنخر مادّة الأسنان الکلسیّة و تفتّتها مع الزمن، و تتکاثر جراثیم الفم فتصیب اللّثة و الحلق و اللّوزتین بدرجات من الالتهاب و التقیّح فتعجّل فی سقوط الأضراس و الأسنان. و قد تمرّ الجراثیم أو سمومها إلی الدورة الدمویّة فتکون سببا فی داء المفاصل و التهاب شغاف القلب و مصاریعه أو التهاب الکلیتین الحادّ أو المزمن، أو ارتفاع ضغط الدم، أو غیر ذلک.

و هناک ناحیة من نواحی الطهارة شدّد علیها الشرع الإسلامی، لما لها من وثیق العلاقة بالصحّة: هی تطهیر مناطق التبوّل و التغوّط فی البدن. و من لغو الکلام أن ندلّل علی وجوب تنظیف هذه المناطق بالماء بعد کلّ تبوّل أو تغوّط، فهذه المناطق تتلوّث بالدم و الإفرازات العضویّة المختلفة. و إزالة هذه المواد بالماء ضرورة صحّیّة و نفسیّة فی آن، فکم من حوادث نفور بین الأزواج کان مردّها إلی هذا التقصیر فی تطهیر المناطق القذرة من البدن.

و إلی جانب هذه المعانی العلمیّة فی حکمة الوضوء و النظافة و الطهارة هناک وجوه روحیّة. فالإنسان فی الصلاة هو فی لقاء مع خالقه، و من أبسط البدیهیّات أن یکون فی أنظف حلّة ظاهرا و باطنا. کما أنه من الواجب علی المسلم أیضا أن لا یزعج الملکین

المولجين بحفظه مما تشمئزّ منه كلّ نفس، فكيف بالملائكة الأطهار الذين تزعجهم الروائح الكريهة و كلّ قذارة. لذلك أمر

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۷

الرسول الكريم كلّ من أكل بصلا أو ثوما باجتناب مجلسه. كما أن اقتناء الكلاب فی البيت مكروه، و الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلاب.

نذكّر أخيرا بالأحاديث الشريفة التالية، و نتساءل بمرارة: لما ذا لا نعمّمها يوميّا فی جميع وسائل الإعلام المتوفّرة عندنا، لا سيّما و أننا فی حالة من النظافة لا يحسدنا عليها كثيرون. و قد سبق الإسلام فی هذا الميدان ما كشفه علم الطب الوقائی، بدعوته إلی ما يحفظ صحّة الفرد و اتّزانه فی علاقاته مع الآخرين. و من أقواله صلّی اللّه عليه و سلّم نورد مزيدا فی هذا الباب علّ الذكری تنفع المؤمنين:

- «طهّروا هذه الأجساد طهّركم الله، فإنه ليس عبد يبيت طاهرا إلا بات معه ملك فی شعاره، و لا يتقلّب ساعة من الليل إلا قال: اللّهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرا».

- «بئس العبد القاذورة».

- «هلك المتقذّرون».

- و عن جابر بن عبد اللّه قال: «أتانا رسول الله صلّی اللّه عليه و سلّم فرأی رجلا شعثا قد تفرّق شعره فقال: أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره؟ و رأی رجلا آخر و عليه ثياب وسخة فقال: أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟» (سنن أبی داود).

- «أبصر رسول الله صلّی اللّه عليه و سلّم رجلا شعثا شعر رأسه، و سخا ثيابه، سيّئة حاله فقال: من الدّين المتعة و إظهار النعمة».

- «لا تبيّتوا القمامة فی بيوتكم، و أخرجوها نهارا، فإنها مقعد الشيطان».

- «تنظّفوا بكلّ ما استطعتم، فإن الله تعالی بنی الإسلام علی النظافة، و لن يدخل الجنّة إلا كلّ نظيف».

- «إن الإسلام نظيف فتنظّفوا، فإنه لا يدخل الجنّة إلا نظيف».

- «إن الله يحبّ الناسك النظيف».

- «من اتّخذ ثوبا فلينظّفه».

- «يا عائشة اغسلی هذين الثوبين، أ ما علمت أن الثوب يسبّح فإذا اتّسخ انقطع تسبيحه»؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۴۹

قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ. يَهْدِی بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. من علم الطب القرآنی ۲۴۹ وظائف الجلد ..... ص : ۲۴۳

لمائدة ۱۵، ۱۶) و عن علیّ سلام الله عليه و رضی الله عنه و أرضاه:

«ألا إنی سمعت رسول الله عليه الصلاة و السلام يقول: ألا إنها ستكون فتنة فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال:

كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، و من ابتغی الهدی فی غيره أضلّه الله. و هو حبل الله المتين و النور المبين و هو الذّكر الحكيم و هو الصراط المستقيم. هو الذی لا تزيغ عنه الأهواء و لا تلتبس به

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۰

الألسنة، و لا يشبع منه العلماء، و لا يخلق علی كثرة الرّد و لا تنقص عجائبه، هو الذی لم تنته الجنّ إذ سمعته حتی قالوا:

إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِی إِلَی الرُّشْدِ من علم به علمه سبق، و من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا إليه هدی إلی صراط مستقيم».

«القرآن الكريم رسم للناس جميعا سبيلا يصلون فيه إلی هدف عظيم: ألّا يكونوا فی مهبّ الريح».

(میخائیل نعیمة)

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۱

الفصل الرابع فی الوقایة من الأمراض النفسیّة

۱- التنشئة الإسلامیّة و الأمراض النفسیّة و الاجتماعیّة

الفرد نواة العائلة، و العائلة أساس کلّ مجتمع. و صلاح المجتمعات و فسادها تبع لصلاح الأفراد و العائلة. فکلّ مولود بصورة عامّة، مع بعض الاستثناءات، صفحة بیضاء، عجینة لیّنة، یکتب علیها الآباء و المربّون و البیئة و المجتمع، منذ ولادته حتی مماته، فیتأثّر سلبا أو إیجابا بما تمثّله عائلته و مجتمعه من قیم و مفاهیم ثقافیّة فی شتی فروع العلم المادّیّة و الإنسانیّة. هذه حقیقة علمیّة فی حقل التنشئة و التربیة، یعرفها کلّ مختصّ فی علم التربیة، و قد أشارت إلیها الآیة الکریمة التالیة: وَ اللَّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً (أی صفحة بیضاء) وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ (آلة التعلّم و المعرفة) لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (النحل ۷۸). و فی الحدیث الشریف: «کلّ مولود یولد علی الفطرة (أی کما أخرجه المولی من بطن أمّه لا یعلم شیئا)، فأبواه یهوّدانه أو ینصّرانه أو یمجّسانه». و الإحصاءات الیوم تبیّن أن مختلف الأنظمة التربویّة الوضعیّة التی اتّبعتها الأمم فی تربیة النشء أوصلتها إلی ما هی علیه الیوم من تعاسة و ضیاع، و هو ما نراه فی حقل الأمراض النفسیّة و المشاکل الأخلاقیّة الاجتماعیّة: فعلم بدون أخلاق مهلکة للنفس و تدمیر للذات.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۲

و المجتمعات التی تخلّت فی تربیتها عن تعالیم السماء، تتخبّط فی ظلمات التعاسة النفسیّة و الاجتماعیّة و المفاهیم الأخلاقیّة الخاطئة، بالرغم من تقدّمها فی مختلف فروع العلوم المادّیّة. و ما نفع العلم المادّی إذا خسر الإنسان طمأنینته و سعادته؟ و إن أعلی نسب الانتحار و القلق و الأمراض النفسیّة، و الجرائم الأخلاقیّة هی عند الأمم التی أهملت المفاهیم الأخلاقیّة و المبادئ التربویّة الإسلامیّة فی التنشئة. لذلک عجزت مختلف الأنظمة الوضعیّة من تربویّة و اقتصادیّة، کما هو واقع الحال الیوم، عن أن تصل بالإنسان إلی السعادة، غایة کلّ حیّ فی الوجود. أما الإسلام فلم یترک جانبا من جوانب الإنسان الناشئ إلا و تعهّده بالتربیة الصحیحة، فهو خیر وقایة و شفاء لهذه الإنسانیة المریضة فی أکثر أفرادها و مجتمعاتها. أما الأسس المنهجیّة العلمیّة المبرمجة للتنشئة الإسلامیة فلم تستخلص و تعمّم بعد کما یجب. و هذه مسئولیّة المربّین و المهتمّین بعلم التربیة و النفس، و کذلک مسئولیّة القائمین بالدعوة الإسلامیّة.

و لقد حاولنا، فی کتابنا «من علم النفس القرآنی»، أن نبیّن کیف أن فی الإیمان الصحیح وقایة و شفاء للنفس الإنسانیّة من أمراضها العصابیّة و اضطراباتها السلوکیّة. و سنبیّن إن شاء الله، فی کتاب لا حق، کیف أن التربیة الإسلامیة هی السبیل الوحید للوصول إلی الإیمان الصحیح، و بالتالی الشفاء من جمیع الأمراض النفسیّة و الأخلاقیّة و الاجتماعیّة. إنّما لا بدّ هنا من وقفة قصیرة مع هذه الإنسانیّة المریضة.

۲- هذه الإنسانیة المریضة

کلّ المجتمعات الإنسانیّة التی تخلّت عن تعالیم السماء الحقّة هی فی الواقع مریضة و جاهلة و ظالمة. فمنذ قتل قایین أخاه هابیل و حتی کتابة هذه الکلمات مرّت علی الإنسانیة حروب ظالمة و قاسیة، علما أن منها حروبا عادلة

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۳

لا بدّ منها. و هل وصلت المجتمعات التی یطلقون علیها صفة المتحضّرة و الراقیة، رغم کلّ إنجازاتها فی حقول العلوم المادّیّة، إلی السعادة؟ ثم هل قضت علی القلق و الفقر و الجهل و المرض؟ بالطبع لا. فالفقر و الجهل و المرض و القلق هی آفات الإنسانیّة الرئیسة

الیوم، و حتی الآن لم تجد الإنسانیّة لهذه الآفات العلاج الشافی و لن تجده إلا باتّباع القانون القرآنی، شرط أن تفهم النصوص و تطبّقها بعیدا عن هوی النفوس.

جاء فی إحدی إحصائیّات الأمم المتّحدة أن (۷۰۰) ملیون نسمة یعانون من سوء التغذیة، و (۱۵۰۰) ملیون نسمة تنقصهم الرعایة الصحّیة، و عشرات الملایین یموتون سنویّا من الجوع، و أن عدد الأمّیین فی العالم یبلغ (۸۰۰) ملیون نسمة، فی حین تنفق الإنسانیة فی عشرین دقیقة علی التسلّح ما یکفی لتمویل میزانیّة الأمم المتّحدة السنویّة المخصّصة لمنع الفقر و الجهل و المرض فی العالم. إنها تنفق ما یزید علی ملیون دولار فی الدقیقة جهلا و ظلما فی سبیل زیادة إنتاجها من وسائل الفتک و الدمار، و کأنه لم یکفها کمیّة الخمسة أطنان من المواد الشدیدة الانفجار التی کدستها فوق رأس کلّ فرد من أفراد البشریّة، و هو ما یکفی لمسح کلّ أثر للحیاة علی وجه الکرة الأرضیّة خمسا و عشرین مرّة و لیس مرّة واحدة! القلق یلفّ الإنسانیة إلا من رحم المولی ممّن هدی و اهتدی. و البلدان التی یدعونها بالمتحضّرة و الراقیة هی فی طلیعة الأمم القلقة أفرادا و مجتمعات، إذ إنها تنفق سنویّا آلاف الملایین من الدولارات ثمنا، للأدویة المهدّئة و المشروبات الکحولیّة و المخدّرات کی تحارب قلقها و لا- نتیجة، لا بل إن نسبة القلق و الانتحار و الجریمة و المآسی الاجتماعیّة تتزاید عندها.

و تنفق الإنسانیة ملایین الدولارات فی سبیل الأبحاث العلمیّة و الأدویة التی تجارب الأمراض الجنسیّة التی تنتقل بواسطة العلاقات الجنسیّة الآثمة، من دون أن تحارب هذه العلاقات نفسها، لا بل إنها تشجّعها تحت ستار مفهوم

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۴

الحرّیّة الفردیّة الخاطئ! و لو التزمت القانون الإسلامی لوظّفت هذه الأموال الطائلة فی محاربة الجهل و الجوع و المرض.

و یتلف بعض أفراد الإنسانیّة الفائض من المحصول الغذائی و لا یوزّعونه علی الفقراء حتی لا تتدنّی أسعاره فی الأسواق العالمیّة! أمّا القانون الإسلامی فقد منع احتکار قوت العباد، فکیف بإتلافه و حرقه؟

و تنفق أکثر الدول الأموال الطائلة فی سبیل الترف و المظاهر التی لا- فائدة منها، فی حین أن کثیرا من أفرادها یعانون من الجوع و المرض و الجهل. أما فی ظلّ القانون الإسلامی فی زمن الخلیفة الراشد عمر بن عبد العزیز، فقد نادی المنادون فی الأسواق بأن بیت المال هو فی تصرّف کلّ معوز و جائع. و کان أصحاب الزکاة و الصدقة لا یجدون من یتصدّقون علیه.

و فی کثیر من البلدان یولد آلاف الأفراد و یربّون و یموتون فی الأزقّة و الشوارع و بیوت التّنک و الخشب، و علی بعد أمیال منهم قصور الترف و الإسراف و التّخمة! و فی بعض البلدان الأخری یموت آلاف الناس من الجفاف یومیّا، بینما یهتمّ المسئولون عنهم بتنظیم الدعوة إلی مهرجانات الفسق و الفجور! أما فی القانون الإسلامی: «فکلّکم راع و کلّکم مسئول عن رعیّته»، و «و ما آمن بی من بات شبعان و جاره جائع و هو یعلم». و الأمثلة عن ظلم الإنسان لنفسه و لغیره تطول، إنّما ما الحلّ؟ و ما المخرج؟

۳- ما الحلّ و ما المخرج؟

فَهَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِینَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِیلًا، وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِیلًا (فاطر ۴۳). لینظّروا ما شاءوا و لیسنّوا القوانین الوضعیّة ما شاءوا، و لیفتّشوا عن حلّ لمشاکل الإنسانیّة ما شاءوا، فالإنسانیّة إذا لم تلتزم بالقانون الإسلامی ستظلّ تتخبّط فی مشاکلها التی تتزاید یوما بعد یوم، مصداقا لقوله تعالی: فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی. وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۵

فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنْکاً (طه ۱۲۳، ۱۲۴)، و فَمَنْ تَبِعَ هُدایَ فَلا- خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا- هُمْ یَحْزَنُونَ (البقرة ۳۸)، و وَ مَنْ یُعْرِضْ عَنْ ذِکْرِ رَبِّهِ یَسْلُکْهُ عَذاباً صَعَداً (الجن ۱۷). لذلک لم یلق برنارد شو قوله عبثا عند ما قال: «لا تستقرّ أمور هذه المدنیّة إلا إذا رجعت إلی تعالیم محمّد». و کذلک میخائیل نعیمة لما قال:

«القرآن الکریم رسم للناس جمیعا سبیلا یصلون فیه إلی هدف عظیم: ألّا یکونوا فی مهبّ الریح». أما المفکّر و المصلح الاجتماعی روجیه غارودی فیری فی الإسلام النظام الأمثل لسعادة الإنسانیّة، و ذلک بعد دراسة شمولیّة لمختلف الأنظمة الاجتماعیّة التی تتّبعها الأمم استغرقته عشرات السنین. من هنا کان تحوّله إلی الإسلام و التزامه إیّاه دینا. و العقلاء، و ما أقلّهم، یرون فی النظام الإسلامی، الوقایة و العلاج، للأفراد و المجتمعات، من القلق و الفقر و الجهل و المرض، شرط أن تفهم النصوص الإسلامیّة فهما علمیّا منهجیّا فی العمق، من طریق مجموعات عالمیّة متخصّصة، کلّ فی حقل اختصاصه، ثم تنشر هذه النصوص بواسطة أجهزة إعلامیّة ذکیّة. حتی إذا تهیّأت الأرضیّة الصالحة الواعیة لهذه النصوص تقبّلتها النفوس بعیدا عن کلّ هوی و تشنّج! و بکلمة مختصرة نقول: حاشی للعزّة الإلهیّة أن تخلق الإنسانیّة و تترکها من دون کتب صیانة و وقایة و شفاء. و حاشی للعزّة الإلهیّة أن لا تضع فی کرتنا الأرضیّة ما یکفی لمنع الجوع و المرض عن الإنسانیّة بالغا ما بلغ تعدادها من أفراد، شرط أن یستعمل الإنسان عقله المفکّر وفقا لتعالیم خالقه، و هو الأعلم بمن خلق، لا وفق نزوات النّفس الأمّارة بالسوء و أهوائها التی یتّبعها أکثر الأفراد و المجتمعات فی أغلب بقاع الأرض.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۷

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ کَما کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ. أَیَّاماً مَعْدُوداتٍ، فَمَنْ کانَ مِنْکُمْ مَرِیضاً أَوْ عَلی سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیَّامٍ أُخَرَ، وَ عَلَی الَّذِینَ یُطِیقُونَهُ فِدْیَةٌ طَعامُ مِسْکِینٍ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ، وَ أَنْ تَصُومُوا خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ، وَ مَنْ کانَ مَرِیضاً أَوْ عَلی سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیَّامٍ أُخَرَ، یُرِیدُ اللَّهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَ لا یُرِیدُ بِکُمُ الْعُسْرَ، وَ لِتُکْمِلُوا الْعِدَّةَ، وَ لِتُکَبِّرُوا اللَّهَ عَلی ما هَداکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ.

(البقرة ۱۸۳- ۱۸۵) «الصوم جنّة من النار».

(حدیث شریف)

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۵۹

الفصل الخامس فی حکمة الصوم

۱- فی الصوم وقایة و علاج من الأمراض الجسدیّة

اشارة

لکلّ رکن من أرکان الإسلام حکمة یجب استنباطها و شرحها و وضعها فی متناول المکلّفین. فما فرض المولی من فریضة و ما نهی عن شیء إلا لحکمة بیّن العلم و الواقع و الإحصاءات أنها لخیر المکلّف و رحمة به. فالرّسالات السماویّة الحقّة ما هی فی جوهرها إلا لإصلاح النفس الإنسانیّة و المجتمعات تقدیرا من الخالق، و هو الأعلم بمن خلق، بأن الإنسان لن یستطیع الوصول إلی السعادة- هدف کلّ حیّ و غایته- بدون هدی منه.

من حکمة الصوم أنه وقایة و علاج للفرد و المجتمع من الفقر و الجهل و المرض، شرط أن تفهم النصوص القرآنیّة و الأحادیث الشریفة فهما علمیّا فی العمق، ثم تنشر و تعمّم علی المکلّفین بصورة منهجیّة و بواسطة أحدث وسائل الإعلام السمعیّة و البصریّة. فالإسلام فی جوهره علم و عقل و منطق و التزام، و الصوم فی حکمته وقایة و علاج من الفقر و الجهل و المرض، و هی آفات الأفراد و المجتمعات الإنسانیّة التی ترکت القانون الإلهی و اتّبعت قوانین الإنسان، و أهواء النفس الأمّارة بالسوء.

الصوم تقوی و خیر و یسر و هدی

- عرّفت النصوص القرآنیّة الصوم بأنه تقوی، أی وقایة و صیانة، و لکن

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۰

ممّ؟ من آفاتنا و أمراضنا الاجتماعیّة و النفسیّة و الجسدیّة. کما عرّف الحدیث الشریف الصوم بأنه «جنّة من النار»، أی وقایة من أمراضنا الاجتماعیّة و النفسیّة و الجسدیّة التی تقودنا إلی النار.

- و عرّفته بأنه خیر، بکل ما تحمل کلمة الخیر من أبعاد للذات و للغیر:

وَ أَنْ تَصُومُوا خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة ۱۸۴)، و «صوموا تصحّوا»، و نصحّ من ما ذا؟ من أمراضنا الاجتماعیّة و الجسدیّة و النفسیّة، لذلک فهو خیر.

- و عرّفته بأنه یسر بکل ما تحمل الکلمة من أبعاد: یُرِیدُ اللَّهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَ لا یُرِیدُ بِکُمُ الْعُسْرَ (البقرة ۱۸۵).

- و عرّفته النصوص أیضا بأنه هدی من الله، و الله لا یهدی إلا إلی ما فیه خیر الإنسان و الإنسانیّة لذلک وجب شکر المولی علی هذه الفریضة و الالتزام بها: وَ لِتُکَبِّرُوا اللَّهَ عَلی ما هَداکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (البقرة ۱۸۵).

۲- فی الصوم وقایة و شفاء من المرض

۱- فی الصیام وقایة و علاج من الأمراض الجسدیة،

شرط أن یلتزم المسلم بقواعد الطب القرآنی فی حقل التغذیة. و قد سبقت هذه القواعد العلوم الوضعیّة بقرون، إذ إن القاعدة القرآنیّة الأولی تنصّ علی أنه لا إسراف فی المأکل و المشرب، کما فی الآیة الکریمة: کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِیهِ فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِی، وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی (طه ۸۱)، و کذلک ما جاء فی قوله تعالی فی آیة ثانیة هی: وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ (الأعراف ۲۳۱). و فی الحدیث الشریف ما أثر عنه صلّی اللّه علیه و سلّم من قوله: «نحن قوم لا نأکل حتی نجوع و إذا أکلنا لا نشبع»، و «إنّ من السّرف أن تأکل کلّما اشتهیت»، و «ما ملأ آدمیّ وعاء شرّا من بطنه»، و «بحسب ابن آدم أکلات یقمن صلبه، فإن کان لا محالة فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث لنفسه»، و «قم عن الطعام و أنت تشتهیه»، و «لا تشبعوا فتطفئوا نور الحکمة من قلوبکم».

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۱

القاعدة القرآنیّة فی حقل التغذیة هی أن لا إقتار فی المأکل و المشرب.

فالإقتار فی المأکل و قهر النفس بحرمانها من طیّبات ما أحلّ الله بحجّة التقشّف، أو اتّباعا لمفهوم خاطئ عن التصوّف، هو مرفوض فی الإسلام مصداقا لقوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکُمْ وَ لا تَعْتَدُوا (المائدة ۸۷)، و قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَةَ اللَّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا خالِصَةً یَوْمَ الْقِیامَةِ کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (الأعراف ۳۲).

أمّا أن یتخم الصائم وقت الإفطار، لما امتنع عنه من طعام خلال ساعات الصوم، أو أن یکتفی بالقلیل القلیل منه اعتقادا خاطئا بأن فی هذا تقشّفا و تقرّبا إلی الله، فهذا لیس من حکمة الصیام فی شیء، لأنه المرض عینه. و قد وجدنا من خلال تجربتنا المهنیّة أن کثیرا من الذبحات القلبیّة و الدماغیّة، و أمراض التغذیة و الجهاز الهضمی، تکثر خلال شهر رمضان، عند الذین لم یلتزموا أو یعقلوا قواعد التغذیة فی الإسلام. إن ثلثی الوفیات فی العالم الیوم هی نتیجة تصلّب الشرایین، و فی طلیعة مسبّباته السمنة. فالسمنة مرض خفیّ ظاهر، و هی من المسبّبات الرئیسة لارتفاع الضغط الشریانی، و تصلّب الشرایین و الغضاریف، و الترسّبات الدهنیّة فی مختلف أعضاء الجسم و الکبد خاصة.

و فی الصیام الوقایة منها، شرط الالتزام بقواعد التغذیة التی ذکرناها أعلاه، لیس خلال شهر الصیام فقط بل طیلة أیّام السنة. إن الصیام خلال شهر رمضان، و فی أیّام التطوّع من بقیّة السنة، یجب أن یکون ممارسة و تعویدا للنفس کی تلتزم بهذه القواعد الوقائیة- الشفائیة طیلة أیّام السنة التی لا یکون المسلم فیها صائما.

و الإنسان الیوم ینفق الأموال الطائلة یومیّا ثمنا لإسرافه فی مأکله، و ثمنا للطبابة و الاستشفاء من السمنة و الأمراض المدمّرة الناتجة عنها. و لو أنه فهم حکمة الصوم و التزم بها و خصّص هذه الأموال لمحاربة الفقر و الجهل و المرض،

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۲

لخفف من آلامه و آلام الغیر، و لأسعد نفسه دنیا و آخرة. لکن الإنسان کان و لا یزال کما وصفه التنزیل الحکیم: ظَلُوماً جَهُولًا (الأحزاب ۷۲)، ظلوما لنفسه و لغیره لأنه فضّل القانون الوضعی علی القانون الإلهی رغم معرفته بهشاشة القوانین الأرضیّة.

و قد کشف علم السلوک الحیوانی أن الحیوان، و هو المسیّر من خالقه، یصوم دوریّا بصورة وقائیّة، و خلال مرضه. فکلّ عضو من الجسم بحاجة للراحة الدوریّة و کذلک الجهاز الهضمی. و لئن لم یبیّن الطب الیوم بالإحصاءات العلمیّة المنهجیّة إلا القلیل من الفوائد الصحّیّة الکامنة فی الصیام، فلأن الأبحاث العلمیّة تأتینا عادة مع الأسف من الغرب، و هم قلّ ما یمارسون هذا الرکن من العبادة، أو یجرون أبحاثا علمیّة فی فوائده. و لو أن القائمین علی أمور هذه الأمّة الإسلامیّة جنّدوا فریقا من الباحثین لدراسة مختلف وظائف أعضاء الجسم و مکوّنات الدم قبل الصیام و خلاله و بعده، لطلعوا علی العالم بدراسة علمیّة مذهلة عن فوائد الصیام الجسدیّة و النفسیّة! أمّا الأمراض التی تمنع من الصوم فلن ندخل فی تفاصیلها، إذ إن لکلّ حالة مرضیّة خصائصها. و علی المریض أن یسأل طبیبه التزاما منه بقوله تعالی:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ بِالْبَیِّناتِ وَ الزُّبُرِ (النحل ۴۳، ۴۴).

و الأفضل أن یکون الطبیب المسئول من الملتزمین العدول المطّلعین علی العلوم الدینیّة و الطبّیّة. ذاک أن کل مرض یتطلّب تغذیة معیّنة أو تناول الدواء بصورة دوریّة، أی عدّة مرّات خلال النهار، یعفی المریض من فریضة الصیام.

۲- فی الصوم وقایة من الأمراض النفسیّة

و فی طلیعتها الجهل. و الجهل لیس بالضرورة الأمیّة، فکم من أمّیّ لا یقرأ و لا یکتب هو فی الواقع من أعقل العاقلین. و الرسول الکریم، و هو الأمّیّ الذی لا یقرأ و لا یکتب، کان و لا یزال سیّد العاقلین و أعلم العالمین من الثّقلین، بفضل ما علّمه إیّاه ربّه من حکمة، و ما أوحاه إلیه من تنزیل.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۳

نحن نعرّف الجهل بأنه استسلام الإنسان لشهواته و أهوائه و نزوات نفسه الأمّارة بالسوء بالغا ما بلغ من علم. فکلّ علم لا یقرن بالحکمة، و هی الالتزام بطاعة الله و شکره، هو أقرب إلی الجهل منه إلی العلم الصحیح. و قدیما قیل:

علم بدون ضمیر مهلکة للنفس. فکثیر من المتعلّمین هم فی الواقع من أجهل الجاهلین، و هذه عیّنة من هؤلاء المتعلّمین الجاهلین:

- المشرّع الذی یسمح ببیع الخمرة و شربها رغم علمه بالمآسی الجسدیّة و النفسیّة و الاجتماعیّة و الاقتصادیّة التی أثبتتها الوقائع، و أبانتها الدراسات الإحصائیّة الیوم حول الإدمان. أ لیس هذا المشرّع بالجاهل؟ بل أ لا یعدّ من أخطر الجاهلین و هو من المتعلّمین؟ أو لیس هذا هو الجهل المرکّب: تجاهل المتعلّم؟

- المشرّع الذی یسمح بأکل لحم الخنزیر، و هو یعلم الیوم خطورة الأمراض التی یسبّبها أکل لحم الخنزیر، أ لیس بالجاهل أیضا؟

- المشرّع الذی یسمح بالإباحیّة الجنسیّة و الإجهاض الإجرامی، و بیع حبوب منع الحمل للقاصرات، رغم معرفته أن العلاقات الجنسیّة الآثمة تنقل أمراضا خطیرة و مآسی اجتماعیّة و نفسیّة لا حصر لها، أ لیس بالجاهل أیضا؟

- عالم الکیمیاء الذی یساهم فی صنع القنابل الفوسفوریّة، و قنابل الغاز السّامّ، أ لیس بالجاهل أیضا؟

- عالم الوراثة الذی یساهم فی صنع القنابل الجرثومیّة، و هی من أخطر الأسلحة التی ما زالت سرّا بین الدول الیوم، أ لیس بالجاهل و بالمجرم القاتل؟

- عالم الفیزیاء النظریّة الذی یساعد فی صنع القنابل الذّریة و الهیدروجینیّة و قنابل النیوترون، و القنابل الصوتیّة، أ لیس بالجاهل المجرم؟

- و بصورة عامة، العلماء من کلّ اختصاص من الذین یتسکّعون أمام باب کلّ صاحب سلطان جاهل، أ لیسوا بأجهل منه؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۴

لما ذا فعل هؤلاء ما فعلوا؟ اتّباعا لأهواء النفس الأمّارة بالسوء؟ أم سعیا وراء کسب مادّی؟ أم تسکّعا علی باب سلطان؟ أم لشهرة؟ و لو أنهم سیّدوا العقل علی أنفسهم لما فعلوا ما فعلوه، و لما أوصلوا الإنسانیة إلی دیاجیر الجهل و الظلام التی تتخبّط فیها الیوم! لذلک فنحن نعرّف العلم الصحیح بأنه کلّ علم یقی الإنسان آفاته الجسدیّة و النفسیّة و یمنعها عنه، و نعرّف الجاهل بأنه کلّ عبد لأهوائه و نزواته، رغم معرفته بضرر هذه الأهواء و النزوات، و نعرّفه بالإنسان غیر المؤمن.

و النفس الإنسانیّة إذا لم یکن العقل سیّدها و مسیّرها، هی مصدر کلّ الأهواء و النزوات التی تجعل من الإنسان جاهلا! و انطلاقا من هذه الرؤیة فی تعریف العلم و الجهل نجد أن الصوم هو من أنجع الوسائل فی السیطرة علی هذه النفس الجاهلة الأمّارة بالسوء، و التی وصف الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم جهادها بأنه جهاد أکبر بقوله: «جئتم من الجهاد الأصغر إلی الجهاد الأکبر، قالوا: و ما الجهاد الأکبر یا رسول اللّه؟ قال: جهاد النفس»، و قوله: «جاهدوا أهواءکم کما تجاهدون أعداءکم». فالصوم علاج للجهل، لأن من شروطه الأساسیّة صوم اللّسان و القلب و الجوارح عن کلّ ما یسیء إلی أنفسنا و إلی الغیر، لیس خلال شهر رمضان فقط، و إنما طیلة أشهر السنة، حتی یظلّ المسلم قائد نفسه و المسیطر علیها. و بهذا یکون الصوم علاجا للجهل أی شفاء من نزوات النفس، و هی وراء کلّ جهل و ظلم. فالجهل هو تغلیب النفس علی العقل، و فی کلّ صوم حقیقیّ یکون العقل سیّد النفس، و کذلک یجب أن تظلّ الحال.

و الأحادیث الشریفة فی ذلک کثیرة، منها:

- «لیس الصیام من المأکل و المشرب فقط، و إنما الصیام من اللّغو و الرفث، فإن سابّک أحد أو جهل علیک فقل: إنی صائم».

- «من لم یدع قول الزّور و العمل به فلیس للّه حاجة فی أن یدع طعامه و شرابه».

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۵

- «إذا کان یوم صوم أحدکم، فلا یرفث و لا یصخب، فإن سابّه أحد فلیقل: إنی صائم».

- «ربّ صائم حظّه من صیامه الجوع و العطش، و ربّ قائم حظّه من قیامه السهر».

کیف نفهم شهر رمضان

نحن نفهم شهر رمضان من خلال تعریف المولی له بقوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ، وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ.

نفهمه علاجا للجهل، نفهمه شهر ندوات و محاضرات علمیّة فی الإذاعة و التلفزة و المساجد و الأندیة الثقافیّة، یحاضر فیها علماء فی مختلف فروع العلم و یتناولون فیه المعانی الکامنة فی کتاب اللّه العظیم، و فیه تبیان کلّ شیء.

نحن نفهم شهر رمضان شهر عبادة، و طلب کلّ علم مفید هو من أرقی درجات العبادة. فلقد مرّ الرسول علیه الصلاة و السلام علی مجلسین فرأی أحدهما یدعو اللّه سبحانه و تعالی، و رأی الثانی یعلّم الناس فیه فقال: أمّا هؤلاء فیدعون اللّه تبارک و تعالی و یرغبون

إليه، فإن شاء أعطاهم و إن شاء منعهم، و أما هؤلاء فيعلّمون الناس، فرغب عن المجلس الأوّل و جلس مع أهل المجلس الثانی و قال: «إنما بعثت معلّما». و الأحاديث فی فضل العلم كثيرة منها:

- «اغد عالما أو متعلّما أو مستمعا أو محبّا و لا تكن الخامس فتهلك».

- «الناس اثنان: عالم و متعلّم. و ما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ بهم الله».

- «طلب العلم فريضة علی كلّ مسلم و مسلمة».

- «فقيه واحد أشدّ علی الشيطان من ألف عابد».

- «من خرج فی طلب العلم فهو فی سبيل الله حتی يرجع».

- «من طلب العلم كان كفّارة لما مضی».

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۶

- «من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

- «الكلمة الحكمة ضالّة الحكيم فحيث وجدها فهو أحقّ بها».

- «نضّر الله عبدا سمع مقالتی فحفظها و وعاها و أدّاها، فربّ حامل فقه غير فقيه، و ربّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه».

- «نضّر الله امرأ سمع منّا شيئا فبلّغه كما سمعه، فربّ مبلّغ أوعی له من سامع».

- «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلی الجنّة، و ما اجتمع قوم فی مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، و غشيتهم الرحمة، و حفّت بهم الملائكة، و ذكرهم الله فيمن عنده. و من بطأ به علمه لم يسرع به نسبه».

أما أن يغدو شهر رمضان كما يفهمه بعضهم اليوم مع الأسف، شهر المآدب السخيّة يدعی إليها الأغنياء و يحرم منها الفقراء، شهرا يتحضّر له الصائمون بكلّ ما لذّ و طاب من مأكل و مشرب ليملئوا به شرّ وعاء من أذان المغرب إلی الفجر، فهذا ليس من الصيام فی شیء.

و فی الصوم وقاية و شفاء من عقدنا النفسيّة، و فی طليعتها عقد الحرص و الشّحّ. فشهر رمضان هو شهر الزكاة و الإحسان، و الصيام وقاية و شفاء من عقد التعالی و الغرور. ففريضة الصوم، كبقيّة أركان الإسلام، تساوی بين جميع المكلّفين و تجعلهم سواسية أمام الخالق فی أداء هذا الركن. و الصوم وقاية و شفاء من عقدة العجل و التسرّع و حرقة الطلب، فهو يحوّل هذه العقد إلی فضيلة الصبر، و هی من كبريات الفضائل: «الصوم هو نصف الصبر، و شهر رمضان هو شهر الصبر». و الصوم وقاية و شفاء من عقد النقص و الحرمان المادّی التی تتحوّل غالبا إلی عقد شراسة و تهديم و إيذاء للذات و للغير. و بواسطة الصوم- و هو إحسان و بذل و عطاء مادّی و معنویّ- نمحو الكثير من هذه العقد النفسيّة الهدّامة. و الصوم وقاية و شفاء من عقدنا الجنسية. و قد أثبت الواقع أن

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۷

الصيام يخفّف الشهوة الجنسيّة. و فی الحديث الشريف: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر و أحصن للفرج، و من لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له و جاء».

و عند ما يتخلّص الإنسان من عقده النفسية يشفی من القلق النفسی المرضی الذی يلفّ المجتمعات غير المؤمنة. فالإنسان نفس و عقل و روح، و المولی سبحانه و تعالی جعل من العقل سيّدا علی النفس. و الروح، سرّ المولی فی الخلق و مفتاح الإحساس بالسعادة أو الشقاء، لا تسعد إلا إذا اتّبع الإنسان تعاليم خالقها و مالك سرّها. و خلال الصوم يكون الصائم، قبل الإفطار و بعده و فی كلّ أيّام السنة و شهورها، إذا فهم معانی الصوم و التزم بها، سيّدا علی نفسه و نزواتها و رغباتها و ليس عبدا لها، و بذلك يكون فی الصوم العلاج الشافی من القلق. و الصوم، عند ما تفهم معانيه فی العمق و يلتزم بها الصائم، يصل بنا إلی أرقی درجات الطمأنينة و السعادة و الصفاء

الجسدی و الفکری و النفسی. فالإنسان لا تسعد روحه أو یرتاح جسده إلا إذا جعل من عقله سیّدا علی نفسه، و هذا هو فی الحقیقة مفهوم الصیام. و کلّ صائم لا یشعر بهذه السعادة و الطمأنینة خلال صیامه علیه أن یفتّش عن الخلل فی صیامه، فربما لم یفهم معانی التقوی و الخیر و الیسر و الهدی الکامنة فی الصوم أو یحسن تطبیقها مصداقا لقول الحبیب المصطفی علیه الصلاة و السلام: «رب صائم لیس له من صیامه إلا الجوع و العطش، و ربّ قائم لیس له من قیامه إلا السهر».

۳- فی الصوم علاج للفقر

لا فقر و لا جهل و لا ظلم و لا قلق فی الإسلام، شرط فهم النصوص و الالتزام بها. لذلک نحن نفهم الصوم علی أنه علاج للفقر. لأن من معانی الصوم و حکمته إنفاق ثمن ما أمسکنا عنه من مأکل و مشرب فی النهار علی الفقراء و المعوزین من الناس، لا أن نتخم المعدة وقت الإفطار بما امتنعنا عن

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۸

أکله خلال النهار. و بحساب بسیط: فی لبنان ما یقرب من ملیونی مسلم، أربعون فی المائة منهم من المکلّفین شرعا، فلو دفع کلّ واحد منهم ثمن ما امتنع عنه من طعام خلال شهر رمضان علی أساس خمسین لیرة فی الیوم الواحد، لتوفّر مبلغ ملیار لیرة تقریبا للمعوزین من الفقراء، فکیف إذا التزمت أمّة الملیار نسمة من المسلمین بهذه الوسیلة الوقائیّة من الفقر و التی هی من حکمة الصوم؟

و إننا نقترح وجوب إنشاء صندوق خاص بشهر رمضان مستقلّ عن صندوق الزکاة فی کل بلد من البلاد الإسلامیة، تتولّی أمره هیئة تنظیمیّة هی علی صلة ببقیّة الهیئات القیّمة علی تنظیم هذا المشروع، و توزّع مداخیله علی المعوزین، و بذلک نمنع الفقر عملیّا. و إذا لم یساهم کلّ مسلم قدر إمکاناته و مأکله فی هذا الصندوق، فهو مسئول أمام الله لأنه لم یساعد فی منع الفقر الذی یعانی منه إخوانه فی الدین و الإنسانیّة. و فی الحدیث الشریف: «من أصبح و لم یهتمّ بأمر المسلمین فلیس منهم». حبّذا لو تبنّی المشرّعون عندنا هذا الاقتراح، و نحن لا نطلقه جزافا، و إنما استنادا إلی آیات کریمة و أحادیث شریفة. و نقرأ فی کتاب الله الکریم: یُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ یَخافُونَ یَوْماً کانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیراً. وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً. إِنَّما نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزاءً وَ لا شُکُوراً. إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا یَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِیراً. فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِکَ الْیَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً. (الإنسان: ۷- ۱۱). و جاء فی أسباب نزول هذه الآیات أن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب، سلام الله علیه و رضی الله عنه و أرضاه، کان و زوجته صائمین، فوقف علیهما مسکین وقت الإفطار قائلا: أطعمونی أطعمکم الله من الجنّة. فآثراه علی نفسیهما و لم یذوقا إلا الماء، و أصبحا صائمین. فلمّا أمسیا فی الیوم الثانی و وضعا الطعام وقف یتیم، فآثراه علی نفسیهما. و جاءهما أسیر فی الیوم الثالث ففعلا مثل ما فعلاه فی الیومین السابقین. فنزلت الآیة الکریمة أعلاه.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۶۹

و فی الآیة الکریمة التالیة، من سورة النور، و هی سورة مفروضة بأحکامها من المولی: سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَ فَرَضْناها ... (النور ۱) ما یکفی لمنع الجوع إذا التزم المسلمون بها، و ذلک فی قوله تعالی: لَیْسَ عَلَی الْأَعْمی حَرَجٌ وَ لا عَلَی الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَی الْمَرِیضِ حَرَجٌ وَ لا عَلی أَنْفُسِکُمْ أَنْ تَأْکُلُوا مِنْ بُیُوتِکُمْ أَوْ بُیُوتِ آبائِکُمْ أَوْ بُیُوتِ أُمَّهاتِکُمْ، أَوْ بُیُوتِ إِخْوانِکُمْ أَوْ بُیُوتِ أَخَواتِکُمْ، أَوْ بُیُوتِ أَعْمامِکُمْ أَوْ بُیُوتِ عَمَّاتِکُمْ، أَوْ بُیُوتِ أَخْوالِکُمْ أَوْ بُیُوتِ خالاتِکُمْ، أَوْ ما مَلَکْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِیقِکُمْ، لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْکُلُوا جَمِیعاً أَوْ أَشْتاتاً، فَإِذا دَخَلْتُمْ بُیُوتاً فَسَلِّمُوا عَلی أَنْفُسِکُمْ تَحِیَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَکَةً طَیِّبَةً، کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (النور ۶۱). فلکلّ هؤلاء الذین عدّدتهم الآیة الکریمة الحقّ المشروع من المولی بأن یأکلوا إذا جاعوا من بیت کلّ ذی صلة رحم بهم، ابتداء من أقرب صلات الرحم بهم، أی بیوت أولادهم، حتی أبعدها أی بیوت خالاتهم. فإذا انعدمت صلة الرحم، حقّ لهم المأکل من بیت صدیقهم، و إذا انعدم الصدیق فمن بیت مال المسلمین، فأین القوانین الوضعیّة الیوم من کمال هذا القانون الإلهی؟ یکفی التذکیر بأن ربع

الإنسانیّة الیوم جائع. و فی الولایات المتّحدة الأمیرکیّة بالذات عشرات الملایین من الذین یعانون من الجوع، علما بأن المصروف الیومیّ لحاملة طائرات واحدة هو ملیون دولار فی الیوم! و فی الحدیث القدسی: «إنّ ربکم یقول: کلّ حسنة بعشر أمثالها إلی سبعمائة ضعف، و الصوم لی و أنا أجزی به.». و لا یکون الصوم حقّا للمولی و لا یجزینا به، بحسب مفهومنا، إلا إذا أنفق الصائم ثمن ما أمره المولی بأن یمتنع عنه من مأکل خلال الصیام علی الفقراء من عیاله. و قد حضّ علی ذلک فی حدیث قدسیّ آخر بقوله: «المال مالی و الفقراء عیالی، و الأغنیاء وکلائی، فما یضرّ وکلائی إن أنفقوا من مالی علی عیالی؟».

و نذکّر أخیرا بما جاء عن السّلف الصالح، إذ روی أنّ ابن عمر، رضی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۰

الله عنهما، مرض یوما، فوصف له الطبیب سمکة، فأمر خادمه بإعطائها إلی بائس وقف ببابه. و لمّا رجع الخادم بالسمکة قائلا لابن عمر رضی الله عنهما: أعطیته درهمین ثمنها و استبقیتها لک فأنت مریض و بحاجة لأکلها، کان قوله المأثور: أعطه السمکة، و لا تأخذ منه الدرهمین، فإنّی سمعت رسول الله علیه الصلاة و السلام یقول: «أیّما امرئ اشتهی شهوته فردّ شهوة و آثر علی نفسه إلا غفر له».

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۱

القسم الرابع فی علم التشریح و وظائف الأعضاء

اشارة

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۳

وَ اللَّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (النحل ۷۸) «عن أنس بن مالک رضی الله عنه قال: سمعت النبی صلّی الله علیه و سلم یقول: إن الله قال: إذا ابتلیت عبدی بحبیبتیه فصبر، عوّضته منهما الجنّة، یرید عینیه».

(رواه البخاری) من ابتلی بفقد السمع فابتلاؤه موعظة، و تعریف بقدر نعمة الله فی خلقه، و لینال بصبره علی ذلک حظّا فی الآخرة.

«أحد الحکماء»

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۵

الفصل الأول أعضاء الحواس

۱- السمع و آلته وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ

اشارة

قرن المولی فی ست عشرة آیة کریمة السمع و البصر، و فی جمیع هذه الآیات تقدّمت کلمة السمع علی البصر، کما أن کلمة السمیع و هی من صفات الله جلّ جلاله، ما وردت مقرونة بصفتی العلیم أو البصیر إلا و تقدّمت علیهما.

و ما ظنّه الجاهلون و المغرضون تکرارا و ترددا فی الآیات، ما هو فی الحقیقة إلا تنبیه للباحث کی یتدبّر المعانی العمیقة الکامنة فی هذه الآیات من المتشابه، التی یشرح بعضها بعضا و یکمّل بعضها الآخر.

لما ذا تقدّم ذکر السمع علی البصر فی القرآن الکریم؟

بعض مراجع علم الجنین (راجع فی ذلک الموسوعة الطبّیّة الفرنسیّة- مبحث الأذن) تقدّم بدء تخلّق السمع علی البصر، فتجعله فی الأسبوع الثالث للحمل، و تجعل بدء تخلّق العینین فی الأسبوع الرابع. و ربما کانت هذه المراجع هی الأصحّ، و الله أعلم. و فی مراجع أخری أن تخلّق حاسّة السمع یبدأ فی الأسبوع الرابع من الحمل، و ینتهی فی الشهر الرابع من بدئه.

و الحمیل یسمع و ینفعل مع الأصوات الخارجیّة و الداخلیّة، کضربات قلب

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۶

والدته، منذ الشهر السادس من عمره، و لکنه لا یعقلها. أمّا حاسّة البصر فیبدأ تخلّقها منذ الأسبوع الثالث، و ینتهی فی أواخر الشهر السادس.

و القدرة علی الإبصار و تمییز الأشیاء تبدأ فی الشهر الثالث من العمر. أمّا ما کتبه بعضهم بأن الحمیل یعقل الأصوات التی یسمعها، و یمیّز بینها منذ الشهر السادس للحمل، فما هو فی الحقیقة إلا انعکاس مشروط (reflexconditionne) و لیس فیه شیء من المعرفة. ففی قوله تعالی، و هو الکلمة الفصل فی صحّة العلوم، ما یعارض هذه النظریّات العلمیّة؛ وَ اللَّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (النحل ۷۸).

و من الوجهة الوظیفیّة فإن حاسّة السمع أهمّ من حاسّة البصر فی تنمیة القدرات العقلیّة و الشعوریّة عند الطفل. فمن الأسباب الرئیسة (۳۰٪ بحسب الإحصاءات) للتخلّف العقلی الخلقی و المکتسب تعطّل آلة السّمع عند المولود و الطفل. أمّا فقدان البصر فی الطفولة فنادرا ما یصحبه تخلّف عقلیّ، بل إن کثیرا من العباقرة فی الأدب و الفنون هم ممّن فقدوا نعمة النظر منذ طفولتهم.

و جهاز السمع هو من الدقّة و التعقید و الإعجاز فی الصنعة، بحیث إننا لا نرید أن نضیع القارئ فی متاهات التفاصیل الخاصّة بالمتخصّصین. و لکن یکفی التذکیر بأن الأذن تستطیع أن تمیّز بین أربعین ألف لحن مختلف فی الشدّة و التواتر، تنقلها الأذن الخارجیّة و الوسطی إلی الأذن الداخلیّة التی تحوّلها إلی سیّالة عصبیّة، ینقلها عصب السّمع إلی الجهاز العصبی المرکزی، الذی یقوم ببرمجتها و حلّ رموزها و عقلنتها، ثم تتصرّف بقیّة أجهزة الجسم وفقا لمضامینها. و کلّ ذلک لا یتطلّب إلا بضعة أجزاء من الثانیة الواحدة. و سنکتفی هنا بالخطوط الرئیسة لحاسّة السمع من الوجهة التشریحیّة و الوظیفیّة:

من الوجهة التشریحیّة تبدأ حاسّة السمع بالأذن الخارجیّة و تنتهی فی الدماغ. و بصورة مبسّطة جدّا، تتألّف حاسّة السمع من الأذن الخارجیّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۷

ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ مختلف مراحل تخلّق الأذنین عند الجنین منذ الأسبوع الرابع من أدعیة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «سجد وجهی للّذی فطره و شقّ سمعه و بصره». و فی علم الجنین یبدأ تخلّق الأذنین و العینین بشقّ منذ الأسبوع الرابع لحیاة الجنین. فمن علّم الرسول الکریم علم تخلّق الجنین؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۸

و الوسطی و الداخلیّة التی تنتهی بعصب السمع، الذی یحوّل الذبذبات الصوتیّة إلی سیّالة عصبیّة، یتولّی مرکز السمع الدماغی تحویلها إلی لغة مفهومة. و کلّ ذلک یحصل فی بضعة أجزاء من الثانیة کما أسلفنا. و أقسام الأذن الرئیسة هی التالیة:

الأذن الخارجیّة: و تتألّف من ثلاثة أقسام: الصیوان (Pavillon)، و القناة السمعیّة الخارجیّة (Conduitauditifinterne)، و الغشاء الطبلی أو طبلة الأذن (TymPan).

الأذن الوسطی: و هی حجرة عظمیة صغیرة تحتوی علی ثلاث عظیمات تسمّی بحسب شکلها: المطرقة (Marteau)، و الرکابة (Etrie)، و السندان (Enclume)، تربطها ببعضها أربطة و عضلات فی منتهی الصغر. و تتّصل الأذن الوسطی مع البلعوم بواسطة نفق یسمّی نفیر أوستاش (TrompedEustache)، کما تتصل مع الأذن الداخلیة بواسطة الفتحة البیضیّة (fenetreovoide) و

الفتحة الدائريّة (fenetreronde)، و تتّصل مع الأذن الخارجيّة بغشاء طبلة الأذن.

الأذن الداخليّة: هی بشكل قوقعة عظميّة، و تسمّی أيضا بالحلزون (Limacon). حجمها لا يتجاوز نصف السم المكعب. تتفرّع منها ثلاثة إطارات عظميّة غير كاملة هی الأقنية الهلاليّة (Canauxsemi -circulaires).

و فی داخل القوقعة سائل لمفاوىّ يسبح فيه ما يقرب من مائة ألف خليّة سمعيّة، تؤلّف عصب السمع الذی ينتهی فی الدماغ، كما يحيط بالقوقعة سائل آخر.

- أما من الوجهة الوظيفيّة لحاسّة السمع، ففی ما كتبه الشيخ نديم الجسر فی كتابه الرائع «قصّة الإيمان بين الفلسفة و العلم و القرآن» عن وظيفة حاسّة السمع، منتهی البلاغة اللغويّة و العلميّة بأسلوب سهل ممتنع. لذلك ننقل منه ما جاء فی الصفحات ۳۹۴- ۳۹۷، جزاه الله كلّ خير عمّا جاء فی كتابه هذا، و الذی ننصح بقراءته كلّ مسلم و مسلمة، و كلّ من يتلمّس طريق الإيمان العلمیّ الثابت:

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۷۹

وَ جَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَ أَبْصاراً وَ أَفْئِدَةً انتهاء تخلّق الأذن فی الشهر السادس من الحمل ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۰

و باختصار أقول لك إنه لو لا هذه الترتيبات المحكمة التی تسير من البوّابة الخارجيّة التی تسمّی (الصيوان)، إلی (الصماخ السمعی)، إلی (الغشاء الطبلی)، إلی (الأذن المتوسطة)، إلی (الأذن الباطنة)، و تنتهی عند أعصاب السمع، لما أمكن وصول الأصوات إلی الدماغ بشكل محتمل أو مفهوم أبدا.

فكلّ هذه الغضاريف المعرّجة و الدهاليز المعوجّة، و القاعات المتداخلة و الأقنية المتواصلة، و الغشاءات المشدودة، و الكوى المسدودة، و العظميّات المعلّقة، و الصفائح المطرّقة، و السلالم النازلة الصاعدة، و المياه السائلة الراكدة، و الأكياس الرقيقة، و الأحجار الدقيقة، إنما خلقت و أحكمت لأجل ترقية توزيع الاهتزازات الصوتيّة علی وجه يضعف قويّها و يقوّی ضعيفها، ليتّقی الجهاز السمعی كلّ رجّة و صدمة، و يشعر الإحساس بألطف نغمة و أضعف نأمة.

الأذن الداخلية، القوقعة أو الحلزون، حيث تتحوّل الاهتزازات الهوائيّة التی تنقل الأصوات إلی سيالة عصبيّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۱

إذا كنت لا تؤمن بالمصادفة، فاسأل خلايا المضغة التی صنعت الأذن.

فإنها، علی ما يظهر، عاقلة و مدركة و حكيمة و عالمة بطبائع الأشياء و خواصّها و النواميس و أسرارها «۱».

إن الأصوات تأتی إلينا بتموّجات الهواء، و إن هذه التموّجات منها الشديد الحادّ القاسی، و منها الضعيف الواهن الليّن، و منها ما يقع عموديّا، و منها ما يأتی جانبيّا. فخلقت صيوان الأذن، و جعلته غضروفيّا بين العظم و اللّحم.

و جعلت فيه طيّات و ليّات ليتلقّی أمواج الصوت، و يعكسها من طيّة إلی ليّة، و يوصلها إلی الصماخ ...

و علمت أن الرياح التی تحمل الصوت قد تكون عنيفة هو جاء، و قد نحمل معها المؤذيات من غبار و تراب و حشرات فجعلت الصماخ معوجّا متقوّسا نحو الأعلی، و جعلت فی فمه سياجا من الشّعر، و فی باطنه دبقا أصفر شمعيّا، ليتّقی بعوجه صدمة الرياح، و بسياجه و دبقه المؤذيات، فلا تصل إلی غشاء الطبلة الرقيق الواهن.

إن بعض الأصوات تكون و جسا أو همسا، فجعلت من الصماخ بشكله الكهفی المملوء لتقوية الصوت و مضاعفته (بالتصدية) علی النحو الذی نسمعه فی الحمّامات و الكهوف من ضجّة الصوت الضعيف برجع الصدی.

و علمت أن الغشاء المتوتّر كالطبل هو أفضل الأجسام الصلبة فی إيصال الصوت، فخلقت غشاء الطبلة، و غشاء الكوّة البيضيّة، و الأغشية الأخری فی الأذن الداخليّة.

و علمت أنه إذا تثبّت جسم صلب صغير فی طرف غشاء مشدود متوتّر،

(۱) لاـ یخفی ما فی هذا الأسلوب من تهکّم و سخریة علی من ینسب روعة الخلق إلی المصادفة. فکأن الکاتب یجاریه فی منطقه إظهارا لسخفه و استمالته.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۲

أوصل الاهتزازات الصوتیّة علی وجه أفضل، فخلقت سلسلة العظیمات الثلاث و ربطتها بین غشاء الطبلة و غشاء الکوّة البیضیّة.

و علمت أن کلّ جسم صلب محاط بوسط مختلف عنه فی الجوهر، یرسل الاهتزازات فی جوهره بأشدّ ممّا یرسلها فی الوسط المحیط به، فجعلت العظیمات الثلاث معلّقة فی الهواء، یحیط بها و یفصلها عن عظام الرأس.

و فعلت مثل ذلک فی الصفیحة اللّولبیّة، فأحاطتها بسائل مختلف عنها فی الجوهر کی لا تنتقل الاهتزازات السّاریة فی العظیمات و الصفیحة اللولبیّة إلی عظام الخوذة و تتبدّد فیها.

و علمت أن سلسلة العظیمات قد تصاب بما یعطّل عملها فی نقل الصوت من غشاء الطبلة إلی غشاء الکوّة البیضیّة، فخلقت الکوّة المستدیرة، و غطّتها بغشاء یساعد علی إیصال الصوت إلی الأذن الداخلیّة، و جعلت لکلّ کوّة من الکوّتین طریقا سلّما فی داخل القوقعة.

و علمت أن الشکل الحلزونی اللّولبی هو الشکل الأصلح لانتشار الألیاف العصبیّة السمعیّة علی مساحة متّسعة، ضمن جسم صغیر فی حیّز ضیّق، فخلقت القوقعة و جعلت فیها القناة اللّولبیّة سلّمین مستطرقین، یصعد أحدهما الدهلیزی من الکوّة البیضیّة، و ینزل ثانیهما الطبلیّ إلی الکوّة المستدیرة، و جعلت فی القناة اللولبیّة هذه الصفیحة اللّولبیّة العظمیّة الغشائیّة التی تفرز سائل اللّمفا.

و علمت أن بعض الأصوات تأتی من الخوذة، فخلقت القنوات الهلالیّة لتساعد علی جمع التموّجات الصوتیّة الآتیة من الخوذة، و توجّه سیر الأصوات بحسب اتّجاه تجاویفها المنحنیة، و توصلها إلی أعصاب السمع المنتشرة فی سوائلها و سوائل القوقعة. و خلقت الزقّین الغشائیّین المملوءین باللّمفا، و جعلت فی أحدهما الحجرین الأذنیّین المتبلورین لیزیدا بصداهما شدّة الهزّات الصوتیّة.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۳

و علمت فوق ذلک، تلک الخلایا العاقلة المدرکة، أن للهواء ضغطا خارجیّا عنیفا طاغیا یؤذی غشاء الطبلة، إن لم یقابل من داخل الأذن الوسطی بهواء یعادله و یقاومه، و یحفظ الموازنة فی ضغط الهواء و حرارته- کما تعلم ذلک من نفسک إذا حصل لک زفیر أو شهیق غائر طویل، و کان الأنف و الفم مسدودین، فیتوتّر الغشاء الطبلی، و یتحدّب نحو الخارج عند الزفیر، و نحو الباطن عند الشهیق فیتشوّش السمع- فخلقت بوق «أوستاکیوس»، و أدخلت منه الهواء إلی الأذن الوسطی، و جعلت من هذا البوق فی الوقت نفسه موضحا للأصوات کما توضح ثقوب الآلة الموسیقیّة أصواتها، و جعلته منفذا للمخاط الذی یفرز من باطن الطبلة. أ لیست عاقلة مدرکة حکیمة علیمة قدیرة، یا حیران، تلک الخلایا، حتی استطاعت أن تعرف کلّ هذه الأسرار و الطبائع و النوامیس التی عرفها العلماء الیوم، بعد أن مضی علی خلق الإنسان حین من الدهر، فخلقت جهاز الأذن المعقّد علی مقتضی هذه الاسرار؟ و تبّا للغافلین الذین لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لا یُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْمَعُونَ بِها، أُولئِکَ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ (الأعراف ۱۷۹).

۲- البصر و آلته أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ

۱- العین

هذه الکرة الأعجوبة من بدء التکوین إلی نهایة التخلّق هی من أروع آلات التصویر، و أصغرها و أعقدها، و أدقّها ترکیبا و عملا و صیانة. ففی طبقة واحدة من طبقات شبکة العین یوجد خمسمائة ملیون خلیّة بصریّة تسمّی العصیّات و المخاریط (۱۵۰ ملیون خلیّة

بصریّة من نوع العصیّات فی السنتیمتر المربّع، و ۸ ملایین خلیّة بصریّة من نوع المخاریط فی السنتیمتر المربّع).

و وظیفتها نقل مختلف الألوان التی یتکوّن منها طیف الضوء، ثم تحویلها إلی سیّالة عصبیّة ینقلها عصب البصر المؤلّف من نصف ملیون لیف عصبی تقریبا

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۴

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّی الأسبوع الرابع (۴ ملم) الأسبوع الخامس (۸ ملم) الأسبوع الثامن (۳ ملم) الأسبوع العشرون (۲۱ ملم) مختلف مراحل تخلّق الوجه و الرأس و تسویته بفعل مورثات البناء و الترکیب و التسویة و الشکل فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ ...

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۵

إلی مرکز البصر فی الدماغ الذی یحوّلها صورا مرئیّة. و یتم کلّ ذلک بصورة سریعة جدّا. و یکفی التذکیر بأن الإنسان یستطیع قراءة خمسمائة کلمة فی الدقیقة. فالعینان تتنقّلان بدون أن نشعر، من کلمة إلی أخری بالسرعة المذهلة التی تقدّر بربع ثانیة تقریبا. و ربما هکذا أمر الساعة، و الله أعلم، من قوله تعالی وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ (النحل ۷۷).

أمّا قدرة العین علی التمییز و الرؤیة بحسب قوة النور، فإن درجة حساسیتها تتراوح ما بین الحدود الدنیا و الحدود القصوی فی رؤیة الأشیاء، و تبلغ ۲۰ ملیون ضعف تقریبا.

و یقوم علی خدمة هذه الصنعة الإلهیّة العجیبة التی لا یتجاوز وزنها رسم توضیحیّ مبسّط لطبقات العین

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۶

ثمانیة غرامات، سبع عضلات، و ثلاثة أعصاب محرّکة، و ثلاثون شریانا و ورید مغذّیا. و لو اجتمع علماء الدنیا و تعاونوا علی أن یأتوا بآلة کهذه لعجزوا حتی قیام الساعة، بل إنهم لا یستطیعون أن یبدلوا جزءا صغیرا منها هو القرنیّة، و هی القسم الأمامی الشفّاف منها، إلّا بقرنیّة أخری من صنع المولی. و أکثر العملیّات الناجحة فی زرع الأعضاء، کالقرنیّة و الکلیتین و القلب و غیرها، لا تکون إلا باستبدال أعضاء من خلق الله، و لیس من صنع الإنسان.

أما من الوجهة التشریحیّة التفصیلیّة، و بصورة مبسّطة جدّا، فالعین غرفة مظلمة مؤلّفة من ثلاثة أغشیة أو طبقات (Couches) و ثلاث رطوبات (Humeurs)، هی من الخارج إلی الباطن کالآتی:

- الطبقة الخارجیّة أو الصلبة (Sclerotique): و هی غشاء لدن متین ظلیل یحیط بباقی الطبقات و الرطوبات لوقایتها و حفظها، و لا ینفذ النور من هذه الطبقة إلا فی مقدّمتها، حیث توجد القرنیّة (Cornee)، و هی غشاء شفّاف محدّب من الخارج مقعّر من الداخل.

- الطبقة الوسطی أو المشیمیّة (Choroide): و هی الطبقة المغذّیة للعین، و یفصلها عن القرنیّة من الأمام الرطوبة المائیّة (humeuraqueuse) (التی تتألّف من سائل صاف شفّاف، موضوع فی غرفة یحدّها من الأمام القرنیّة، و من الخلف حجاب ملوّن یسمّی القزحیّة (Iris)، و فی وسطه ثقب یسمّی البؤبؤ (PuPelle)، یلیه مباشرة الرطوبة الثانیة أو البلّوریة (Cristallin)، و هی جسم لدن أملس شفّاف کالعدسة المحدّبة من وجهیها.

- الطبقة الداخلیّة أو الشبکیّة (Laretine) (: و هی مکوّنة من الخلایا البصریّة، و یفصلها عن القزحیّة الرطوبة الثالثة أو الزجاجیّة (humeurvitree)؛ و هی جسیم شفّاف لزج کبیاض البیض.

أما من الوجهة الوظیفیّة للعین، ففی ما کتبه أیضا الشیخ ندیم الجسر فی

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۷

کتابه «قصّة الإیمان» منتهی الروعة و البلاغة العلمیّة، لذلک ننقله حرفیّا (من صفحة ۲۰۲ إلی صفحة ۲۰۴) فیما یلی:

و لمّا کان العامل برسم صور المرئیّات فی العین هو النور الواقع علی المرئیّات و المنعکس عنها، و کان للنور نوامیس و قوانین خاصّة

معلومـة فی انعکـاسه و امتصاصه و نفوذه و تجمّعه و انتشاره، یتعـذّر معها الإبصار ما لم تؤلّف العین و تجهّز علی وجه یتلاءم مع تلک النوامیس، فقـد قضت حکمـة الخلّـاق العلیم أن تؤلّف العین من تلک الطبقات و الرطوبات المختلفـة. و إیضاح ذلک أنه إذا وقع النور علی المرئیّات انعکس عنهـا، و دخلت خطوطه العین، و رسـمت علی الشـبکیّة صور المرئیّات، و هی تؤدّیها إلی الـدماغ، و لکنّ النور بانعکاسه عن المرئیّ تکون خطوطه مسـتقیمة، و لو بقیت سائرة بدون تجمّع لوصـلت إلی الشـبکیّة منتشـرة متباعدة، فترسم الصورة غیر واضـحة. فـدبّرت الحکمـة الإلهیّـة أنه فی أوّل ما یـدخل النور العین، یلاقی القرنیّـة و ینفـذ منها، و هی لتحدّب وجهها، و تقعّر وجهها الـداخل، تجمع خطـوطه بعض الجمع، ثم ینفـذ النور من الرطوبـة المائیّـة، و هی لکثافتهـا تزیـد فی جمع خطوطه. و لکن لمّـا کـانت الشـبکیّة التی ترسم علیها الصورة مقعّرة، فلو وصـلت إلیها جمیع الخطوط التی تمرّ فی المائیّـة علی هـذا المقـدار من التجمّع، لرسـمت الصورة علی وسـطها و جانبیها، فتکون حینئـذ مشوّشة، و لا سیّما إذا کان النور قویّا. فدبّر الخلّاق الحکیم ذلک، و وضع غشاء القزحیّة خلف الرطوبة المائیّة، و جعله مثقوبا من وسـطه، و جعل توسیعه و تضییقه تحت إرادة النّاظر، لیدخل ما یحتاج إلیه من نور، فیوسّعه إذا کان النور قلیلا، و یضـیّقه إذا کان قویّا. ثم صـبغ أطراف القزحیّـة بلون یمنع نفوذ النور، و یخفضه بالامتصاص، حتی لا تنفـذ الخطوط الواقعة علی أطراف القزحیّة حول البؤبؤ و تصل إلی أطراف الشبکیّة فتشوّش الصورة. ثم بعد ذلک تنفذ خطوط النور الرطوبة البلّوریّة، التی هی محدّبة الوجهین، فیزداد تجمّعها، و لا سیّما فی الوسط، لأنّ وسط البلّوریّة أکثف من أطرافها. و جعل الحکیم

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۸

العین مع طبقاتها و رطوباتها (sruemuH کما تبدو عند إنارتها بأشعة لا یزر فی لقطة رائعة

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۸۹

الخبیر تلـک البلّوریـة تحت إرادة النـاظر أیضـا یزیـد فی تحـدّبها أو ینقصه، لأـن خطوط النور یزداد تجمّعها کلّما زاد تحـدّب الجسـم النافـذة منه، و ینقص کلّمـا قـلّ تحـدّبه. ثم تنفـذ الخطوط فی الرطوبـة الزجاجیّـة فتزداد تجمّعـا حتی یکون التجمّع کافیا لرسم الصورة واضـحا. هـذا فی داخـل العین، و أمّـا فی خارجها فإن الخالق جعل العین داخل الحجاج (tibrO محفوظـة من کلّ جانب، إلا الجهة التی یـدخلها النور. و جعل الطبقـة الأولی منها و هی الصّـلبة مع القرنیّـة لدنة حتی تقوی علی المصادمة بعض القوّة، و سترها بالأجفان لوقایتها، و أنبت علی أطراف الأجفان شـعرا ملوّنا ثخینا لدنا منتصـبا، مع میل الأعلی منه إلی فوق و الأسفل إلی تحت. أما تلوین الشعر فلیتشرّب بعض النور الوارد علی العین.

و أمـا ثخنه و انتصـابه فلمقاومـة الأجسـام الصـغیرة الواردة علی العین کـالتراب و الغبـار. و أمّـا میله فلیسـهّل افـتراق الهـدبین عنـد فتح الأجفـان، فلـو کانـا متـوازیین أو متقـابلین لتشابکـا و تلاصـقا برطوبـة العین، و لوقفـا فی طریق النور، و انتقلت صورتهمـا إلی الشـبکیّة فشوّشت صور المرئیّات. ثم لمّـا کان الغبار لا ینـدفع کلّه عن العین، لا بالحجاج و لا بالأجفان و الأهـداب، و هو مضـرّ بالقرنیّـة معطّل لشـفافیتها، جعل الخالق الحکیم إفراز الـدمع دواء لجلائه، و جعل الأجفان دائمة الحرکة بالانطباق و الانفتاح، حتی لا یتعطّل الإبصار و یتشوّش، فیغسل الدمع الغبار الذی یقع علی المقلة، و الأجفان بحرکتها تصـقلها و تزیح الدمع المخلوط بالغبار عنها. و هذا الدمع الذی صـار بالغبـار قـذرا لاـ بـدّ من خروجه عن المقلـة، فلم یترکه الخلّاق الحکیم یجری من الأجفان علی الخـدّین، بل دبّر أمر جریانه إلی الموق، ثم جعل هناک ثقبا صـغیرا دقیقا نافذا إلی داخل الأنف، یسـمّی القناة الدمعیّة فهل یعقل أن یکون کلّ هذا الإبداع و الإتقان و الإحکام فی العین أثرا من آثار حرکة أجزاء المادّة العمیاء؟

۲- ... تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ ...

(الأحزاب ۱۹)

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۰

وَ مِنْ آیـاتِهِ خَلْقُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوانِکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْعالِمِینَ صورهٔ تفصیلیّهٔ رائعهٔ للقزحیّهٔ التی تعطی للعین لونها مع البؤبؤ

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۱

... أَشِحَّةً عَلَیْکُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَیْتَهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ ... (الأحزاب ۱۹).

العینان نافذهٔ علی النفس و انفعالاتها الشعوریّهٔ. فأغلب الحالات النفسیّهٔ تصحبها انعکاسات عضویّهٔ فی مختلف أعضاء الجسم و منها العینان. و ما حالهٔ الارتجاف فی العینین التی تشاهد عند بعض الناس إلا مثل علی ذلک. إنما یستوقفنا هنا الإعجاز العلمیّ الکامن فی قوله تعالی: تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ. فحرکهٔ الارتجاف فی العینین هی من العلامات الرئیسهٔ التی تصاحب الإصابات المرضیّهٔ القاتلهٔ فی جذع الدماغ. و قد عرف أطبّاء الجهاز العصبی منذ سنهٔ ۱۹۵۹ فقط، مع الدکتور فیشر (Fischer)، وصف علامهٔ العین التی تدور (Bobingoccular movement). فکلّ إصابهٔ فی جذع الدماغ مصحوبهٔ بعلامهٔ العین التی تدور هی إصابهٔ ممیتهٔ، یکون المریض خلالها فی حالهٔ غیبوبهٔ عمیقهٔ، تنتهی به سریعا إلی موت أکید. و لم یعرف الأطبّاء أیّ حالهٔ غیبوبهٔ مصحوبهٔ بعلامهٔ العین التی تدور إلا و انتهت إلی الموت. و یکفی ظهور هذه العلامهٔ وحدها فقط عند أیّ مریض فی حالهٔ غیبوبهٔ لکی تعنی بالنسبهٔ إلی أطبّاء الأعصاب قرب انتهاء أجل المریض بصورهٔ شبه أکیدهٔ. و لقد یسّر لنا المولی من خلال عملنا الطبّی أن نطّلع علی بعض حالات من الغیبوبهٔ العمیقهٔ مع علامهٔ العین التی تدور (تدور العین إلی الأسفل، و ترجع تلقائیّا إلی وضعها الوسطی العادی تماما کعین الدمیهٔ المخلوعهٔ)، انتهت جمیعا بالموت. و صدق أصدق القائلین: کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ ...

(الأحزاب ۱۹).

۳- وَ ابْیَضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ کَظِیمٌ

وَ تَوَلَّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ وَ ابْیَضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ کَظِیمٌ. قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ حَتَّی تَکُونَ حَرَضاً أَوْ تَکُونَ مِنَ الْهالِکِینَ (یوسف ۸۴، ۸۵).

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۲

وَ فِی الْأَرْضِ آیاتٌ لِلْمُوقِنِینَ وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ عدسهٔ العین، فی لقطهٔ فریدهٔ، کما استطاعت تصویرها عدسهٔ المصوّر «لینارد نلسون» أشهر مصوّر طبّی فی العالم

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۳

الحزن العصابی (noisserped) حالهٔ مرضیّهٔ من الإحباط النفسیّ العمیق، تنشأ لدی فقدان شیء محبوب جدّا بالنسبهٔ لصاحبه. و لقد بیّن علم الکیمیاء الحیاتیّهٔ أن الحزن و ما یصاحبه من عوارض عضویّهٔ فی الجسم، ناتج عن موادّ کیمیائیّهٔ هرمونیّهٔ و غیر هرمونیّهٔ تفرزها خلایا الجسم، و تصبّها فی الدم بتحریض من الجهاز العصبی. فالعلاقهٔ بین النفس و البدن وثیقهٔ جدّا. و بقدر ما تترفّع النفس عن أهوائها و نزواتها و تعلّقها المرضی بالأشیاء الدنیویّهٔ الزائلهٔ- و هی الجنس و الولد و المال و السلطان- تسعد الروح و یرتاح البدن. لذلک، فإنه غالبا ما یصاحب الحزن المرضیّ و القلق النفسیّ الدائم، مضاعفات فی الدورهٔ الدمویّهٔ و القلب و الرئتین، و الجهاز الهضمی و البولی، و جهاز المناعهٔ، و مختلف أعضاء الجسم، و منها العینین، کما فی حالات فقدان البصر و منها ابیضاض القرنیّهٔ.

و إلی جانب الحزن العصابی، هناک حزن عابر یستغرق بضع ساعات أو أیّام علی الأکثر، و هو حالهٔ طبیعیّهٔ کما هو متعارف علیه فی علم النفس، بل هو رحمهٔ فیزیولوجیّهٔ ضروریّهٔ للجسم کی یتخطّی مرحلهٔ شعوریّهٔ صعبهٔ. و ذلک ما أشار إلیه الحبیب المصطفی علیه الصلاهٔ و السلام عند ما دمعت عیناه لدی موت ابنه إبراهیم بقوله: «إن العین لتدمع، و إن القلب لیحزن، و لا نقول إلا ما یرضی ربّنا، و إنّا بفراقک یا إبراهیم لمحزنون». و هذه رحمهٔ جعلها الله تعالی فی قلوب عباده، و إنما یرحم الله من عباده الرحماء.

و نلاحظ الإعجاز اللغویّ العلمی فی قوله تعالی: فَهُوَ کَظِیمٌ، أی إنه مملوء القلب بالحزن إلا أنه یکتمه عن الغیر، و یبقیه بینه و بین نفسه من جهة، و بینه و بین خالقه من جهة أخری، و هی حالة أکثر مرضی الإحباط النفسی، خاصّة فی حالات الحزن، و هو أشدّ أنواع الإحباط النفسی عمقا و تأثیرا و تعذیبا للإنسان.

و لم یخطئ أبناء یعقوب فی مفهومهم عن الحزن الذی یورث المرض أو

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۴

صورة رائعة لقرنیّة العین الشفّافة و عدسة العین أو البلّوریة (nillatsirC) باللّون الأزرق، و بینهما الحجرة المائیّة (esueuqaruemuh) باللّون الأسود

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۵

الهلاک، لذلک لم یسفّه المولی قولهم: تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ حَتَّی تَکُونَ حَرَضاً (مریضا) أَوْ تَکُونَ مِنَ الْهالِکِینَ (یوسف ۸۵).

۴- وَ تَحْسَبُهُمْ أَیْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ، وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْیَمِینِ وَ ذاتَ الشِّمالِ، وَ کَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَیْهِ بِالْوَصِیدِ، لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَیْهِمْ لَوَلَّیْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (الکهف ۱۸).

هذه الآیة الکریمة، بالإضافة إلی الأبعاد التصویریّة المرعبة التی وضع المولی فیها أهل الکهف خلال نومهم الطویل حفظا لهم من إیذاء الغیر، تحمل أبعادا علمیّة إعجازیّة نوجزها بما یلی:

أ- من علامات الیقظة ستر العینین و کشفهما دوریّا بواسطة الجفون. و لقد بیّن علم وظیفة العین أن الخلایا النظریّة الموجودة فی شبکة العین تضعف و تموت تدریجیّا إذا بقیت مدّة طویلة فی الظلام، فکیف إذا لبث الإنسان ثلاثمائة و تسع سنین مغمّض العینین؟ لذلک جعل المولی أهل الکهف کأنهم أیقاظ، و هم فی الحقیقة فی سبات عمیق، ربما- و الله أعلم- کی لا تتلف شبکة أعینهم. فمن المتعارف علیه فی علم وظائف الأعضاء أن کلّ عضو لا یعمل، یضمر و یتلف تدریجیّا. و قد أبقی المولی أهل الکهف و کأنهم فی حالة یقظة کی لا یصابوا بالعمی، و الله أعلم.

ب- وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْیَمِینِ وَ ذاتَ الشِّمالِ: هذه قاعدة أوّلیّة أساسیّة فی علم العنایة بالمشلولین و المقعدین یعتمدها الطبّ الیوم. و لو ترک المرضی المقعدون بدون تقلیب کلّ ساعتین علی جنوبهم لتقرّحت سریعا أجزاء الجسم التی ینامون علیها. لذلک یجب تقلیب کلّ مشلول کلّ ساعتین، وقایة من التقرّحات، و هی عادة خطیرة و قاتلة.

ج- وَ کَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَیْهِ بِالْوَصِیدِ ...: کلب أهل الکهف هو فی وضع المستیقظ ظاهرا، و إن کان حقیقة فی نوم عمیق. و الکلب کما هو معروف ینام علی جنبه و لیس علی ذراعیه. و هذا الوضع یخیف کلّ متطفّل علیهم، کما یمنع عن الکلب العمی و التقرّحات.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۶

د- و ربما تساءل سائل و اعترض قائلا: لا داعی لهذا التفسیر العلمیّ، لا سیّما أن المولی الذی جعل من أهل الکهف معجزة بأن أنامهم ثلاثة قرون و نیّفا من دون تغذیة، ثم بعثهم، یستطیع أن یمنع عنهم العمی المتأتّی من الظلمة المستمرّة بدون الأخذ بالأسباب. و الجواب بسیط، و هو إن لکلّ آیة وجوها مختلفة، و هذا الوجه من التفسیر العلمی لا یتعارض مع بقیّة أوجه التفسیر التی تحملها هذه الآیة الکریمة. کما و نردّ أیضا علی تساؤله بالآتی: إن المولی، سبحانه و تعالی، یستطیع أیضا بقدرته- و هو القادر علی کلّ شیء- أن یمنع أحدا من إیذائهم و إزعاجهم خلال نومهم الطویل، و بدون أن یجعل نومهم فی الصورة المرعبة التی أنامهم فیها، فلما ذا فعل ذلک؟ علینا إن أمکن، أن نستخلص دائما الحکمة الموجودة فی کلّ آیة کریمة و العلم الکامن فیها، التزاما بقوله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها (محمد ۲۴)

۵- الدمع

وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَی الرَّسُولِ تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ... (المائدة ۸۳) وَ لا عَلَی الَّذِینَ إِذا ما أَتَوْکَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُکُمْ عَلَیْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْیُنُهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا یَجِدُوا ما یُنْفِقُونَ (التوبة ۹۲).

من میزات الغدد الدمعیّة أنها تفرز، بصورة دائمة، الدمع الذی یملأ، و دون زیادة، مختلف أجزاء العین الخارجیّة فیحفظها من الجفاف و یطهّرها من الجراثیم و یزیل الأجسام المجهریّة التی تدخلها عرضا. و فی بعض الحالات النفسیّة و خاصّة حالات الانفعال الشعوری الصادق، یزید إفراز الغدد الدمعیّة فتفیض العین دمعا. و الإعجاز العلمی فی هذه الآیة الکریمة یکمن فی کلمة تَفِیضُ، إذ لا یمکن أن یصدر منذ خمسة عشر قرنا هذا الوصف الفیزیولوجی لعمل الغدد الدمعیّة إلّا ممّن هو بعلم وظیفة الغدد الدمعیّة خبیر:

خالقها سبحانه و تعالی.

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۷

۶- یَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْیُنِ وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ

قال الإمام علی سلام اللّه علیه و رضی اللّه عنه و أرضاه: «ما أضمر أحد شیئا إلا ظهر فی فلتات لسانه و صفحات وجهه. و من أسرّ سریرة ألبسه اللّه رداءها». العین و حدقتها نافذة مفتوحة علی حقیقة الحیاة الشعوریّة عند الأحیاء، و کذلک مختلف عضلات الوجه التی تعطی لحالتنا الشعوریّة الظاهرة و الباطنة تعابیر تشکیلیّة بحسب الحالات النفسیّة التی نشعر بها. و قد جاء فی إحدی الدراسات النفسیّة و العصبیّة ما یلی: «تتحکّم فی عضلات الوجه و العین أعصاب إرادیّة و غیر إرادیّة. و مهما أوتی الإنسان من قوّة إرادة فی التحکّم بعضلات وجهه کی لا یعطیها الأشکال و الحرکات التی تنمّ عن حقیقة شعوره، تبقی هناک عضلات تتبع فی أوامرها الجهاز العصبی المستقلّ الذی لا یأخذ أوامره من الإرادة، بل من الانفعالات الشعوریّة التی نعیشها. و من هذه العضلات عضلة حدقة العین و الغدد الدمعیّة، فمهما حاول الإنسان إخفاء العین فی منظر أمامی حیث تبدو الصّلبة و القزحیّة (ملوّنة) و البؤبؤ أما القرنیة الشفافة فلا تظهر

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۸

حقیقة شعوره تبقی العین خائنة لما نخفیه من شعور یظهر فی حقیقته من خلال توسّع حدقة العینین عند الخوف الشدید و رأرأتهما و دورانهما». فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَیْتَهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ (الأحزاب ۱۹). أما فی حالات الحبور و الانشراح، فتمیل حدقة العین إلی التضیّق، و هی فی وضع وسط فی الحالات الشعوریّة العادیّة. من هنا حاول علماء النفس و التحقیقات الجنائیّة التحدیق مطوّلا فی أعین المرضی أو المتّهمین، فی محاولة للنّفاذ إلی حقیقة شعورهم. و فی الوجه عضلات و إن کانت تأخذ أوامرها من الجهاز العصبی الإرادی، إلا أنها فی کثیر من الحالات لا تتقیّد به، خصوصا إذا کان الإنسان یکذب و یحاول إرادیّا أن یخفی حقیقة شعوره و أفکاره. و الإنسان مهما حاول أن یخفی شعوره فلا بد أن یظهر شیء من ذلک علی قسمات وجهه و من خلال «العین الخائنة» لما یبیّته صاحبها من أفکار و شعور، مصداقا لقوله تعالی فی وصف کلّ کاذب و منافق: وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَیْناکَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِیماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ أَعْمالَکُمْ (محمد ۳۰).

و تجری فی الولایات المتّحدة الأمیرکیّة الیوم دراسات علمیّة رصینة تعتمد علی برمجة مختلف حرکات عضلات الوجه (سیماء الوجه)، و ربطها بالحالات الشعوریة التی تصاحبها، کالغضب و السرور و الخوف و القلق و اللّامبالاة و الانتباه و غیرها. ثم یجری تصویر سیماء الوجه أثناء استجواب کلّ مشتبه. و من خلال مخالفة الأشکال التی تأخذها عضلات وجهه للأشکال المتعارف علیها فی الحالات العادیّة، یمکن التعرّف- و لکن بدون جزم- علی حقیقة شعور المتّهم و مدی صدقه، و ذلک باستعمال أجهزة غیر جهاز

الکذب المستعمل حالیًا.

نخلص ممّا تقدّم إلی قول الآتی: نفهم من قوله تعالی: یَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْیُنِ ... بأن المولی یعلم ما تبوح به «العین الخائنة» لأمر صاحبها الذی یحاول إخفاء حقیقة شعوره و أفکاره، کما یعلم ما تخفیه الصدور. و العین مهما

من علم الطب القرآنی، ص: ۲۹۹

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً صورة حقیقیّة تفصیلیّة رائعة لشبکة العین حیث تظهر الخلایا البصریة المسمّاة بالعصیّات (Batonnets) و تعدادها ۱۴۰ ملیون خلیّة فی السنتیمتر المربّع الواحد، و کلّها نشأت من النّطفة الأمشاج! فأین المصادفة فی هذا التنظیم الرائع فی خلق الإنسان؟

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۰

حاول صاحبها إخفاء شعوره تخونه و تبوح بما یخفیه، و من أقوال العامة: عرفت الحقیقة من عینیه.

أما ما فسّره بعضهم بقوله إنّ اللّه تعالی یعلم العین الخائنة بمسارقتها النظر إلی محرّم، استنادا إلی قول ابن عبّاس: «هو الرجل یکون جالسا مع الناس، فتمرّ المرأة فیسارقهم النظر إلیها» فهو وجه من وجوه الآیة. و لکلّ آیة من المتشابه أوجه تفسیر عدّة، و اللّه أعلم بأبعاد کلامه.

۷- الصمم و العمی الإدراکی

السمع و البصر وظیفتان أساسیّتان فی عملیّة الإدراک و المعرفة، و لکلّ منهما آلة معقّدة لا تقتصر علی الأذن أو العین کما یعتقد العامّة. فلقد کشف علم وظیفة الدماغ أن فیه مراکز خاصّة تنتقل إلیها صور الأشیاء المرئیّة أو الذبذبات الصوتیّة، و هناک تتحوّل إلی ما نراه و نسمعه. و عند ما تصاب المراکز الدماغیّة المولجة بعقلنة الصورة أو الصوت یصاب الإنسان بعارض العمی أو الصمم الإدراکی. و فی هذین المرضین تکون العینان أو الأذنان سلیمتین من الوجهة الوظیفیّة و التشریحیّة. أما المراکز الدماغیّة المولجة بتلقّی الصورة أو السمع فتکون معطّلة لأسباب عدّة منها شدّة الانفعال، و سیطرة الأهواء و النزوات الشخصیّة علی العقل و التی غالبا ما تعطّل لبعض الوقت عملیّة النظر أو السمع، و ذلک ما نلمسه فی کثیر من الأمراض النفسیّة و العقلیّة الحادّة. و علی ضوء هذا الشرح المبسّط جدّا لوظیفة السمع و البصر نستطیع أن نفهم علمیّا معنی قوله تعالی: وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ کانُوا لا یَعْقِلُونَ. وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْظُرُ إِلَیْکَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِی الْعُمْیَ وَ لَوْ کانُوا لا یُبْصِرُونَ (یونس ۴۲، ۴۳).

ففی هذه الآیات الکریمة تفریق واضح بین الصمم الخارجی (PeriPherique surdite) بفعل تعطّل الأذن، و الصمم المرکزی أو الإدراکی (verbale surdite) بفعل تعطّل المراکز الدماغیّة الخاصّة، و کذلک العمی الخارجی

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۱

(ceciteperipherique) بفعل تعطّل العین، و العمی المرکزی الإدراکی أو الدماغی (cecitecorticale) بفعل تعطّل المراکز الدماغیّة الخاصّة بالنظر: وَ مِنْهُمْ مَنْ عصبا النظر و المکان الذی ینتهیان عنده فی القسم الخلفی من الدماغ، حیث تتحوّل السیّالة إلی صورة مرئیّة للأشیاء المنظورة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۲

یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ (إذا آذانهم سلیمة) أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَ (أی الذین تعطّلت عندهم مراکز السمع الإدراکیّة فی الدماغ) وَ لَوْ کانُوا لا یَعْقِلُونَ (یونس ۴۲)، وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْظُرُ إِلَیْکَ (إذن أعینهم سلیمة) أَ فَأَنْتَ تَهْدِی الْعُمْیَ (أی الذین تعطّلت عندهم مراکز البصر و الإدراک فی الدماغ) وَ لَوْ کانُوا لا یُبْصِرُونَ (یونس ۴۳) (أی و لو کانوا لا یعقلون ما ینظرون). إذا، لقد فرّق القرآن الکریم فی عشرات الآیات بین النظر (أی رؤیة الأشیاء) و البصر (أی إدراک ما نراه و فهمه) کما فرّق بین سماع الأصوات و إدراک ما تعنیه و عقلنته، ممّا

یدخل شرحه فی أعقد العملیّات الوظیفیّة لآلة السمع و البصر. و التی لم یکشفها علم وظیفة الأعضاء إلا فی القرنین التاسع عشر و العشرین.

۸- أین الصدفة؟

أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ (البلد ۸، ۹).

إلی الذین یقولون بالمصادفة فی وجود الخلق یسوق الشیخ ندیم الجسر، بأسلوب تهکّمیّ رائع، کیف أن المصادفة تدخّلت فی إیجاد اللسان و الشفتین و عملهما، و ذلک من الصفحة ۴۰۲ إلی الصفحة ۴۰۵ من کتابه «قصة الإیمان» و فیها یخاطب الحیران قائلا:

کلّ عضو من أعضاء الحس، یا حیران، له وظیفة واحدة إلا هذا اللّسان: فالعین للبصر، و الأذن للسمع، و الأنف للشمّ، و الأنامل أشدّ جوانب الجلد إحساسا باللّمس، أما هذا اللّسان فقد شاءت له المصادفات أن یکون آلة للذوق، و آلة للمضغ و البلع و الهضم، و آلة للحسّ و اللّمس، و آلة للتّکلم.

فمن أجل أن یکون للذوق شاءت المصادفة أن یفرش سطحه و جانباه بحلیمات تمتصّ الطعوم، و تؤدّیها إلی الأعصاب المنتشرة فی باطنها.

و شاءت المصادفة أن یکون صنفان من هذه الحلیمات للذوق خاصّة دون اللّمس، کی لا یختلطا فیتعطّل عمل أحدهما عند فقد الآخر. فقد یفقد الحسّ العامّ عند الإنسان و تدوم له حاسّة الذوق، أو یفقد الذوق و یدوم له الحسّ

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۳

أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ صورة حقیقیّة لطبقات شبکة العین

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۴

العامّ. و من أجل أنّ الحلیمات لا تمتصّ الطعوم إلا إذا کانت ذائبة محلولة و إلا إذا کان اللّسان رطبا، شاءت المصادفة أن یزوّد اللّسان بغشاء مخاطی فیه أجربة و غدد تفرز المخاط، و أن یزوّد من تحته بغدّة تفرز اللّعاب فوق ما تفرزه الغدد اللّعابیّة الأخری. و لو لا ذلک لما استطاع اللّسان أن یتذوّق الطعوم، و ما کان یحدث له سوی الإحساس بمسّ الطعام، کما تعرف ذلک من نفسک إذا کان لسانک جافّا، أو من الزکام مثلا، فإنه لا یتذوّق الطعوم و لو کانت مذابة.

و من أجل أنّ الطعوم مختلفة المذاق و لها فی تلاقیها تآلف و تنافر علی نسب معیّنة کتآلف الألوان و الأصوات و تنافرها، فقد شاءت المصادفة أن تختلف الحلیمات الذوّاقة بعضها عن بعض، شیئا قلیلا، فی تذوّقها و فی قدرتها علی الاحتفاظ بطعم بعض الموادّ حتی بعد زوالها، و علی هذا یقوم الطّهاة المهرة فی خلط الأطعمة و مزجها.

و من أجل أنّ اللسان مفتقر بحکم مرکزه و وظائفه إلی أن یکون حسّاسا قویّ الإحساس لیلوک اللّقمة و یدور بها من حنک إلی حنک و من سنّ إلی ضرس و یستقصی أصغر أجزائها فی مطاوی الفم و ثنایا الأضراس، و یتّقی بإحساسه المرهف کلّ ما یدخل الفم من المؤذیات من کاو و محرق و لاذع و شائک و جارح، شاءت المصادفة أن تکون له حلیمات للحسّ و اللّمس خاصّة، کما سبق القول، و أن تکون هذه الحلیمات (الخیطیّة) مرهفة جدّا فی رأس اللسان و جانبیه، لا یساویها فی دقّة الإحساس إلا طرف البنصر.

و من أجل أنّ اللّسان آلة للمضغ و البلع فقد شاءت المصادفة أن تکون هذه العضیلة قویّة قویّة، نشیطة، لعوبا، تلعابة، لعابیّة، مخاطیّة، و لو لا ذلک ما تمّ مضغ و لا بلع. فاللّسان هو الذی یلاعب اللّقمة و یلوکها و یعجنها عجنا باللّعاب، حتی إذا اکتمل مضغها و أصبحت صالحة للبلع لفّها بمخاطه، و ضغطها بین سطحه و سقف الحلق، و دفعها بقوّته و زلقها حتی تعبر قوس (اللّهاة)، فیکون البلع بعد ذلک بغیر إرادة الآکل.

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۵

و من أجل أن اللسان آلة للهضم فقد شاءت المصادفة أن يكون هضم الأطعمة مختلفا مكانه باختلاف عناصرها: فمنها ما يهضم فی المعدة، و منها ما يهضم فی الأمعاء، و لكن شيئا واحدا منها، و هو النّشاء، لا يهضم فی المعدة، بل إن عصارات المعدة تعيق هضمه و تبطل تحويله، و لذلك شاءت المصادفة أن يكون الوسط الوحيد الصالح لتحويل النشائيّات إلى سكّر و هضمها هو اللّعاب.

و لو لا هذا اللّسان التّلعاب الذی يمزج اللّعاب باللّقمة و يعجنها، لما تمّ هضم النّشاء، و هو من أهمّ عناصر الغذاء.

و من أجل أن اللّسان آلة للتكلّم، و من أجل أن الأصوات تخرج من الحنجرة كما تعلم، و من أجل أن الحنجرة لا تستطيع توليد الحروف كلّها، بل يقتصر عملها على توليد الحروف الصوتيّة المعروفة بحروف العلّة دون الحروف الأخرى المعروفة بحروف الصحّة التی لا بدّ لتوليدها من تقطيع مجری الهواء الذی يحمل الصوت من الحنجرة، فقد شاءت المصادفة أن يخلق هذا اللّسان مع الشفتين ليكون وسيلة لتقطيع الهواء و إخراج حروف الصحّة. و لو لا ذلك ما كان لنا كلام فصيح، بل كنا نكون كالحيوانات نطلق أصواتا نمدّها مدّا، فلا نحسن إلّا عواء و نعيقا، أو صفيرا و نقيقا، أو صهيلا و نهيقا.

ثم يستطرد الشيخ الجسر بأسلوبه التهكّمی إلى من يقول بالمصادفة فيقول:

فما أعجبها يا حيران هذه المصادفات التی كثرت، و توالت، و تلاقت، و تلاءمت، و توافقت حتى كوّنت لنا هذا اللّسان العجيب.

حقّا يا مولای إنّ اللّسان عضو عجيب ... و لكن ما ذا فی الشفتين سوى أنهما تساعدان على لفظ بعض الحروف؟

أ كان يرضيك، يا حيران، أن تخلق بلا شفتين مكشّرا، فاغرا، يسيل لعابك، و يدخل الغبار إلى صدرك، و الذباب إلى لهاتك؟ أ لا تشكر المصادفة التی خلقت هذا الإنسان فِی أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (التين ۴) فجعلت له من

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۶

الشفتين، زينة لوجهه، و سترا لفمه، و حاجزا للعابه، و مانعا من دخول الغبار إلى رئتيه، و الذّباب إلى لهاته، ليتنفّس من حيث ينفع التنفّس بأنفه و خيشومه، و يصدّ المؤذيات عن حلقه و بلعومه؟

أ لا تشكر المصادفة التی سلّحت هاتين الشفتين بقوّة مرهفة من الإحساس ليصدّا كلّ مؤذ و كاو و محرق، و زوّدتهما تحت غشائهما المخاطی بغدد تفرز اللّعاب لتظلّا رطبتين، و ربطتهما بأعصاب تجعل كلّ حركة لهما من فتح و إغلاق و مطّ و زمّ، بإرادة الإنسان و اختياره؛ ليفتحهما ساعة يشاء و يغلقهما ساعة يريد، فيقطع بهما الهواء و يحبس الصوت ليتمكّن من لفظ الحروف الشفويّة؟ فلو لا كلّ هذه المصادفات، يا حيران، لانقلب هذا الإنسان المليح الفصيح الظريف، مسخا، قبيحا، مكشّرا، فاغرا، عيّا، قذرا، يسيل لعابه على ذقنه و ثيابه، و يزدحم الذّباب على رضابه!

۹- فی الألم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً، كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ، إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً.

هذا التحديد للوسيلة المولجة باستقبال الإحساس بألم الحريق (الجلد)، لا يمكن أن يصدر منذ خمسة عشر قرنا إلا من خالق الجلد، المولى سبحانه و تعالى، الذی هو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (يس ۷۹). فعلم التشريح لم يكتشف، إلا فی القرن العشرين، أن فی طبقات الجلد مراكز عصبيّة وظيفتها تلقّی الإحساس بالحرارة (ThermorecePteur(التی تتحوّل إلى إحساس بالألم، و نقله إذا زاد أو نقص معدّل درجة الحرارة عمّا يتحمّله الجسم العادیّ (۱۸- ۳۸ درجة). فالحروق الأشدّ ألما هی حروق الدّرجة الأولى و الثانية التی تصيب طبقات الجلد دون أن تتلفها نهائيا، أما حروق الدرجة الثالثة التی تخرق الجلد و تميته و تصل إلى العضلات و العظام، فألمها وقتی يكون حين الإصابة فقط.

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۷

وَ سُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ (محمد ۱۵) كشف العلم حديثا أن أوجع الآلام التی تأتی من أمراض الجهاز الهضمی كالأمعاء و

المعدة، هی الناتجة عن ثقب فی جدرانها. و ذلک لأن المراکز العصبیّة المولجة بتلقّی الإحساس بالألم و نقله، موجودة فی غشاء البریتوان (Peritoine) الذی یغلّفها. أما طبقات الأمعاء بحدّ ذاتها فلیس فیها مراکز خاصّة لنقل الإحساس بألم الحرارة الزائدة. فالحمیم لا یؤلمها إلا إذا ثقبت الأمعاء أو بقیّة الأعضاء المجوّفة و غیرها، کی یصل إلی مراکز الإحساس بألم الحرارة الموجودة فقط فی غلاف الأمعاء و البطن (البریتوان). و الحمیم لا یؤلم إلا بوجود جلد، حیث توجد مراکز تلقّی الحرارة الشدیدة و نقلها. و علی ضوء هذا الشرح نفهم قوله تعالی أیضا من الوجهة الفیزیولوجیّة لعمل الأعضاء: فَالَّذِینَ کَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ یُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِیمُ یُصْهَرُ بِهِ ما فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ (الحج ۱۹، ۲۰).

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۰۹

وَ اتَّقُوا الَّذِی أَمَدَّکُمْ بِما تَعْلَمُونَ (الشعراء ۱۳۲) «ألا و إن فی الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد کلّه، و إذا فسدت فسد الجسد کلّه، ألا و هی القلب».

(حدیث شریف).

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۱

الفصل الثانی القلب و العقل

اشارة

خاطب المولی فی کتابه الکریم العقل من خلال میزاته التی أهّله لها و هی:

التعلّم و التفکّر و التذکّر و التفقّه. فالعقل الذی لا یتعلّم و لا یتفکّر و لا یتذکّر و لا یعقل، أو بکلمة موجزة، لا یعقل، هو میت بحسب التعریف القرآنی: أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ، کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ لَیْسَ بِخارِجٍ مِنْها، کَذلِکَ زُیِّنَ لِلْکافِرِینَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (الأنعام ۱۲۲).

من هنا ندرک- و الله أعلم- لما ذا لم ترد کلمة العقل عینها فی القرآن الکریم، و إنما خاطب المولی الإنسان من خلال الصفات المیّزة فی العقل:

إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْعالِمِینَ (الروم ۲۲)، إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (النحل ۱۱)، إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (النحل ۶۷).

و العقل ککلّ مخلوق له کیان مادّی، و هو الدماغ، و کیان روحی و هو الروح، و هی الجوهر و السرّ، سرّ المولی فی کلّ خلق من مخلوقاته. أمّا تعریف العقل الموجز بکلمات فنستخلصه قدر الإمکان مما یسّره المولی لنا، استنادا إلی الکتاب العزیز، کالآتی:

العقل هو نقیض الجهل، و هو الملکة التی یستطیع بها الإنسان أن یتعلّم خصائص الأشیاء فیفرّق بین خیرها و شرّها، فیلتزم بالصفات الخیّرة للأشیاء

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۲

و یترک الصفات الشرّیرة و ینهی صاحبه عنها. من هنا کان کلّ عاقل من فهم تعالیم السماء الحقّة و التزم بها، و هی تعالیم الإسلام، و کلّ جاهل من لم یفهم تعالیم السماء الحقّة و لم یلتزم بها، بالغا ما بلغ من علم.

هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ (لقمان ۱۱)

الدماغ آلة العقل الرئیسة

۱- وزنه لا یتجاوز ۵، ۲٪ من وزن الجسم؛ أی ۱۳۳۰ غراما تقریبا.

و ینقص دماغ الأنثی من حیث وزنه عن وزن دماغ الرجل ۴۰ غراما تقریبا، مصداقا لقوله تعالی: وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی. من هنا نفهم معنی البعد التشریعی القرآنی، ثم مغزی شهادة الرجل علی أنها تعادل شهادة امرأتین:

وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِیدَیْنِ مِنْ رِجالِکُمْ فَإِنْ لَمْ یَکُونا رَجُلَیْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ، أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَکِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْری (البقرة ۲۸۲).

إن المراکز الدماغیّة التی تتحکّم بعملیّة الذاکرة و المذاکرة عند المرأة أقلّ نموّا و فعالیة من الرجل، فی حین إن المراکز الدماغیّة التی تتحکّم بعملیّة الانفعال و الشعور هی أکثر تأثیرا و فعّالیّة عند المرأة من الرجل، و لا یخفی ما للانفعال و العواطف من تأثیر سلبی أو إیجابی فی عملیّة التذکّر و الحفظ. و یجب التشدید هنا بأن هذه الفروقات الخلقیة عند المرأة عن الرجل لا تنقص من قدرها. و إنما أهّل الله المرأة بسرعة النسیان و رقّة الشعور و الإحساس لتستطیع القیام بما أهّلت له: الحمل و الولادة و تربیة النشء. و لو لم تکن ملکة الذاکرة عند المرأة أقلّ من الرجل لما عاودت عملیّة الحمل و الوضع بعد التجربة الأولی للحمل و الوضع. و الکلّ یعرف ما هی مشقّة الحمل و آلام الوضع: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً (مشقّة) وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً (الأحقاف ۱۵).

۲- یستهلک الدماغ ربع ما یستهلکه الجسم من الأوکسجین، و یختلّ عمله إذا حبس عنه الأوکسجین لأکثر من خمس عشرة ثانیة. أمّا التّلف، أی

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۳

الموت الدماغی، فیحصل فیه بعد توقّف الأوکسجین عنه لمدّة تزید عن ثلاث دقائق.

۳- ما استطاع العلم أن یعدّده من خلایا الدماغ هو ما یقرب من ثلاثین ملیار خلیّة عصبیّة، أی بمعدّل خمسة عشر ملیون خلیّة عصبیّة فی السنتیمتر وَ اتَّقُوا الَّذِی أَمَدَّکُمْ بِما تَعْلَمُونَ- صورة لدماغ الإنسان، آلة العقل، فی منظر أمامی

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۴

العصبون أو الخلیّة العصبیّة کما تظهر فی المکرسکوب الإلکترونی: یحوی الدماغ ما یقرب من ثلاثین ملیار خلیّة عصبیّة إضافة إلی ملیارات الخلایا الأخری المساعدة، و قد قدّر بعضهم أنه فی کلّ ثانیة من التفکیر و المذاکرة تتدخّل شبکة مؤلّفة من ملیارات الخلایا العصبیّة، لکلّ خلیّة منها الآلاف من التفرعات المتّصلة مع الآلاف من الخلایا الأخری، و فی کلّ خلیّة تحصل الآلاف من التفاعلات الکیمیائیّة فی الثانیة لکی تحصل عملیّة التفکیر و المذاکرة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۵

المربّع من قشرة الدماغ، کلّها نشأت من السلالة الأمشاج، أی من اختلاط سلالة الرجل بسلالة المرأة.

۴- یبدأ تخلّق الدماغ منذ الأسبوع السادس للحمل و تنتهی تسویته فی هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ الخلایا العصبیّة فی الدماغ

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۶

الشهر الرابع منه. و خلال مرحلة التخلّق تتکاثر الخلایا العصبیّة بالسرعة المذهلة التی قدّرها بعض علماء الأجنّة ب ۰۰۰، ۲۵۰ خلیّة جدیدة فی الدقیقة. إلا أن نموّ الدماغ یزداد حتی سنّ البلوغ، أمّا عدد خلایاه فلا یزداد أو یتجدّد بعد الشهر الرابع من الحمل، و إنما ینقص تدریجیّا مع تقدّم العمر.

و هناک دراسات حدیثة لم تعمّم بعد، یفهم منها أن الخلایا الدماغیّة تتجدّد کبقیّة خلایا الجسم.

۵- قدّر بعض العلماء أنه خلال کلّ ثانیة تفکیر أو مذاکرة، تعمل شبکة من الخلایا الدماغیّة یقارب عددها عشرة ملیارات خلیّة، کلّ خلیّة منها متّصلة بآلاف الخلایا من أمثالها، و تسری فی أسلاکها الأوامر العصبیّة بسرعة ۳۵۰ کلم فی الساعة. بذلک یتمکّن الإنسان من رؤیة الشیء و النطق باسمه بأقلّ من نصف ثانیة، علما أنه یجری فی داخل کلّ خلیة من شبکة الخلایا هذه، خمسة عشر ألف

تفاعل کیمیائی هی الأساس فی عملیّة التفکیر؛ أما أکبر الخلایا الدماغیّة فلا یتجاوز قطرها عشرة أجزاء من الألف من الملّم [۱۰ میکرون (الملّم- ۱۰۰۰ میکرون، و سماکة غلافها ۵- ۱۰ نانومتر (المتر- ملیار نانومتر).

۶- الخلیّة العصبیّة لیست مفاعلا کیمیائیّا و حسب، بل هی مفاعل کهربائیّ و فیزیائیّ کذلک. إن فیها من التعقید و الدقّة و إتقان الصنعة ما یتطلّب دراسة أخصّائیین عدّة فی حقول الفیزیاء و الکیمیاء و العلوم الوظیفیّة و التشریحیّة و علوم الأمراض العصبیّة و العقلیّة. و کلّما توغّل العلماء فی دراسة الجهاز العصبیّ وجدوا أنفسهم فی بدایة الطریق، بالرغم من تقدّم الإنسانیّة فی حقول العلوم و الاکتشافات. ففی الدماغ کثیر من الطاقات و الخفایا ممّا لم یکشفه العلم بعد. و یقدّر علماء الأعصاب أن ۱۰٪ من طاقات الدماغ فقط مستغلّة، فی حین إن طاقات الدماغ الباقیة لم تستغلّ بعد، و ربما کانت ذخیرة لما قد یطرأ علی هذه الآلة العجیبة من أمراض. و من درس علم الأمراض العصبیّة التی

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۷

وَ فِی خَلْقِکُمْ وَ ما یَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آیاتٌ لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ الخلایا العصبیّة الموجودة فی مرکز البصر الدماغی، و التی تحوّل السیّالة العصبیّة إلی صور مرئیّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۸

تصیب الدماغ، و مقدار التلف الذی یحصل فی أقسام منه، و القدرة العجیبة التی یستردّ فیها الدماغ الکثیر من طاقاته، نتعلّم شیئا من عجیب صنعة المولی فی هذا المخلوق. فقد جاء فی بعض التقدیرات أن ما یستطیع الدماغ تخزینه من معلومات فی مساحته التی لا تتجاوز ال ۲۲ دیسیمترا مربّعا هو ما یحویه عشرون ملیون مجلّد متوسّط الحجم! أما إذا فکّر الإنسان بعمل آلة حاسبة إلکترونیّة یقرب عملها من عمل الدماغ الإنسانی- و أین صنعة الخالق من صنعة المخلوق- فإن ذلک یتطلّب وضع هذه الحاسبة فی بنایة من عشر طبقات قائمة علی مساحة ۷۷۰ کلم مربّع. أما برمجة الجزء الرئیسی منها فتستغرق سنوات! و هنا یحضرنا قول العزیز الحکیم: فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا، إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِینٍ لازِبٍ (الصافّات ۱۱). و لا عجب فی وصف أحد العلماء الدماغ بقوله: «لو جمعنا کلّ أجهزة العالم من الرّادار و التّلغراف و التّلفزیون و التّلفون، ثم بدأنا بتصغیر ما تجمّع لدینا حتی توصّلنا بهذه الکمّیّة الهائلة من الأشرطة و الأجهزة المعقّدة إلی حجم الدماغ فإنها لا تبلغ فی تعقیدها ترکیب الدماغ». أو کما وصفه بلغة شعریّة کاتب آخر: «هذا هو عجیبة الدهر (و لما ذا لیس عجیبة الخالق؟) الذی فی تلافیفه بنیت المختبرات و استنبطت الاختراعات، و بین تعاریجه أسّست معاهد العلم، و علی تحادیبه نصبت میادین الطائرات و السیّارات، و داخل تجاویفه سطعت الکهرباء. کتلة صغیرة وسعت ما ضاق به الکون الفسیح. هذا هو رافع الإنسان إلی أعلی الرّتب، و هذا هو أساس العلم و العمران».

۷- بعض التفاصیل عن وظائف الدماغ: أمر المولی الإنسان أوّل ما أمره بالقراءة. و کلّ إصابة مرضیّة فی هذا المرکز تفقد الإنسان ملکة القراءة. کذلک أمره بالتعلّم بواسطة القلم و أقسم به: اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ. الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (العلق ۳، ۴) ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما یَسْطُرُونَ (القلم ۱) لذلک جعل فی دماغه دون سائر المخلوقات مرکزا خاصّا بالکتابة، و الإصابة المرضیّة فیه تفقد الإنسان ملکة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۱۹

الکتابة. و هناک مراکز للفهم و النطق، و من مرضها ینتج اضطراب فی ملکة الفهم و النطق. و هذه المراکز الدماغیّة التی تحکم القراءة و الفهم و النطق هی فی مساحة لا یتجاوز طولها و عرضها و عمقها بضعة سنتیمترات، و هی للعالمین من آیات الله: وَ مِنْ آیاتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوانِکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْعالِمِینَ (الروم ۲۲).

و هذه السنتیمترات الدماغیّة تحکم اختلاف ألسنة البشریّة، أی ما یقرب من ثلاثة آلاف لغة محکیّة و مکتوبة، و خمسة آلاف لهجة یتکلّمها البشر.

و المصدر واحد فی صنعته و ترکیبه: بضعة سنتیمترات مکعّبة فی النّصف الأیسر من دماغ الإنسان (بل إن دماغ بعض الخاصّة یمکّن

صاحبه من أن يتكلّم بعشرات اللّغات و اللّهجات) قد تكون هی عينها أو غيرها الخلايا العصبيّة المنوطة بها ملكة اللسان عند سليمان، عليه السلام، الذی علّمه المولی منطق الطير و الحشرات و غيرها من المخلوقات. و كم لغة منّ الخالق العليم علی سليمان عليه السلام بنطقها و فهمها؟ وحده سبحانه و تعالی جلّت قدرته أعلم بذلك. من برمج هذه الصنعة العجيبة و شحنها بالطاقة و القوّة؟ و من جعل فيها مراكز التفكير و الحركات الإراديّة و اللاإراديّة، و الإحساس و السمع و الحساب و النظر و الأحلام و الخوف و اللّذة و الألم و النوم و اليقظة؟ أ هو التولّد الذاتی، أم هو المصادفة، أم التطوّر؟ سبحانه، بل الخالق العالم الحكيم القادر: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (الطور ۳۵)، وَ فِی الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَ فِی أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (الذاريات ۲۰، ۲۱). و الدماغ لا قيمة له إلا بقدر ما يمدّه به السمع و البصر، و خاصّة الفؤاد، من نور و هدی، و أسرار إلهيّة وضعها المولی فی قلوب المؤمنين و سمعهم و أبصارهم. و بقدر ما تصلح محطّات البثّ الرئيسيّة الثلاث: السمع و البصر و القلب (و لا تصلح هذه، إلا إذا التزم الإنسان بتعاليم الخالق)، يقوی بثّها و هديها و نورها إلی الدماغ. و لقد أوصل عقل الإنسان الإنسانيّة إلی هذا الدرك من التعاسة و الجهل و المرض و الظلم التی هی

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۰

عليه اليوم، لأن أغلب القائمين علی تدبير شئونها و تنظير قوانينها لم يأخذوا بتعاليم الله جلّ جلاله. لذلك فقد ختم الله علی قلوبهم و سمعهم و أبصارهم، فأنّی يعقلون: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ وَ عَلی سَمْعِهِمْ، وَ عَلی أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ، وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (البقرة ۶، ۷).

الموت الطبیّ أو موت الدماغ

اشارة

حتی منتصف القرن العشرين اقتصر تعريف الموت من الوجهة الطبّيّة، علی التأكّد من توقّف القلب عن الخفقان بصورة دائمة. و مع تقدّم علم التخدير و الإنعاش أمكن فی بعض الحالات الطبّيّة التی يتوقّف خلالها القلب، إعادته إلی الخفقان بواسطة التدليك القلبی و الصدمات الكهربائيّة القلبيّة و الأدوية، كما أمكن بواسطة آلة التنفّس الاصطناعی الاستغناء عن عمل الرئتين لبعض الوقت، و بذلك تبيّن للأطبّاء أن المريض الذی يتوقّف قلبه عن الخفقان لمدّة تزيد عن ثلاث دقائق، ثم يعود للخفقان بواسطة الإنعاش و التنفّس الاصطناعی، قد يبقی لبعض الوقت مدّة قد تطول و قد تقصر، إلا أنه يبقی فاقد الوعی، و فی غيبوبة من الدرجة الرابعة، إلی أن يتوقّف القلب تلقائيّا رغم كلّ وسائل الإنعاش. من هنا نشأ مفهوم الموت الطبّی أو الموت الدماغی La mort cerebral و تعريفه أنه كلّ حالة يتأكد خلالها للأطبّاء، بواسطة الفحص السريری، و مخطّط الدماغ الكهربائی، و تلوين الشرايين الدماغية، و تصوير الدماغ بالكمبيوتر، أن الدماغ قد توقّف عن العمل، لأن «خلاياه النبيلة» قد ماتت، بالرغم من عمل القلب و خفقانه.

هذه الحالات المتعارف عليها اليوم بالموت الطبّی أو موت الدماغ يسمح فيها بعد التأكد منها بواسطة لجنة طبّيّة مختصّة، بنقل أعضاء المريض الذی يكون فی حالة كهذه إلی غيره من المرضی الذين هم بحاجة لقلب مثلا أو لعين أو لكلية. و من هنا نشأت فكرة زرع القلوب و نقل الأعضاء.

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۱

ما رأی الإسلام بالموت الطبّی

عظمة القرآن الكريم و إعجازه هی أن الباحث فی معانيه يجد دائما فی آياته الكريمة الحلّ الذی يطرحه كلّ علم صادق و صحيح. و الموت الطبّی كما عرّفناه نجد تعريفه فی القرآن الكريم فی نصوص واضحة لا تتطلّب إلا بعض التعليق.

ففی المفهوم القرآنی أن الروح هی علّة الحیاة فی المخلوقات، و مرکزها- و الله أعلم- فی الصدر و تحدیدا فی القلب، و منه تتوزّع إلی مختلف أعضاء الجسم. و عند ما ینتهی أجل الإنسان تترک الروح الجسد و تنتقل إلی حیاة روحیّة جدیدة هی حیاة البرزخ، أما الجسد فیفنی و یموت. إلا أنه فی بعض الحالات الخاصّة کحالات الموت الطبّی الذی نحن بصدده، و تبیانا من المولی عزّ و علا علی وجود الروح لمن ینکر وجودها، تنتقل الروح من الصدر إلی الحلقوم، و هو فی مستوی الترقوتین، أی القسم الأعلی من جهاز التنفّس. و فی هذا إشارة قرآنیّة إلی أن لا عودة للروح إلی الصدر، و أن أجل الإنسان قد انتهی: فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ (الروح) الْحُلْقُومَ. وَ أَنْتُمْ حِینَئِذٍ تَنْظُرُونَ. وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْکُمْ وَ لکِنْ لا تُبْصِرُونَ. فَلَوْ لا إِنْ کُنْتُمْ غَیْرَ مَدِینِینَ (أی خاضعین لقهر الخالق و سلطانه)، تَرْجِعُونَها (أی الروح- و هنا تحدّ قرآنی قائم إلی یوم الدّین لکلّ من یدّعی أن باستطاعته إعادة الروح إلی الجسد، أی إعادة الحیاة إلی الأموات کما یفکّر بعض السذّج من علماء الأحیاء) إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (الواقعة ۸۳- ۸۷).

و فی الآیات الکریمة التالیة بعض من الأعراض التی تسبق الموت غالبا و خاصّة الموت الطبّی المعروف بموت الدماغ: کَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِیَ. وَ قِیلَ مَنْ راقٍ. وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ. وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ. إِلی رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَساقُ (القیامة ۲۶- ۳۰). و نحن نری- و الله أعلم- أن من معانیها الکثیرة ما سنفصّله کالآتی:

کَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِیَ: أی حتی إذا بلغت الروح مستوی الترقوتین.

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۲

و الترقوتان clavicules عظمتان تحدّان المستوی الأعلی للقفص الصدری، و هی صفة أغلب الحالات المرضیّة التی تسبق الموت. و خلالها یضطرب عمل الرئتین و حرکة النّفس، و هو ما یسمّی عند العامّة بحشرجة الموت. لذلک یحاول الطب الیوم مساعدة أصحاب هذه الحالات بإسعافهم بواسطة آلات التنفّس الاصطناعی، و هو عادة ما نفعله فی حالات الغیبوبة، و الموت الطّبی الدماغی خاصّة.

وَ قِیلَ مَنْ راقٍ: أی و قال أهل المریض الذی هو فی حال النزاع: من یستطیع أن یأتی له ب «رقیة» أی أعجوبة تنجیه من الموت. و غالبا ما یطلب أهل المریض رأی عدّة أطبّاء فی کلّ حالات الغیبوبة.

وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ، وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ: أی و عند ما یوقن المریض و الطبیب أو الفریق الطبّی المعالج بأن المریض هو فی حال فراق لهذه الدنیا لأن الشدائد و المضاعفات الطبّیة تتوالی علیه، یکون الحکم من المولی بانتهاء أجل المریض قد صدر: إِلی رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَساقُ. و هکذا نجد أن القرآن الکریم وصف علامات الموت الطبّی أو موت الدماغ و حدّدها من دون أن یفصّلها (کما هی الحال فی حقل کلّ الآیات العلمیّة التی تطرّقت إلی حقول العلوم المادیّة)، لذلک لا نجد من الوجهة الشرعیّة أیّ مانع فی نقل أعضاء أیّ مریض فی حالة غیبوبة عمیقة أکّد فریق طبّیّ مؤهّل، أنّه فی حالة فراق، أی فی حالة موت طبّی، و الله أعلم.

القلب

من الوجهة المادّیّة:

هو مضخّة عضلیّة لا یتجاوز وزنها ۲۵۰ غراما، ینبض بمعدّل ۷۰ ضربة فی الدقیقة أی مائة ألف ضربة یومیّا و ۴۰ ملیون ضربة سنویّا، و یضخّ ۵ لیترات من الدم فی الدقیقة، و فی حالة الجهد الکبیر ۲۵ لیترا، أی ما معدّله ملیون و ۴۰۰ ألف غالون فی السنة. و هذه المضخّة المعجزة توصل الدّم إلی شبکة من الشرایین و الأوردة و الأوعیة الشّعریة هی فی غایة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۳

التعقید بحیث إذا أفردت و وضعت فی خطّ مستقیم جاوز طولها ستین ألف میل تقریبا.

یعمل القلب بدون راحة علی مدار الحیاة منذ الأسبوع الرابع لحیاة الجنین، و بتوقّفه مدّة تزید عن ثلاث دقائق یتلف الدماغ و یموت.

أما دقائق ترکیبه و عمله فلن ندخل فیها هنا.

أین بدیع الصنعة فی هذه المضخّة الرائعة التی وضعها المولی من القلب الاصطناعی، صنعة العلماء التی یفخرون بها؟ کم کلّفتهم من جهد و مال، و کم سبّب القلب الاصطناعی من مضاعفات فی جسم المریض المزروع؟ و برأینا أنه لا یمکن لأیّ زراعة للأعضاء أن تکون ناجحة تماما إلا إذا کان العضو المزروع من خلق الله، مصداقا لقوله تعالی: لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» (الروم ۳۰).

من الوجهة الروحیّة:

ما سرّ هذه المضخّة العجیبة التی بصلاحها یصلح الجسم کلّه و بفسادها یفسد الجسد کلّه، کما قال الحبیب المصطفی علیه أفضل الصلوات: «ألا و إنّ فی الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد کلّه، و إذا فسدت فسد الجسد کلّه، ألا و هی القلب». إنه مع الصدر یشکّل مستودع الأسرار، عنینا بذلک الروح و السکینة و النور و الإیمان، و کلّها مودعة فی القلب و الصدر. کذلک الخوف و الضیق و الهلع و الریبة و الشک. و من یتتبع معانی الآیات التی وردت فیها کلمة القلب و الفؤاد، یجد أن للقلب أهمّیّة روحیّة عدا أهمّیّته المادّیّة، لم یتبیّنها العلم بعد، و ربما لن یتبیّنها إلا من یعتقد بالروح.

فالله یعلم ما فی قلوبنا، و یکتب الإیمان فی قلوبنا، و یقذف سکینته فی قلوبنا، و یختم علی قلوبنا، و یؤاخذنا بما کسبت قلوبنا. بکلمة مختصرة: إننا نشبّه القلب فی الجسم بمحطّة الإرسال أو البثّ الرئیسة التی توزّع علی بقیّة الأعضاء- و فی طلیعتها الدماغ و البصر و السمع- أنوار المعرفة و الهدایة، أو ظلمات الجهل و الضیاع، حسب صلاح القلب أو فساده. و لا یفسد القلب مثل النّفس

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۴

وَ فِی الْأَرْضِ آیاتٌ لِلْمُوقِنِینَ. وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ قلب الإنسان، هذه المضخّة المعجزة التی توصل الدم إلی شبکة من الشرایین و الأوردة و الأوعیة الشّعریّة التی إذا وضعت جنبا إلی جنب فی خط مستقیم فإن طولها یتجاوز ستین ألف میل تقریبا!!!

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۵

وَ کُلَّ شَیْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِیلًا صورة توضیحیّة للآلیات و المرکّبات الموجودة فی الخلیّة العصبیّة الحیّة

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۶

الأمارة بالسوء التی اتّبعت صوت الهوی، و لا یصلحه مثل النّفس المطمئنّة التی اتّبعت و التزمت بکل ما أمر به المولی (لیرجع القارئ إذا أراد إلی مقالنا عن علاقة الروح و القلب و العقل و النّفس فی کتابنا «من علم النّفس القرآنی»).

أجهزة حفظ الجسم إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَیْها حافِظٌ

اشارة

لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أعطی الرسول الکریم للآیات الکریمة أعلاه من المتشابه، و هی من مثانی بعضها البعض، وجها من معانیها هو أن الحفظة و المعقّبات هم الملائکة الذین یتعاقبون فی حفظ الإنسان لیل نهار، کما جاء فی الصحیح: «یتعاقبون فیکم ملائکة باللیل و ملائکة بالنهار، و یجتمعون فی صلاة الصبح و صلاة العصر، فیصعد إلیه الذین باتوا فیکم، فیسألهم، و هو أعلم بکم، کیف ترکتم عبادی؟ فیقولون: أتیناهم و هم یصلّون و ترکناهم و هم یصلّون». و فی حدیث آخر: «إن معکم من لا یفارقکم إلا عند الخلاء، و عند الجماع، فاستحیوهم و أکرموهم». و إنما سکت علیه الصلاة و السلام عن الوجوه الأخری من معانی هذه الآیات، و اللّه أعلم، التزاما منه بقوله تعالی: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ (القیامة ۱۹) و إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ. وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ (ص ۸۷، ۸۸). لأن ما بلغه القوم من العلم فی زمن التنزیل لم یکن یسمح بإعطاء المزید من الشرح العلمی.

فهل نکتفی فی القرن العشرین بهذا الوجه من المعانی للآیات الکریمة أعلاه؟ أم أن هناک وجوها أخری کشفها العلم الیوم یجب اطلاع المؤمن علیها، لا سیّما و قد روی عن الرسول الکریم قوله «للقرآن وجوه». هذا ما سنفعله فی الفقرات التالیة، و اللّه من وراء القصد.

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۷

خصّ المولی کل نفس من مخلوقاته الحیة بما یحفظها من الأخطار الخارجیة و الداخلیة، بحفظة و معقّبات بعضهم غیر منظور، هم الملائکة الحفظة الذین أشارت إلیهم الأحادیث الشریفة السابقة، و بعضهم الآخر منظور، بدأ العلم یکشفه منذ عشرات السنین فقط، أعنی أجهزة الدفاع التی وضعها فی جمیع الأحیاء من نبات و حیوان و إنسان. و من حق المؤمن غیر المطّلع أن تکشف له بعض التفاصیل العلمیة عن هذه الأجهزة الدفاعیة التی حصّنه المولی بها، علّه یتدبّر فی العمق معنی قوله تعالی: إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَیْها حافِظٌ، لا سیما و أن هذه الآیة الکریمة هی جواب لآیات القسم التالیة:

وَ السَّماءِ وَ الطَّارِقِ. وَ ما أَدْراکَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ (الطارق ۱- ۴).

ففی آیات القسم و جوابها، کما أسلفنا، أعمق المعانی العلمیة الإعجازیة لکل باحث فی القرآن الکریم. و سنقصر شرحنا العلمی هنا علی أجهزة الدفاع التی حصّن المولی بها الإنسان ضدّ الأخطار المتأتّیة من ملایین المکروبات و الفیروسات و الطفیلیات و الأجسام الغریبة المحیطة به. و هذه الأجهزة تتمثل فی ثلاثة خطوط دفاع رئیسة هی کالآتی:

۱- الجلد أو خطّ الدفاع الأول:

سبقت الإشارة فی فصل سابق، إلی وظائف الجلد فی الدفاع عن الجسم، عند ما بیّنّا أن من حکمة الوضوء و النظافة التی أمر بهما الإسلام المحافظة علی سلامة الجلد و وظائفه.

۲- جهاز دفاع خاص بکل عضو أو خط الدفاع الثانی:

فی کل عضو من أعضاء الجسم جهاز دفاع خاصّ به یمثّل ما نسمّیه بخطّ الدفاع الثانی. فللعین الأهداب و الأجفان و الدمع، و للجهاز التنفّسی دفاعات خاصة بکل عضو منه ابتداء من الأنف و ما یحویه من شعیرات لتصفیة العوالق الکبیرة، و أغشیة مخاطیّة مبطّنة تفرز العدید من المضادّات المکروبیة، مرورا بقصبة الهواء، و انتهاء بالرئتین و ما تحویانه من شعیّرات هدبیّة و أغشیة مخاطیّة و خلایا دفاعیّة لطرد الأجسام الغریبة التی یحملها الهواء و قتلها. و للجهاز الهضمی دفاعات

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۸

خاصّة بکل عضو منه متمثّلة بالإفرازات الهضمیة و ملیارات المکروبات النافعة و غیرها من وسائل الدفاع التی یتطلب شرحها مجلدات. و کذلک الحال بالنسبة لبقیة أجهزة الجسم و أعضائه.

۳- الدم أو خطّ الدفاع الثالث:

کشف العلم منذ عشرات السنین، و لا یزال، أن فی الدم جهازا للدفاع هو جهاز المناعة. و هو فی منتهی الإبداع و التعقید و الفعّالیّة، و یمثّل خطّ الدفاع الأخیر عن الجسم عند ما تتغلب الأجسام الغریبة الدخیلة علی خطوط دفاعاته الأولی و الثانیة. لهذا الجهاز الدفاعی جنود و استراتیجیة و أسلحة فعّالة عدیدة و متنوعة، أین منها أحدث أجهزة الدفاع التی تفخر بها بعض البلدان. نکتفی هنا بالتفاصیل العلمیة المبسطة التالیة:

جهاز المناعة فی الدم جنوده کریات الدم البیضاء و عددها خمسة و عشرون ملیون خلیة فی «أیام السلم»، و یتضاعف العدد فی حال «الاستنفار» و قد یصل إلی مئات الملایین فی حال القتال خلال فترة زمنیة لا تتجاوز الساعات أو الأیام. و لهذه الجیوش الجرّارة من الخلایا البیضاء سلاح إشارة مؤلّف من بضع مواد کیمیائیة اسمها العلمی (Interferom- MIF- II- InterleukineI) (تشکّ لغتها التی تتخاطب بها بسرعة مذهلة بعد ثوان أو دقائق معدودة علی اجتیاز أیّ جسم غریب لخطوط الدفاع الأولی و الثانیة. و لجهاز المناعة هذا استراتیجیة محدّدة هی کشف کل دخیل علی الجسم ثم مهاجمته و عزله و القضاء علیه. أما وسائله القتالیة فهی المواجهة المباشرة وجها لوجه، أو بواسطة مواد کیمیائیة مضادّة للأجسام (anticorPs(خاصّة بکل دخیل. و إذا علمنا أن هناک مئات لا بل ملیارات الأجسام الغریبة التی یمکنها أن تهاجم الجسم، و أن لکل منها (شیفرة) کیمیائیة خاصّة بها، علمنا أن باستطاعة بعض خلایا الدم البیضاء صنع أجسام مضادّة خاصة بکل عدوّ، و أدرکنا عظمة جهاز المناعة الذی جعله المولی حافظا فی کل نفس و لأدهشنا إتقانه.

عند ما یهاجم جسم غریب أعضاء الإنسان، تتصدی له خلایا الدم البیضاء

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۲۹

المتعددة النّوی (Polynucleaires(، و الخلایا البیضاء اللاقمة (macroPhages(بإفرازاتها القاتلة، و تنذر الأخیرة خلایا الدم البیضاء اللمفاویة القاتلة-cytetueuse( ) lymPho و المساعدة (lymphocyteauxilliaire (بواسطة مواد کیمیائیة، هی لغاتها التی تتخاطب بواسطتها، فتسرع هذه الخلایا اللمفاویة القاتلة إلی نجدتها. و فی الوقت نفسه هناک مواد کیمیائیة تنذر نوعا آخر من الخلایا اللمفاویة هی المسمّاة بالخلایا اللمفاویة ب، و نسمّیها الخلایا اللمفاویة المحصّنة (lymPhocyteB (، و وظیفتها إفراز أجسام خاصّة ضد کل عدوّ دخیل، و تحصین الجسم ضدّه بصورة وقتیة أو نهائیة. و هکذا تدور رحی معرکة کیمیائیة فی منتهی الدقة و التنظیم و التنسیق بین مختلف أنواع خلایا الدم البیضاء من جهة، و کل دخیل غریب عن الجسم من جهة أخری، غالبا ما تنتهی بالقضاء علیه.

هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ (لقمان ۱۱) عجیبة غریبة رائعة دقیقة، متقنة فی صنعها و طریقة عملها و فعّالیتها هی هذه الجنود الحفظة التی زوّدنا بها الخالق.

ذکیة هی جنود الدم البیضاء، منظّمة فیما بینها، و فی توزیع الأدوار القتالیة علی أفرادها ... من علّمها ذلک؟ الصدفة أم التطور أم الأزلیة أم الطبیعة؟ من علّم خلیة الدم البیضاء اللاقمة، و هی التی تهاجم کل عدوّ دخیل تحطیم کل جزء من أجزائه إلا جزءا یسیرا منه هو (الشیفرة) الکیمیائیة الخاصة بهذا العدوّ، إذ تحتفظ بها کی تستطیع الخلایا المحصّنة تفکیک رموزها، و بذلک تستطیع إنتاج أجسام مضادّة خاصة بهذا الدخیل بالذات! إنها من أعاجیب مخلوقات اللّه هذه الخلایا البیضاء، و قطرها لا یتجاوز خمسة عشر جزءا من الألف من المیلیمتر (۱۵ مکرونا)، و مع ذلک تستطیع کشف کل دخیل علی الجسم فتقتله و تطرده خارجا. هذه الخلایا البیضاء الخفیّة التی تجری لیل نهار فی شبکة من الأوعیة الدمویة، هی من الامتداد و التشعّب

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۳۰

بحیث تصل إلی کل جزء من أجزاء الجسم. أو لیست هی التی أقسم بها المولی بقوله فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوارِ الْکُنَّسِ (التکویر ۱۵-۱۶)؟

و الجمیل هو أن علماء الدم أطلقوا حرفیا اسم «الکنّاس»-fossoyeur( ) scavanger علی نوعیة معینة من خلایا الدم البیضاء هی الخلایا اللاقمة (macroPhole(و وظیفتها رفع القمامة و تنظیف الجسم من بقایا الجثث التی تترکها معارک الخلایا البیضاء مع المکروبات و الأجسام الغریبة عن الجسم.

إن فی آیة القسم التالیة: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوارِ الْکُنَّسِ أبعادا علمیة عمیقة إعجازیة نختصرها بالآتی:

– الخنّس جمع أخناس و هی الأشیاء المخفیّة، من خنس، و الخنوس هو الاستخفاء. و الکنّس جمع کانس أو کانسة، مشتقّة من الفعل کنس، أی کسح القمامة.

– لیست خلایا الدم البیضاء المسمّاة بالکنّاس هی وحدها من الأشیاء المخفیّة التی تجری لتخلیص الجسم من القمامة، فکریات الدم الحمراء هی أیضا کنّس، إذ إنها تخلّص الجسم من ثانی أو کسید الکربون، و هو من نفایات التفاعلات الکیمیائیة التی تحصل فی داخل الجسم.

– تجری عشرات الأنواع من المکروبات النافعة فی الجسم لتخلّصه من أحیاء مجهریة ضارّة هی خنّس کنّس.

– العشرات لا بل المئات من المواد الکیمیائیة تجری فی الجسم، لتخلّصه من موادّ کیمیائیة سامّة (مما یدخل تفصیله فی حقل الکیمیاء العضویة، و یتطلب شرحه و تبسیطه مجلّدات) هی جوار خنّس کنّس.

– فی داخل الأرض و علی سطحها و فی الماء و فی البحار ملایین الأشیاء الخفیّة الحیّة و غیر الحیّة تلعب دور عمّال التنظیفات هی أیضا من الجواری الخنّس الکنّس.

– فی الغلاف الجوّی الأرضی أشیاء خفیّة کشفها العلم حدیثا هی أیضا

من علم الطب القرآنی، ص: ۳۳۱

جوار کنّس، وظیفتها تنظیف الأرض من بقایا غازات الاحتراق السامّة المتصاعدة منها، و قذفها بعیدا فی الفضاء الخارجی.

فی مراکز أکثر المجرّات کشف العلم حدیثا ما سمّاه العلماء المکتشفون بالثقوب السوداء (blackholes) و هی أشیاء غیر مرئیّة، وظیفتها تنظیف المجرّات من بقایا النجوم المیتة، لذلک سمّوها بمقبرة النجوم. و سنفصّل بإذن اللّه فی کتابنا التالی هذه الأشیاء الخفیّة فی الأرض و فی المیاه و فی الکون، و التی قدّر لها المولی وظیفة هی: «عامل التنظیفات».

و بکلمة مختصرة، فکل وظائف الخلایا البیضاء تختصرها معانی کلمة معقّبات. و فی لسان العرب: «یقال فی لغة العرب: تعقّب الخبر أی تتّبعه».

و الخلایا البیضاء تتعقّب کل غریب عن الجسم فی أی مکان وجد. و المعقّب: هو الذی أغیر علیه، فأغار علی الذین کانوا أغاروا علیه. و هکذا تفعل الخلایا البیضاء مع کل مغیر علی الجسم. و عقّب تعنی: کرّ و رجع و هکذا تفعل خلایا الدم البیضاء. و المعقب: المنتظر، و هذه هی أیضا وظیفة الخلایا البیضاء.

و التعاقب هو مجیء الشیء بعد الآخر. و الخلایا البیضاء تتوالی علی أعدائها الواحد تلو الآخر. إنه دائما الإعجاز العلمی القرآنی فی الکلمة الواحدة (المعقّبات و الحفظة)، التی تعطی عدة معان علمیة للآیة الکریمة الواحدة.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹